

المدخل إلى علم النفس

الأستاذ الدكتور

عبد السلام أحمدى الشيخ

أستاذ علم النفس

كلية الآداب - جامعة طنطا

٢٠٠٣/٢٠٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم لهذا الكتاب

يقول ك . ج . يونج فى كتابه " الانسان العصرى والبحث عن النفس " « إن المظهر الإبداعى للحياة الذى يجد له أوضح تعبير فى الفن يستعصى على محاولات الفهم العقلى - أو العلم - ؛ وأن الفعل الخلاق سيظل مستعصياً على الذهن البشرى » . غير أن العلم الذى لم يستعصى عليه فهم الكون ورفع كثير من الغموض عنه واكتشاف غموض أكثر لن يعيه - كما يقول العالم سنو - فهم الفعل الخلاق المبدع بل وفهم العقل ؛ وحتى لو كانت أجمل الاشياء - كالفعل الخلاق - هى التى يوحى بها الجنون ، إلا أن العقل البشرى هو بالضرورة صاحب هذا الجنون الذى استوعب المظهر الابداعى للحياه والفعل الخلاق فى رحم الفنون ، وهو - أى الفعل كما يقول آندريه جيد - هو الذى يسجل كل هذا أيضا فى اطار علمى إبداعى.

بل إن بقاءنا وربما حضارة هذا الكون - كما يقول عالم الاعصاب المخيه - فيشباخ - مرهون بفهم اكثر علميه لأداء العقل البشرى ، حقيقة إن هذا العقل لايزن أكثر من ٣ أرطال لكنه يحتوى على ١٠٠ بليون خليه عصبية ، ويزيد من تعقده تنوع هذه النيوررونات التى وصفها عالم الأعصبة - كاجال - بأنها تمثل الفراشات الخفيه للروح والتى يمكن لضربات أجنحتها يوماً ما أن تجلو سر الحياه العقلية ، والتى هى المهمه الاساسيه لعلم النفس المعاصر.

ولايمكن أن نجلوا سر الحياه العقليه بدون أن نكتشف القوانين التى ينتظم أداء العقل من خلالها ، وبها نتحكم فى هذا الأداء وكأن الفكر البشرى ينظم نفسه بنفسه ويحكم نفسه فى نفسه وهى خاصه لايتميز بها علم كما يتميز علم النفس ، فنستطيع اكتشاف القوانين التى مبلغ يحب تحعل ونتعلم ندرك من خلالها . وننظم علاقاتنا بأنفسنا وبالأخرين - وكيف نتحكم فى البيئة المحيطة بنا ونخضعها لمشيئة خليفة الله فى الأرض ونبرز القوانين التى من خلالها نكتشف هذه الحقيقه . هذا مايقدمه علماء النفس - ثم ان أردنا ان نفسر بها الحياه على هذا الكوكب فعلنا ، وإن أردنا أن ندمر بها أنفسنا دمرنا . ليس طبقا لارادة العلماء بل لارادة أصحاب هذا الكوكب فى توظيف معطيات العلم وخاصه علم النفس والذى لايخرج جميعه عن مشيئة المبدع الأعظم لهذا الكون .

الفصل الأول

ميلاد علم النفس

ما هو علم النفس

ليس هو دراسة الانسان كما يقال . بل هو علم دراسة سلوك الانسان و الكائنات الحية أو دراسة النفس خاصة البشرية ، كيف يفكر الانسان أو الكائن الحى ؟ كيف يبدع ويخترع ؟ كيف يتحرك وكيف يدرك العالم ؟ كيف يتعلم مهارة أو عادة ؟ كيف يحب ويكره كيف ينفعل حزناً أم سروراً الى أى مدى سلوكه ثابت ومنسق والى أى مدى متوافق مع من يعيش معهم ومع بيئته ؟ والى أى مدى هو منحرف أو مضطرب .... إلخ .

كل هذه الأمور وغيرها مما يندرج تحت موضوع علم النفس أو السلوك بمفهومه الشامل .

ويهدف علم النفس من دراسة السلوك الى ما يهدف إليه أى علم فيما يلى :

أ- يساعدنا ويمدنا بالقوانين التى تفسر لنا السلوك خاصة السلوك الغامض .

ب- يعطينا القدرة على التحكم فى سلوك الكائن الحى . بما يساعدنا على تعديله أو علاجه وتوجيهه .

جـ- يعطينا القدرة على التنبؤ بالسلوك تحت مواقف وشروط معينة .

أى أن علم النفس يعطينا القدرة على التحكم فى سلوك الآخرين وتعديله تبعاً لما نرغب وليس تبعاً لما يرغب هو ، فى حدود القوانين المطروحة ، ومن هنا إمكانية علاج السلوك المرضى والتحكم فيه بما يعد له الى سلوك سوى أو الى سلوك منحرف بما يتفق وهدف المتحكم فى السلوك علمياً .

هذا علاوة على التنبؤ باستجابات وتصرفات وأساليب تفكير الآخرين تحت شروط محددة . والتى بناء عليها يمكن أن نخطط للمستقبل ونتنبأ به .

وإذا كان سلوك الانسان هو المسئول عن العالم الذى يحياه الانسان من حيث الحرب والسلام والتدمير والعدالة والحب والكراهية ومن حيث اشباع الحاجات والدوافع أو الحرمان وعدم اشباعها . فان التحكم فى هذا السلوك علمياً يعنى بكل بساطة التحكم فيما هو نتاج لهذا السلوك ، ومن هنا سمى هذا العصر وبحق عصر علم النفس .

والسؤال هو :-

هل أفاد علم النفس فعلاً فيما سبق الاشـارة اليـه ؟ الأجابـة نعـم غير أن مـن يستفيد به هو من يتعامل معه كعلم ينتهى به إلـى قوانين علميـة تعطينـا القـدرة علـى التحكم والتفسير والتنبؤ بسلوك البشر وبكل أسف فان علم النفس كعلم لم يسـتفد منـه الا الدول المتقدمة ، أما شعوب العالم الثالث فما زالـت دراسـات السلوك بهـا تتـأرجح بين ما هو علمى وما هو ميتافيزيقى .

ولكن متى تكون الدراسـة فـى هذا المجـال علمـاً ومتـى تكـون غير علميـة ؟ ومـاهى الشروط المسئول عن كونهـا علميـة أو غير علميـة ؟ للإجابـة علـى هـذا السـؤال المطروح يلزم معرفـة مفهـوم وخصـائص التفكـير العلمـى وكذلـك خصـائص أسـاليب التفكير غير العلمية .

أساليب التفكير .

سنبدأ من مسلمة أن الانسان هو الحيوان الوحيد الـذى اخـترع العلـم والـذى يفكر تفكيراً علمياً ، غير أن أساليب التفكير عند الانسـان تتبـاين تباينـاً حـاداً ومنهـا ، أساليب تعتبر خرافة غيبية – دينية – ميتافيزيقية .

ومن المعروف أنها جميعاً لا تنتهى بنا الـى حقـائق أو قوانيـن علميـة تعطينـا القدرة على التحكم فى الظاهرة المدروسة وتفسيرها والتنبؤ بها .

موضوع علم النفس وأساليب التفكير غير العلمية :

لو سألنا انساناً عادياً : ما هو الوزن الذرى ؟ لن يستطيع الاجابة وكذلـك لـو سألناه ما هو النسيج الترابطى للعضلة فلن يجيب وقد يؤكد لك أنه لم يسـمع عن هذا مـن قبل . ذلـك لأنهـا موضوعـات علـوم فيزيقيـة أكتشـفت مـن خـلال المنهـج العلمـى والمعامل ولا يعرفها الا متخصص ولكنـك لـو سـألته عمـا هو القلـق ؟ أى انسـان لـن يعجز عن الاجابة بغض النظر عن صدق اجابته ولو سألته هل والـدك رجـل كريـم أو طيب .. الخ

سنجد لديه إجابة ذلك أن الأسئلة الأخيرة تدور حول موضوعات نفسية سلوكية وهى

موضوعات نعيشها ونشعر بها . ذلك أن سلوك الانسان ملازم لوجوده ومن هنا نفترض أن محاولات الانسان لفهم السلوك ظهرت منذ وجد الانسان بأى أسلوب من أساليب التفكير خرافية أو غيبية أو دينية وإذا لم يكن لدى الانسان فى تلك الأزمنة الا أساليب تفكير غير علمية فان تناوله للظاهرة النفسية أو السلوكية كان غير علمى .

ويعرض لنا تاريخ علم النفس كثيراً من مثل هذه المحاولات غير العلمية سواء عند الفراعنة وافتراضهم أن الميت يأكل ومحاولة إرشاد الأبناء بالحق ومعرفة الحدود بل ومحاولة علاج بعض المرضى بفتح ثقب خلف الجمجمة فى مقابل الغدة الصنوبرية . ومحاولة تفسير قوة الفرعون وجبروته بالباسه لباس الآله .. ألخ وارتقى الفكر الغيبى والخرافى إلى فكر دينى ثم فكر ميتافيزيقى أضافه فلاسفة اليونان القدماء سواء عند الطبعيين الأوائل ثم عند سقراط ثم أفلاطون أو أرسطو .

تجدر الاشارة الى أن تطور أسلوب تفكير متقدم كالتفكير الميتافيزيقى لم يُلغ أساليب التفكير الأخرى التى يصيغها العامة فى محاولاتهم فهم الظاهرة النفسية وفى القرن السادس والسابع عشر ظهر المنهج العلمى أضافة جديدة ومن أضافات البشرية الا أنه لم يمكن تطبيقه فى بادئ إلا الأمر على العلوم الفيزيائية . وحتى ذلك الوقت ظل موضوع علم النفس أو الظاهرة النفسية وما يرتبط بها خاضعاً لأساليب تفكير غير علمية الا أنه لحسن الحظ تم دراسة بعض ظواهر السلوك بالمنهج العلمى ضمنياً تحت اسم الفيزيولوجيا الطب وبدون وعلى العلماء المنتمين لهذه العلوم لقد توصل بعض العلماء المنتمين للفيزيولوجيا مثلاً قوانين فيزيولوجية فى ذلك الوقت مثل سرعة السيال العصبى أصبحت جزء من علم النفس فيما بعد وفى منتصف القرن الـ ١٩ ظهرت محاولات إخضاع النفس البشرية للمنهج العلمى وفى نفس الوقت بدأ علماء الفسيولوجى يكتشفون أنهم قد عرضوا فى معاملهم لظواهر غير فيزيولوجية هى ظواهر نفسية . تحول بعضهم بمناهجهم التجريبية والعلمية الى علماء نفس مثل العلامة بافلوف عن الفسيولوجيا وفرويد عن الطب أكدوا أنهم واجهوا خلال تعاملهم

مع مرضى العقل ظواهر غير طبية بل هى تنتمى لفئة أخرى يمكـن أن تسـمى ظواهـر نفسية خالصة ، وهكذا تحول أطباء منهم الى علماء نفس خاصة العلامة فرويد الـذى اشترك مع المنهج التجريبى الفيزيولوجى فى علمية علم النفـس أو أكـد علـى إمكانيـة إخضاع الظاهرة النفسية للمنهج العلمى وبدأ علم النفس العلمى فعـلاً ١٨٧٩ تقريبـاً . وخضعت الظاهرة النفسية بشكل واضـح فـى هـذا التـاريخ لأسلوب التفكير العلمـى ، وعلينا أن نتذكر أن ظهور أسـلوب تفكير جديد لا يلغـى مـا سبق مـن أسـاليب تفكير وإنما يحصره داخل تفكير طبقة معينة فقط ، فأسلوب التفكير العلمـى مـازال منحصـراً داخل معظم طبقـة علمـاء علـم النفس ، وخـارج ذلـك فمـا زالـت الظـاهرة النفسـية موضوعاً لكل الناس بطبقاتهم وبكل أساليب تفكيرهم غير العلميـة ومـن الواضـح أنـهـا مثل الغالبية العظمى إذا ما قورنت بطبقة العلماء المهتمين بعلم النفس ، بـل أن العـالم نفسه ينتمى لطبقة الانسانية قبل كونه عالماً . وأدى هذا بالطبع الـى خطـورة سـيطرة أساليب التفكير غير العلمية على تفسير السلوك وامتداد هذه السيطرة لتلـك الأسـاليب غير العلمية أحياناً داخل المعمل السيكولوجى .

ويزيد من خطورة الأمر إذا ما طرح نتاج هذا التفكير بأعتباره تفكيراً علمياً .

ميلاد علم النفس

القرن السابع عشر

العصر	ما قبل العصر اليوناني	الفلسفة اليونانية	العصور الوسطى	بدايته	بداية المنهج العلمي	١٨٧٩	بداية علم النفس كعلم
أساليب التفكير	١- الخرافي ٢- الغيبي ٣- العملي	١- الخرافي ٢- الغيبي . ٣- العملي ٤- والتحليلي - التأملي - المنطقي .	١- خرافي ٢- غيبي ٣- علمي ٤- فلسفي ٥- ديني	١- خرافي ٢- غيبي ٣- عملي ٤- فلسفي ٥- ديني	المنهج العلمي	١- خرافي ٢- غيبي ٣- علمي ٤- فلسفي ٥- ديني	المنهج العلمي ومعمل فونت
موضوع التفكير	جميع الظواهر ومنها الظاهرة النفسية .	جميع الظواهر ومنها الظاهرة النفسية	جميع الظواهر ومنها الظاهرة النفسية .	جميع الظواهر ومنها الظاهرة النفسية .	الظواهر الفيزيقية فقط	على جميع الظواهر	الظاهرة النفسية + الظاهرة الفيزيقية
التفكير السائد (المسيطر) على الظاهرة النفسية	الخرافي والعملي	الفلسفي المنطقي التأملي	الديني بأوروبا الفلسفي عند العرب	التفكير الفلسفي	التفكير العلمي على الظاهرة الفيزيقية فقط	التفكير الفلسفي	التفكير العلمي

أساليب التفكير الفلسفية فى الظواهر النفسية :

ونعنى بها تلك الأساليب الميتافيزيقية التى لا تستعين بالتجربة أو بالكم وإنما تعتمد كلية على الإستنتاج والإستدلال المنطقى والصورى وعلى الفكر المجرد المتعالى على المادة و على الواقع الملموس .

ومن الطبيعى على من يريد أن يعرض لهذه الأساليب أن يبدأ بالفكر اليونانى قبل الميلاد حيث إزدهر هذا الأسلوب من التفكير بدء من الفلاسفة الأوائل ، ٦٣ - ٤٥٠ ق . م ، السابقين على سقراط .

وقد ركز هؤلاء على محاولات تفسير أصل الوجود ولم يشغلوا أنفسهم بمحاولة دراسة التفكير الفلسفى بل إنشغلوا بمحاولات نظرية لرد الوجود الى أصوله كالنار والهواء والتراب والماء (بدوى ١٩٦٩) (زين ١٩٧٠) ومع هذا لم يخل تراث الطبيعيون الأوائل من محاولات متناثرة لفهم النفس أو السلوك فنجد أحدهم وهو (ديمقريطس ٤٥٠ ق.م) يحاول أن يفسر كيف نفكر فيقول أننا نفكر فى حدود الجسم والعقل ، وأن سلوكنا يتأثر بالمنبهات الخارجية كما تعرض ديمقريطس لمشكلة حرية الإنسان والجبر والإختبار أو الإختيار . Rathus , 1990 P 21 .

بعد ذلك مباشرة ظهرت مدارس الشك والتى ترى أنه لا يمكن أن تكون هناك حقيقة ما إلا إذا كانت مطلقة وثابته وغير متغيرة ولما كانت الأشياء فى تغير مستمر والحواس كثيراً ما تخدعنا فالحقيقة بالتالى مستحيلة وإنبثق عن هذا التفكير مدرسة السوفسطائيين التى شتت عقول شباب أثينا مما هدد المجتمع اليونانى وتكامله .

كرد فعل طبيعى لهذا ظهر سقراط الذى أكد أن الحقيقة اللامتغيرة موجود داخلنا من هنا نادى بمبدأ أعرف نفسك بنفسك ووضع أسس ما أسماه بالتوليد

السقراطى أى توليد الفكر والحقائق من داخلنا . وما علينا إلا أن نتأمل أنفسنا وربما يساعدنا أستاذ يحاورنا ويفهم ما بداخلنا والذى لا نعرفه حتى يصل بنا ومعه إلى معرفة الحقائق الداخلية والتى لم نكن نعرفها وما أشبه هذا التفكير بالتحليل النفسي عند قرون .

المهم أن سقراط نادى فى النظر فى النفس وأن بنا حقائق لا ندركها إلا إذا تأملنا أنفسنا وأن وجود حقائق ثابته مجردة داخلنا وفى عقولنا والذى أدى فيها بعد بأرسطو الى أن يؤكد على أنه لا علم إلا بما هو عام وهو مبدأ أكده عالم الرياضيات المشهور هنرى بوانكاريه . .

بعد سقراك جاء أفلاطون وحاول وضع أسلوب معين لتربية الشباب وتكلم عن عالم الحس المتغير فى مقابل عالم المثل والمتعالى والثابت ، وتكلم عن النفس وتقسيمها الى غضبية وشهوية وعاقلة بعده كان أرسطو ٣٨٤-٣٢٢ ق.م حيث عارض عالم المثل الأفلاطونى كما تعرض للخطابة والشعر وكيف يؤثر الخطيب فى المستمعين ، كما تعرض للأخلاق فى كتابه " الأخلاق الى نيقوماخوس " (سويف ١٩٧٥ ص ١٢٧ - ١٣٥)

ومن المعروف أن لأرسطو كتاباً بعنوان " عن النفس " به محاولات فلسفية جادة لفهم السلوك ويرى أن السلوك البشري يخضع لقواعد وقوانين مثل حركة النجوم والبحار ، كما تكلم عن الشخصية وعن الإحساس والدوافع والذاكرة وإنتهى أرسطو إلى أننا لدينا دافع للبحث عن السرور وعن اللذة وتحاشي الحزن والألم .

بعد ذلك كان خريف الفكر اليونانى حيث يتقوقع داخل مقولات الشك المطلق والاستسلام ورفض الحياة أحياناً كما عند الرواقيين ومع فقدان الثقة والدعم يبحث العقل عن الدعم ومصدر الثقة خارج الذات على ذات تتعالى على الذوات وتنقذها من

براثن الشك فكانت العصور الوسطى سيطرة التفكير الديني وأصبحت الفلسفة خادمة للدين ومن هنا لم نجد أثراً واضحاً لمحاولة فهم النفس أو السلوك . بل دعم التفكير الديني في أوربا أساليباً خرافية مثل ربط السلوك بحركة النجوم وربط الأمراض النفسية العقلية بالأرواح والشياطين والجن .. ألخ .

وفي نفس الفترة كانت هناك ثورة ونهضة علمية بالعالم الاسلامي وظهر الفارابي ٨٢٨ - ٩٥٦ م وكان كتتابه ذائع الصيت " آراء أهل المدينة الفاضلة " حيث عرض للأخلاق والزعامة والقيادة " سويف ١٩٧٥ ص ١٣٧ " وظهر ابن سينا الفيلسوف والطبيب العربي المشهور ووضع رسائل في القوى النفسانية وأخرى في النفس الناطقة ثم كتابه " القانون " وهو كتاب في الطب وجمع بين النظر والعمل (عاطف العراقي ١٩٧٦ ص ١٦٢) ومازال له احترامه في جامعات العالم وكليات الطب حتى الآن ، كما يؤكد جيمس كولمان أن ابن سينا وضع الأسس الأولى للعلاج السلوكي وطبقه في علاج ابن أحد الأمراء في عصره كان يتصور أنه بقرة عن :عبد السلام السيخ ١٩٩٠ / ٩١ ص ٢٤ - ٢٥ .

وفي دراسة أخرى شيقة حاول ابن سينا فيها أن يتعرف على أثر انفعال الخوف على التغذية ووزن الجسم عند الحيوان ، فأخذ شاتين توام واخضعهما لنظام متطابق خاصة الغذاء - غير أن الأولى كان يضع بالقرب منها ذئباً وقت الأكل - لم يغفل ذلك مع الثانية وجد أن وزن الأولى أصبح أقل وزناً من الثانية .

وفي هذا العام تجدر الاشارة الى أن ابن خلدون (١٣٣٩- ١٤٠٦) ومقدمته المشهورة التي وضع بها أول أسس العلم أو علم الاجتماع حالياً .

معنى هذا أنه في العصور الوسطى سيطر الفكر الديني والغيبي على التفكير البشري في مجال النفس ، بينما في نفس الوقت عند العرب سيطر تفكير أكثر تحرراً

وميتافيزيقى استطاع ان يبشر بالتفكير العلمى الذى ظهر بعد ذلك مباشرة فى أوربا على يد فرانسيس و روجربيكون فى القرن ١٦ م .

مؤشرات الميلاد العظيم

المدرسة الارتباطية

كانت المدرسة الارتباطية محصلة لتصارع أساليب الفكر الفلسفية حول الظاهرة النفسية وبالرغم من أنها تاريخياً تدخل تحت إطار علم النفس إلا أنها امتداد للتفكير الفلسفى فى الظواهر النفسية . خاصة حينما تحرر هذا الفكر تماماً من سيطرة أى سلطة خارجية منذ منتصف القرن الـ ١٧ حيث بداية تحرر الفكر والجسد ، ومن هذا التحرر بدأ الفكر يتحرر من نفسه ومن هنا كانت المدرسة الحسية التى رفضت الفكر الميتافيزيقى والتى نادت بألا نسلم إلا بما يخضع للحس والمشاهدة وكان أول وأشهر مثل لهذا الاتجاه هو الفيلسوف الانجليزى جون لوك (١٦٣٢-١٧٠٤) ويعتبر تاريخياً رائد المدرسة الارتباطية والتى تؤكد على أهمية تحليل العمليات الشعورية الى عناصرها الأولية من احساسات وصور ومعانى وعلى القوانين التى توضح شروط الترابط بين الأفكار وهذه العمليات والتى وضعها هربارت ١٨٢٤ ونشرت فى كتاب لتوماس لبراون أستاذ الفلسفة بجامعة أدنبره بعنوان " تاريخ علم النفس الترابطى " ١٨٣٠ وفى ١٨٣٢ صدر كتاب فولف أحد تلاميذ الفيلسوف الألمانى الرياضى ليبنز بعنوان " السيكولوجيا التجريبية " ويعتبر البعض ظهور هذا الكتاب نقطة انفصال منهجية لعلم النفس عن الفلسفة ثم ظهر كتاب " علم النفس من وجهة النظر التجريبية " سنة ١٨٧٤ للفيلسوف المنطقى المشهور " برنتانو " والذى هاجم فيه المدرسة الارتباطية والذى يعتبر أيذاناً بظهور مرسة الوظيفية .

وكان لمشاركة المناطق أهمية كبيرة فى بلورة مناهج البحث فى علم النفس خاصة المنطق الوضعى ، ولم يكن غريباً أن تصدر أهم كتب المنطق الوضعى أو البرجماتى عن الفيلسوف الأمريكى جون ديوى ١٨٤٢ - ١٩١٠ ويصدر عنه فى نفس الوقت تقريباً أهم كتبه " فى علم النفس " سنة ١٨٩٠ وأن يكون من أوائل مؤسسى المدرسة الوظيفية وحين تطور المنطق لينبثق عنه ما يسمى " بالمنطق الرمزى أو الرياضى " ساهم الى حد كبير فى ادخال الاحصاء فى علم النفس وتحويله من مجرد أفكار كيفية نظرية الى حقائق كمية . يؤكد هذا أن كثيراً من علماء النفس الذين لهم خلفية فلسفية أو منطقية ارتبطت أسماؤهم بمعادلات احصائية أساسية مثل سبيرمان ومعامل ارتباط سبيرمان بل والمعادلة الرباعية والعامل العام والعوامل الطائفية والتى كانت أرضية تطور منها منهج احصائى له دور رائع فى تقدم علم النفس أسمه " التحليل العاملى " كذلك بيرسون وارتباط اسمه بمعامل ارتباط بيرسون و نرسنون وجيلتورد .. ألخ

(أنظر : عبد السلام الشيخ ١٩٩٠ / ٩١ ص ١٠٢ - ١٠٦)

العلوم الفيزيقية وعلم النفس

لم يتفرع علم النفس فقط عن الفلسفة بل تفرع من خلال الفيزيولوجيا والعلوم الطبية والتى كان قد استخرجها الى حد كبير المنهج التجريبى والعلمى .

ولقد كان بداية القرن ١٩ يمثل تقدماً كبيراً فى الفيزيولوجيا خاصة فى اكتشافات الجهاز العصبى بتفاصيله .

فى سنة ١٨١١ نشر عالم التشريح الهولندى شارلز بيل ١٧٧٤ - ١٨٤٢ بحثاً أوضح فيه أن الجهاز العصبى يتكون من نوعين من الأعصبة الموردة و

المصدرة وبعد ١١ سنة نشر فرانسو ماجندى ١٧٨٣ - ١٨٥٥ نفس القول فى مقالة له بمجلة العلم الفرنسية مما أغضب بيل متهماً ماجندى أنه أخذ الفكرة عنه وتطورت الفكرة بعد ذلك ووضعت تحت اسم قانون بيل - ماجندى .

وتطور اكتشاف وظائف الجهاز العصبى على يد مولر Muller (١٨٠١- ١٨٥٨) حيث أشار الى وجود خمسة أنواع من الأعصبة كل منها متطابق مع نظام حسى معين ، مثلاً هناك أعصبة للعصب البصرى تحمل فقط المعلومات المرئية فقط وإذا ضغطنا على هذا العصب والعين مغلقة فان الشخص يرى أشياء أو أضواء أو ألوان بسبب إثارة هذا العصب بالضغط .

وفى نفس الفترة اكتشف هيرمان هلمهوهلنز ١٨٢١ - ١٨٩٤ سرعة السيال العصبى ووجده حوالى من ٥٠-٩٠ متر /ثانية . كما اكتشف الجراح الفرنسى بول بروكا Braca ١٨٢٤ - ١٨٨٠ . منطقة فى العصب الجبهى باللجاء اعتقد أنها مسئولة علن الكلام مازالت تسمى منطقة بروكا . وإذا كان الفلاسفة مع علماء النفس والفيزيولوجيون أهتموا بالظواهر النفسية السلوكية السوية فان الطب اهتم بالظواهر المرضية وبالطبع اهتموا بالبحث عن العوامل الجسمانية المسئولة عنها حتى سيجموند فرويد الذى أسرع بتقبل وجهة النظر السيكولوجية . وكان من الطب كريبلن ١٨٥٦ - ١٩٢٦ من أوائل علماء النفس المرضى ونشر دراساته سنة ١٨٨٣ أوضح فيه أعراض العته - الذهان - الاكتئاب وبالطبع لا ننسى مثل

(أنظر عبد السلام الشيخ ١٩٩٠/١٩٩١ . ص ٣٤ - ٤٢ ، ص ٧٨ -٨١)

L.T. Bentamin Jr 1988 p 90 - 92 p 120 - 123 .

وهكذا بدأ الميلاد العظيم لعلم النفس كعلم من خلال التوفيق الفلسفى بين

العقليين والحسيين والذى أكد على ضرورة تطبيق المنهج العلمى والاحصاء على الظواهر النفسية وفى نفس الوقت كان علم النفس يحبو مثل الجنين تحت مسميات الظواهر الفيزيولوجية والطبية حيث أكد أمكانية دراسة ظواهر السلوك بالمنهج التجريبى .

وتلاقت الفروع (الفلسفة الفيزيولوجى الطب) فى ميلاد علم النفس كعلم جديد له موضوعاته التى تخضع للمنهج العلمى خاصة التجريبى .

ميلاد علم النفس .

من المستحيل تحديد لحظة محددة لهذا الميلاد فالبعض يرجعه الى سنة ١٧٣٢ على يد فولف فى كتابه المشار إليه سابقاً أو على يد برنتانو ١٨٧٤ غير أن هذا الرأى ضعيف ولا يؤخذ به خاصة وأن أى من الكتب السابقة لم تتضمن أية إشارة للدراسة تجريبية أو فيزيقية .

وهناك رأى أرجح يرجع تاريخ هذا الميلاد الى سنة ١٨٦٠ . حينما ظهر كتاب فولف عناصر السيكوفيزيقا والذى أدى الى ظهور قوانين العتبات الحسية فيما بعد (أنظر : Ludy . B 1988 p 152 - 153) وفى هذا الكتاب يوضح كيف أين الأحداث الفيزيقية وكيف نقيس آثار هذه الأحداث وبعده بسنتين ١٨٦٢ أصدر فونت كتابه عن الادراك الحسى (Bentamin et al 1987) غير أن معظم علماء النفس يؤرخون لهذا الميلاد ١٨٧٩ حيث فتح فونت أول معمل لعلم النفس فى ليبزج بألمانيا والذى انتشرت فيه معامل علم النفس فى أمريكا وأوربا الغربية (عبد السلام الشيخ ١٩٩٠ / ١٩٩١ ص ٢٨)

المدارس الأولى لهذا الميلاد :

ظهرت مدارس عديدة عند بداية الميلاد هذا ورغم أهميتها وضرورة عرضها فى هذا الكتاب خاصة وأنها وضعت البذور الأولى التى أثرت علم النفس كما هو حاليا إلا أنها أصبحت مجرد جزء من تاريخ علم النفس المعاصر من هذه المدارس .

١ - الإرتباطية :- ولقد سبق الإشارة إليها

٢ - البنائية :- إنبثقت هذه المدرسة من تجارب فونت للعمليات الحسية والتذوق والإنعكاسات والعينات الحسية والبصر حيث درس تتشنر الإنجليزى (١٨٦٧ - ١٩٢٧) على يد فونت ثم هاجر الى أمريكا للعمل بجامعة كورنيل سنة ١٨٩٣ أسس هناك المدرسة البنائية التى تهتم بالبناء العنصر للوعى كما تقسم خبرة الوعى الى مجرد إحساسات موضوعية مثل البصر الذوق وكذلك الى مشاعر ذاتية مثل الإستجابات الوجدانية الى صور عقلية (كالذى تراه فى ألاحلام) كما ركزت هذه المدرسة على منهج الإستبطان وترى هذه المدرسة أن دور العقل يتضمن العمل على عملية ربط إبداعى الى عناصر الخبرة .

ويرى لودى بنيابن أن البنائية انتهت بموت تتشنر بعد عمر ٦٠ سنة .

٣ - الوظيفية :- ظهرت كرد فعل للبنائية والإرتباطية على يد وليام جيمس (١٨٤٣- ١٩١٠) فى نهاية القرن الـ١٩ ومن المعروف أن وليام جيمس حصل على درجة الطب من جامعة هارفارد ولم يمارس الطب ثم درس فيزيولوجى ثم الفلسفة وأخيراً علم النفس ونشر سنة ١٨٩٠ كتابة " مبادئ السيكولوجيا " عرض فيه المبادئ الوظيفية والتى ترفض رأى البنائية فى تجزئة الوعى والشعور الى عناصر أو وحدات ، ذلك أن الشعور تيار مستمر وعلى هذا فعلينا ان نتعامل مع كل من

الوعى والخبرة كشعور دافق مستمر ومتكامل ونتعامل فى نفس الوقت مع السلوك الخارجى . وقد ساهم جون ديوى (١٨٤٢ - ١٩١٠) فى تطوير هذه المدرسة وأكد الفرق بينها وبين البنائية من حيث أن البنائية تسأل :

ما هى أجزاء وحدات العمليات السيكولوجية ؟

بينما الوظيفية تسأل :

ما هى أغراض (وظائف) السلوك الخارجى والعمليات العقلية ؟ كما تبنت الوظيفية رأى دارون بأن أكثر أنماط السلوك تكيفاً هى أنماط مترابطة ومتكاملة ومن هنا تتكرر بينما السلوك التكيفى غير متكامل وعادة يستبعد (عبد السلام الشيخ ١٩٩٠ الفصل الأول)

ثانياً : علم النفس كعام

مدخل :: مما سبق يمكن القول بأن علم النفس ظهر فى بداية القرن العشرين كعام وليد جديد يحمل ملامح العلم وينبئ بأهميته للبشرية مما دعى البعض الى القول بأن هذا العصر هو عصر علم النفس وطالما ظل داخل دائرة العلوم ويتبع المنهج العلمى بقدر هذا بقدر ما يظل علماً محتفظاً بهويته بينما إذا خرج من هذه الدائرة يصبح علم النفس لا هوية له كالوليد البشري إذا أنشأ فى بيئة أو قومية أو ثقافة غير ثقافته الأصلية . فلأهمية الظواهر النفسية وشيوعها تتنازعها أساليب تفكير متعددة كما أشرنا سابقاً معظمها بكل أسف غير علمى . ومن هنا أهمية التعرف على شروط العلم وخصائص المنهج العلمى مما يساعدنا على تحديد هوية هذا العلم وتميزما هو علمى منه وما قد يكون غير علمياً .

أ - خصائص العلم ومكوناته :-

١- بداية ظهور مصطلح " علـــم " :

يرجع ظهور هذا المصطلح بمفهومه المعاصر إلى عهد قريب عند فرنسيس بيكون (١٥٦١ - ١٦٢٦) أى فى بداية عصر النهضة الأوربية ثم ظهور التجريب كرد فعل مضاد للتفكير الميتافيزيقى نظرى أو عقلى خالص أثبت عمقه وجذبه فى نظر مفكرى تلك العصور .

وفى ذلك الوقت إستعار المفكرون إصطلاحاً يونانياً كان يستخدم ليدل على أى فكر وأى كلمة ويسمى لوجوس Logos يشيرون به إلى العلوم الفيزيقية التى تتبع المنهج التجريبي فقط ويمثل فرنسيس بيكون نقطة تحول من الدارسة الميتافيزيقية الى التجريب حيث هاجم المنطق الأرسطى الصورى القائم على مجرد إتفاق الفكر صورياً أو شكلياً مع نفسه أو مع شروط الاستنتاج المنطقى بغض النظر عن صدق أو كذب المقدمات المستنتج منها ونادى بيكون بالمنهج الذى نسميه حالياً بمنهج الاستقراء وبالرجوع الى التجربة والواقع والى المشاهدة ، ونادى الانسان أن يتحرر من الأوهام التى تسيطر على عقله مثل أوهام السوق والمسرح والكهف والجنس وهى أمور أصبحت معروفة لأى دارس للفلسفة الحديثة خاصة
(محمود زكى (١٩٦٠ - ص ١٩١) ديوارنت ١٩٢٢ - ص ١٢٦ .)

ويؤكد فرنسيس بيكون على أهمية الملاحظة من قصة يحكيها لنا فى كتاب له سنة ١٦٠٥ عن مجموعة من رجال الدين والعلماء اجتمعوا سنة ١٤٣٢ بأنجلترا ودخلوا فى مناقشات حامية حول عدد اسنان الحصان استمرت هذة المناقشة لمدة ١٣ يوماً فى جلسات متصلة وفى بداية اليوم ١٤ دخل شاب وسأل أحد قادة الفكر بالجلسة بأن يسمح له بجملة واحدة وهى بأن عليهم أن ينظروا فى فم الحصان ويلاحظون أسنانه

ويعدونها .

فشعر الموجودون بهزة عنيفة فنهروا الشاب ومنعوه من الحضور فى منتدياتهم وإستمروا فى مناقشاتهم . .

يرى بيكون أن هذا الشاب يمثل أساساً لكل علم وهو أن يعتمد على الملاحظة والأرقام بدلاً من السلطة والتأمل .

Through Munn, I.N . 1966 P . 5 .

بعد ذلك جاء أوجست كونت ١٧٩٨ - ١٨٥٧ مؤسس المدرسة الوضعية ، أكد رفضه للتفكير الصورى والميتافيزيقى وأكد أن الإنسان ليس له إلا أن يعرف عن طريق المشاهدة والإدراك الحسي فقط ثم كانت الوضعية المنطقية .

أو الوضعية العلمية .

ولم يكن أصحاب هذه المدرسة جميعهم فلاسفة بل منهم رياضيون وعلماء طبيعة وإجتماع إشتركوا جميعاً فى رفض الميتافيزيقا والتأكيد على المشاهدة والتجربة الحسية ، وقد تطورت هذه المدرسة خاصة فى فيينا على يد الكاتب Karnap صاحب المنطق الرياضي وفى القاهرة على يد أستاذنا الدكتور زكى نجيب محمود خاصة فى كتابية العظيمين " المنطق الوضعى ثم نحو فلسفة علمية " (القاهرة سنة ١٩٥٨) ولقد كان لهذه المدرسة دوراً هاماً فى تطبيق المنهج التجريبي على الظواهر الإنسانية خاصة موضوعات علم النفس وكذلك في تحديد مفهوم العلم والمنهج والتجربة بل أن الدين الإسلامى يدعوان إلى التجريب العلمى بمفهومه المعاصر حينما يقول الله تعالى " إن كل شئ خلقناه بقدر " وحينما يأمرنا نبيه الصلاة والسلام أن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر .

ومع تطور هذه المدرسة الفلسفية تطورت مناهج البحث العلمى ومفهوم العلم ولا يهمنا تتبع هذا التطور بتفاصيله مما قد يخرجنا عن هدفنا الأصلى وإنما يهمنا هنا أن نتعرف على ما هو العلم وما المنهج العلمى ولكى نعرف ذلك فإننا نتبع أساليب الوضعية المنطقية فنبدأ بتحليل المنهج العلمى ومكوناته . ثم نتعرف على العلم ثم المنهج العلمى .

٢- مكونات المنهج العلمى :::

العلم موجود فيما تدركه الخبرة الحسية فأساس العلم إذن هو المشاهدة بمعنى الخبرة الحسية للعالم وهو يسجل حدوث واقعة (عن الزبيدى ١٩٧١ / ٢٢ ص ٦) غير أن العلم لا يمكن أن نقصر على مجرد الخبرة والإدراك الحسى حيث أن مكونات المنهج العلمى عامة كما يذكر لنا د . مصطفى سويف هى :

أ - المشاهدة المضبوطة .

ب- الفكرة التى تعطى المشاهدة معنى (عن سويف ١٩٦٧ ص ١١) .

وهى نفس المكونات التى حددتها آراء فرنسيس بيكون ، ويؤكد هذا إذن أن المشاهدة المضبوطة شرط ضرورى لأى علم كذلك الفكرة التى ترتبط بالمشاهدة الحسية العادية ذلك أن التقدم العلمى والتكنولوجى أعطانا من الوسائل ما يزيد من دقة مشاهداتنا أضعاف ما هى عليه مما يجعل الخبرة الحسية العادية شئ مخالف للإدراك أو المشاهدة العلمية المضبوطة بل أن التكتيكات التى تزيد من قدرات حواسنا فى المشاهدة العلمية تتطور بشكل سريع يتطلب متابعة سريعة ومتصله لها وكلما إستطاع العالم الحصول على تلك التكتيكات أو الأجهزة المتطورة كلما يسر ذلك له التوصل إلى قوانين علمية من الصعب على زميل له ليس لدية وسائل متطورة مثلها التوصل إليها

ويؤكد الدكتور سويف أن المشاهدة المضبوطة تقوم بتسجيلها وتسجيل الظروف المحيطة بها . كما تستخدم بمعنى الأجهزة أو المقاييس كما أن أن أجزاء التجربة وهى مرحلة متقدمة على المشاهدة أى أكثر تقدماً منها بما تتضمنه من أجزاء التجريب وضرورة إستخدام مقاييس وأجهزة متقدمة معقدة تجعل من الإدراك العلمى مخالفاً تماماً للإدراك الحسي العادى ومن هنا فإن أجزاء التجارب دليل على مزيد من تقدم العلم (سويف ١٩٦٧ ص ٦٣ .

ويجب أن نلاحظ أن من أهم الملامح الأساسية للمنهج العلمى وجود علاقة ديناميكية بين المشاهدات أوالتجارب وبين الفكرة أو النظرية التى تعطى تلك المشاهدات معنى (عن محمود ١٩٧٩ ص ٨) والمقصود بالعلاقة الديناميكية بين الفكرة والمشاهدة أو بين التجربة والنظرية أنها علاقة متبادلة فقد نبدأ بمشاهدة أو تجربة مضبوطة للموقف كما يرى توجرسون Togerson 1958 ثم ترتقى الى مستوى نظرى ليفسر لنا هذه المشاهدة وتمر فيه من تكوين أى تفسير نظرى إلى أخره ثم قد نضطر إلى أن نعود مرة أخرى إلى التجربة أو المشاهدة . وعندما نبلغ أعلى مستوى نظرى فى نظرية معينة فإن قبول هذه النظرية أو رفضها إنما يكون أساسه الإتفاق بين ما نتنبأ به فى ضوء تلك النظرية وبين البيانات التى تم الحصول عليها من خلال مشاهدات واقعية .

ويجب أن نلاحظ أن الإعتماد على المشاهدات الواقعية والإرتباط بالواقع المدرك مرحلة تغلب على العلوم التجريبية عند بداية ظهورها ، ومع تقدم العلوم ونموها ترقى نحو مستوى أعلى من التنظير الذى يمكنها من العودة الى الواقع والمشاهدة مزودة بفروض عقلية قياسية يمكن أثباتها تجريبياً لتضاف فيما بعد إلى البناء النظرى الذى يرقى بالعلم ومن هنا نجد الفيزيقا والكيمياء يمثلان أرقى العلوم وأكثرها تنظيماً ولدينا فى المعادلات الكيمائية ونظرية الذرة مثلاً واضحاً لذلك .

٣- خصائص المنهج العلمى وإمكانية تطبيقه على الظاهرة النفسية :-

لن نعرض لتفاصيل تلك الخصائص خاصة أنها معروضة فى كتب أخرى عديدة متخصصة فى مناهج البحث أو فلسفة العلوم وإنما سنعرض فقط لما قد يفيدنا فى هذا الكتاب وما نظن أنه قد يضيف جديد للقارئ .

لا جدال بأن المنهج العلمى هو تلك الطريقة أو ذلك الأسلوب الذى يتبعه العالم فى معمله لتحصيل معلومات تساعده على فهم الظاهرة التى يقوم بالتجريب عليها فى معمله والتنبؤ بها والتحكم فيها أنه كما يرى كروثر نظام يتبعه الإنسان ويساعدنا على السيطرة على الطبيعة .

ولابد أن يعتمد على هذا المنهج كما أشرنا سابقاً على المشاهدة أو التجربة ثم على الفكر أو النظرية أو المشاهدة هنا تعنى مشاهدة ظاهرة هى موضوع العلم الذى يدرس فيه العالم . مما يعنى ضمنياً أنه لابد للعلم من موضوع قابل للتجريب وللمشاهدة العلمية وللقياس يستوى فى هذا عالم يدرس علميات التفكير عند الإنسان أو الحيوان وهو يتعرض لمشتتات إنتباه مثلاً كما فى علم النفس أو عالم أخر يدرس نفوذ شعاع ضوئى من ثقب كما فى الفيزيقا أو الضوء وآخر يدرس الأثر المترتب على تعريض ساق نباتية لأشعة ضوئية من نافذة جانبية (سويف ١٩٦٧ ص ٦١).

أى أن المشاهدة والنظرية والموضوع القابل للقياس تعتبر خصائص وفى نفس الوقت مكونات لأى منهج علمــى فى أى فرع من فروع العلم الفيزيقية كانت إنسانية وهناك خصائص أساسية أخرى لأى منهج علمى من أهمها : الموضوعية – القابلية للإعادة – إمكان التحقق من فروضه على أساس الواقع ثم إمكان التوصل إلى مبادئ وقوانين تفسر الظواهر موضوع الدراسة .

والمقام لا يسمح بأن نتناول كل خاصة من هذه الخصائص على حده إلا أننا نحب أن نوضح بعض هذه الخصائص لما قد يكون قد علق بها من مفاهيم غير صحيحة أو من وجهة نظرنا تسبب خلطاً فى ذهن القارئ من هذه الخصائص :

١- القابلية للإعادة : ونعنى بها أن الباحث العلمى عليه أن يسجل كل تفاصيل إجراء تجربته بكل دقة وبدون حذف عنصر منها مما يساعد أى باحث آخر على إمكان إعادة نفس التجربة تحت نفس الشروط بتفاصيلها ليرى ما إذا كان ينتهى إلى ما إنتهى إليه زميله السابق مما يؤكد نتائجه أو لا مما يدعوا إلى مزيد من التنظيم والبحث عن تفاصيل غير واردة عند أى من الباحثين .

٢- والخاصية الثانية من خصائص المنهج العلمى والتى نود تناولها هنا هى الموضوعيه : ولم تعد تعنى إدراك الحقيقة الخارجية كما أو حتى النظر إليها من الخارج بل تعنى التوصل الى أداة قياس يتفق عليها ندركها من خلال إدراكاتنا الحسية وتحقق التواصل بيننا وتحمل نفس الرسائل عن طريق إدراكاتنا الحسية وفى نفس الوقت إستخدام لغة واضحة بمعنى أن كل حرف أو كلمة أو عنصر فيها لا يكون له إلا معنى واحد متفق عليه ومن هنا كانت الرياضيات أفضل لغة تحقق الموضوعية بإعتبارها ذاتية إجتماعية إتفاقية .

٣- من خصائص المنهج العلمى الأساسية الأخرى التوصل الى قوانين علمية ويجب أن نلاحظ . وهذه نقطة هامة جداً سنعود لها فيما بعد أنه ليس أى نتيجة توصل إليها باحث يمكن أو يحق له أن يسميها قانوناً أو حتى نتيجة علمية إلا إذا توافر لها الشروط الأربعة التالية .

أ - الفهم : أن أى تعطينا القدرة على فهم الشروط التى تحدث فيها الظاهرة بجميع

أفرادها والشروط التى ترتفع أو تنخفض أى نقل الظاهرة فيها والشروط التى تختفى فيها الظاهرة ويذكرنا هذا بقوائم الحضور والغياب والإختلاف النسبى عند جون ستيوارت مل أو بيكون .

ب – التنبؤ : وهو مرتبط بالفهم أى القدرة على التنبؤ مثل متى يمكن أن تحدث الظاهرة أو لا تحدث ومقدار حدوثها مستقبلاً تحت شروط معينة والتنبؤ غالباً ما يستخدم كمحك لصدق القانون أو النظرية .

جـ- التحكم :- وبمعنى القدرة على تناول الظروف التى تحدد الظاهرة بشكل يحقق لنا الوصول الى هدف معين والتحكم فى الظاهرة .

د – العمومية :- فالكلوروفيل سبب عام لخضرة أوراق الشجر ولو ظهرت ورقة شجر واحدة خضراء بدون كلوروفيل يكون لابد من إعادة النظر فى هذا القانون .

ولا يتحقق التحكم فى الظاهرة إلا إذا فهمنا فهماً علمياً الظروف والعلاقات بين المتغيرات والشروط الوقتية والمعلية التى تحددت حدوث الظاهرة . ويجب أن نلاحظ أن قدرتنا على التحكم فى الظاهرة وتكرار هذا ونجاحها فى تحقيق أهدافنا من خلال هذا التحكم يعد مقياساً جيداً لصدق فهمنا وصدق القانون أو النظرية .

وهناك أمثلة عديدة لذلك توضح لنا الفرق بين تلك الحقائق الممكن أن نطلق عليها نتائج أو قوانين علمية وتلك الحقائق التى نفسر بها موقفاً قد لا يتكرر كما فى حالة فهم مرض عند مريض ما أو السبب وراء إمساك شخص ما بالقلم ليسطر رسالة مثلاً . أو سبب زيادة إنتاج فى مصنع معين ووقت معين .

وباستقراء مبسط للعلوم التى تطبق المنهج العلمى بخصائصه السابقة نجد أن هناك علوم أكثر دقة من غيرها وبالتالى أكثر تقدماً من حيث زيادة المقدار الذى تقدمه

للتحكم فى الظواهر موضوع دراستها . وإختلاف هذه العلوم فى درجة الدقة غالباً ما يرجع إلى :

١- طبيعة موضوع العلم .

٢- دقة الإجراء التجريبي والقياس .

٣- تقدم المقاييس والأجهزة المستخدمة فى معاملها أو تجاربها وفى ضوء ذلك نستطيع فيما سيأتى أن نفهم لماذا علم النفس أقل دقة من الطب ومن الفيزياء والكيمياء والميكانيكا مثلاً .

ولا يكفى إذن أن نقول مع معظم العلماء المعاصرين بان الفرق فى الدقة بين علم وأخر إنما يرجع كما يرى كوستلر Koestler 1964 إلى أن بعض العلوم يسهل اخضاعها للتحقيق التجريبي والبعض الأخر يصعب ذلك (عن : محمود ١٩٧٩ ؛ ص٢) حيث أن السؤال مازال مطروحاً مع تغيير مبسط فى الألفاظ المستخدمة فبدلاً من أن نسأل لماذا هذا العلم أكثر دقة من ذلك العلم ؟ نسأل لماذا هذا العلم يسهل اخضاعه للتجريب أكثر من ذلك العلم ؟ وتظل المشكلة قائمة .

ونستطيع أن نحدد بجانب عملية لهذا السؤال فيما يلى :

ن العلم يكون أكثر و أسهل خضوعاً للتجريب من علم اخر بما يأتى :

أ - أن موضوعه قد يكون أبسط وأكثر تحديداً فى مجال عن موضوعات العلوم الأخرى .

ب- ونتيجة للشرط السابق قد يكون وسائل القياس أكثر عندها فى مجال أخر وسوف

نرى أن صعوبة التجريب فى علم النفس أو إنخفاض مستوى دقته عن العلوم الفيزيقية الأخرى إنما يرجع أساساً الى أن موضوعه مازال حتى الآن غير محدد تحديداً واضحاً ومن هنا أمكن للبعض إستخدام مناهج فيزيقية لدراسة علم النفس أو على الأقل مناهج تأميلية بل أدى هذا الأمر الى أن كثيراً من البشر غير المتخصصين يمكنهم أن يدلوا فى تفسير السلوك من خلال التأمل والإستبطان متوهمين أنهم من خلال ذلك يمكنهم فهم السلوك وتعديله ليس فقط بدون اللجوء الى المتخصصين بل وبدون الرجوع الى مراجع المتخصصه بل سمح بعضهم لنفسه أن يكتب ويحلل السلوك أو النفس كما يطلعون عليه سواء فى تفسير الفرد لسلوكه أو لسلوك غيره أو حتى لتفسير أى نتاج سلوكى كالأدب وعمليات الإبداع والتعلم .... إلخ .

ونختصر أسباب ذلك فى عدم فهم الكثيرين لمفهوم الموضوعية بالمعنى السابق الإشارة إليه .

مما سبق يمكن أن نلخص أهم خصائص وشروط المنهج العلمى فيما يلى :

١- أنه يعتمد على المشاهدة العلمية وليس الساذجة والفكرة التى تعطيها معنى .

٢- كلما كان العلم يعتمد على ملاحظة أو تجارب مضبوطة كلما كان ذلك دليلاً على تقدمة .

٣- لابد للعلم من موضوع محدد قابل للقياس والتجريب أو الملاحظة العلمية .

٤- لابد له كذلك من تكتيكات وأجهزة وافية صالحة متقدمة حيث أن إعتماده على الحس المباشر والخبرة الذاتية أو الملاحظة العابرة تمثل عوائق خطيرة أمام تقدم العلم .

٥- لابد أن ينتهى العلم إلى قوانين علمية يتوفر لها شروط هذه القوانين السابق ذكرها .

٦- هذا علاوه على ضرورة توفر الموضوعية وإمكانية إعادة التجربة أو المشاهدة والتحقق من فروضه على أساس الواقع بمعنى كما يرى مان أن يتعامل مع الوقائع بدلاً من الكلام حولها .

أساليب التجريب الفيزيقى فى الظاهرة النفسية :

خضعت الظاهرة السلوكية قبل نهاية القرن التاسع عشر لجميع أساليب التفكير السابق الإشارة إليها ماعدا الإسلوب العلمى ، وحينما نظهر المنهج العلمى .

وفى القرن ١٧ طبق فقط على الظاهرة الفيزيقية ولم يطبق على الظاهرة النفسية غير أنه لحسن الحظ درست بعض ظواهر السلوك ضمناً داخل معامل الفسيولوجيا وعيادات الأطباء بإعتبارها ظواهر فسيولوجيه وطبيه ولذلك حينما ولد علم النفس فى نهاية القرن التاسع عشر لم يولد من الصفر بل وجد نظريات ومعلومات فلسفية من خلال مدارس فلسفية حسية وتجريبية إنعكست فى المدارس النفسية الأولى التى اشرنا إليها كالبنائية والوظيفية والإرتباطية كما وجد قوانين رائعة وحقائق تولدت من المعامل التجريبية من الفسيولوجيا والطب والتى يجدر بنا أن نعرض لها عرضاً سريعاً توضح للقارئ أن علم النفس حينما ولد ١٨٧٩ لم ينفصل فقط عن الفلسفة بل عن الفسيولوجيا والطب كذلك والتى إنعكس لها خصائص من التفكير فى كل منها على علم النفس المعاصر .

الظاهرة النفسية من خلال دراسات الطب

يتناول الطب عادة الظاهرة المرضية - أى الشاذة - سواء جسمانية أو

عقلية وفيما قبل القرن الـ١٦ كان ينظر الـى المرض العقلـى بإعتبـاره نتيجـة لتقمـس أرواح شريرة لجسد المريض والعلاج يتركز بتعذيب أو حرق المريض وكان يعتقد أن القمر والنجوم لها علاقة بتلك الأمراض .

ولا يهمنا تفاصيل هذا الإعتقاد وتطـوره خاصـة وقد أصبحت معروفـه لـدى طالب علم النفس العـادى فـى تـاريخ هذا العلم ، وإنمـا يهمنـا أن نشير هنـا إلـى أن السلوك المرضى وهو أحد موضوعات علم النفـس الحاليـة تناولـه السـابقون فـى تلك الفترة بمناهج غير علمية ، وفسروه بإستخدام إفتراضات تقوم على فكرة خاطئة لمبدأ العلية وإنتهت بالتالى الى تفسيرات غيبية ، وفى بداية القرن ١٦ ظهر باراسلسيوس Paracelsus وهـاجم فكـرة الأرواح الشـريرة ، وإعتـبر المـرض العقلـى كـالبؤس مـرض كـأى مـرض يمكـن علاجـه - إلا أنـه قـال بالمغنطيسـية الحيوانيـة وربـط بيـن الأمراض العقلية والنجوم وأن القمر له تأثير خاص علـى مـخ الإنسـان ، وهـذا القـول يوضـح مـدى تـأثره بالغيبيـات وآراء العصـور الوسـطى ، ثـم تبعـه يوحنـا وايـز Johanna wayer ١٥١٥ - ١٥٨٨ الـذى تـأثر بـالمرضى الذين كـانوا يعذبـون ويحرقون وقام بدراسة دقيقة عن مشاكلهم وعما كان يسمى بالأرواح الشريرة ونشر كتاباً سنة ١٥٦٣ أكد فيـه خطـأ مـا يسـمى بـالأرواح الشـريرة وبـأن المرضـى ليسـوا أشراراً بل مجرد مرضى . إلا أن رجال الدين هاجموا أفكاره ولـم يكتـب لهـا النجـاح ، كما تبعه ريجنـالد سكوت ١٥٣٨ - ١٥٩٩ إلا أن جيمـس الأول ملـك إنجلـترا أحرق كتبه .

وهكذا فبالرغم من هذه المجهودات الفردية ظل الفكر الخرافـى ينطبـق علـى الفيزيقيين ويمثل طبيعة المنهج الذى به يفسر سلوك المرضـى فـى ذلـك العصـر حتـى بداية القرن الثامن عشر وظهور بوادر نهضـة علميـة مجـال التشـريح والفسـيولوجى والكيمياء ، مما أدى الى أكتشافات تدريجية لشـروط عضويـة وراء الأمـراض العقليـة

تأكدت هذه النظرة عند فون هيلر Fon Haller ١٧٠٨ - ١٧٧٧ فى كتابه عناصر الفسيولوجيا - كما أكد وليام جريزنجر ١٨١٧ - ١٨٦٧ على أن الطب النفسي يجب أن يقوم على أسس عضوية وفسيولوجية توالت بعد ذلك إكتشافات أسباب عضوية وراء هذه الإطرابات السلوكية النفسية خاصة عند إيميل كربيلين . E Kraeplin ١٨٥٦ - ١٩٢٦ والذى لعب دوراً بارزاً فى إقامة وجهة النظر العضوية فى تفسير المرض العقلى وكان أول من وضع تصنيفات علمية لهذا المرض منها :

العته - الذهان - الإكتئاب .

وذهب أصحاب وجهة النظر العضوية إلى أن علاج الأمراض العقلية النفسية يعود الى علاج عضوى فحسب ، حيث أن وراءها جميعاً أسباب عضوية إلا أن التطبيق العلمى أنتهى بهؤلاء الى الشعور بخيبة أمل كبيرة ذلك أن معظم هذه الأمراض كانت ولم تزل حتى نهاية القرن العشرين أمراضاً وظيفية لايوجد ورائها أسباب عضوية واضحاً (فلوّجل ١٩٦٤ مترجم) .

إلا أن وجهة النظر هذه تمثل تطوراً هاماً من التفكير الخرافى لفهم أحد مظاهر النشاط النفسي إلى التفكير العلمى - بقدر الإمكان - لفهم هذه الظواهر . فبدلاً من البحث عن أسباب خارجية كالقمر أو النجوم أو الأرواح الشريرة بدأنا نبحث عن أسباب مباشرة داخل المريض نفسه - حتى لو جانبنا الصواب ، ورغم ذلك لم يكن منهج هذه المدرسة منهجاً علمياً بكل خصائص المنهج العلمى الذى نعرفه حالياً ، خاصة فيما يتصل بتعميمهم الأحكام بدون أسانيد عقلية وتجريبية (سنلاحظ أن هذا التعميم مازال يحدث فى علم النفس المعاصر) مما أصابهم بخيبة أمل كبيرة حينما أكد التطبيق عدم صدق دعواهم ولقد أدى هذا الموقف لكثير من أطباء ذلك العصر الى

إتخاذ أساليب علاجية بدأت أحينا بالغيبات منهم على سبيل المثال أنتون مسمير وما إدعاه من مغناطيسية حيوانية تملأ الكون ويمكن للطبيب أن يستخدمها ثم تبعه جيمس بريد فى كتابه " تفسير النوم العصبى وعلاقته بالمغناطيسية الحيوانية سنة ١٨٤٣ والذى أرجع التنويم إلى شلل العصب البصري ، ثم جاءت مدرستا نانسي وباريس فى باريس سنة ١٨٦٠ والتى أرجعا التنويم الى الأحياء (سويف ١٩٧٥) وأتى بعد هذه المدارس الطبيب وعالم النفس المشهور سجموند فرويد .

(٢) الفسيولوجيا :

يوجد فرع أخر من فروع الفيزيقا سبق الفسيولوجيا هو - الفينولوجيا وكانت الفينولوجيا تهتم بربط البناء الجسمى خاصة الجمجمة بالسلوك ، وهى أقرب للمدرسة الإيطالية - فى ذلك الوقت - والتى كان على رأسها فبرى ولمبروزوا وتسمى بالمدرسة الإيطالية للجريمة وكانت ترى أن المجرم له خصائص جسمانية تميزه عن الشخص العادى .

ومن أوائل من قام بدراسة الفازينولوجيا هما عالم التشريح فرانز جوزيف جول وزميله سيورز هايم ظهر فى فيينا ثم هاجر الى أمريكا سنة ١٨٨٠ - ١٨١٣ ولقد ظهرت مجلة تحمل إسم الفينولوجيا البريطانية سنة ١٨٢٣ وإستمرت تصدر فترة طويله إلا أنها إنتهت سنة ١٩١١ ، ومن أهم ما قامت به تقسيمها العقل الإنسانى الى ٣٧٠ ملكا تدور حول الوجدان ، العقل ، ويمكن التأكد من هذه الملكات فى نظر هذه المدرسة بتحسس النتوءات فى المحيط الخارجى للجمجمة ، ولقد تأكد خطأ هذا الفرض حالياً .

وفى تلك الفترة فى بداية القرن الـ١٩ بدأت معرفتنا بالجهاز العصبى على

أيدى بل وماجندى وكس تشارلز بل هو اسكتلندى اول من ميز بين الاعصاب الحسية والحركية ومن أهم كتبه (الجهاز العصبى للجسم الإنسانى ١٨٢٠)

ولما كان تقدم أىّ فرع من فروع العلم تقدماً حقيقياً يعطى مساهمة جيدة لتقدم فرع أخر فإن ظهور عالم البصريات ليسنر ١٨٣٠ أعطى القدرة على إستخدام مبتكراته البصرية لإكتشاف الخلايا فى مجرى الدم وفى الأنسجة الحيوانية وفى نفس هذا العام إستطاع الطبيب الأسكتلندى مارشال هول التمييز بين الأفعال الإرادية والأفعال المنعكسة . ونتيجة للتحسينات التى أدخلت على الميكروسكوب إستطاع العلماء التمييز بين الخلايا والأوتار أو الخيوط ، كما إتضح أن المادة السنجابية فى المخ أساساً من أجسام الخلايا العصبية . وفى سنة ١٩٣٩ وجد ناس Nass أنه إذا قطع عصباً من منتصفه فإن طرفه المركزى يظل سليماً بينما يحدث تلف لطرفه المحيطى (وبإستخدام هذه النتيجة نستطيع أن نتعرف مثلاً على ما إذا كان العصب مصدراً أو مورداً أى حسياً أو حركياً) وفى سنة ١٨٥٠ إستطاع هلمهولتز بإستخدام نتائج ناس فى قياس سرعة الدفعات العصبية وكانت تلك السرعة تقدر قبله بحوالى ١١ مليون ميل /ث بينما أثبت هلمهولتز أنها فى الإنسان تتراوح ما بين ٥٠ - ١٠٠ قدم /ث كما إخترع هلمهولتز سنة ١٨٥١ جهاز الفحص البصري ويسمح للفاحص بالنظر مباشرة فى العين كما تكلم عن إدراك الألوان فى كتابة فيزيولوجية الأبصار والذى ظهر فى ثلاث أجزاء سنة ١٨٥٦ ، ١٨٦٠ ، ١٨٦٦ ولقد كان الرافض الفسيولوجى من أهم الروافض التى أثرت فى علم النفس وأكسبته الصيغة العلمية التجريبية ، ويكفى أن نعرف أن التعلم وهو من أهم فروع علم النفس إنما يرجع الفضل فى تفسيره ومعرفة بعض قوانينه الى علماء مشهوريين على رأسهم عالم فيسيولوجيا هو إيفان بافلوف .

علم النفس علم طبيعي أم إنساني :

العلم بكل بساطة إذن هو ما يتضمن مكونات المنهج العلمي الفكرة والمشاهدة والموضوع القابل للقياس والسابق مناقشتها ويتسم بخصائص هامة منها :

الموضوعية - والقابلية للإعادة والوصول الى قوانين تعطينا القدرة على التنبؤ والتفسير والتحكم وأن تكون عامة فلا علم إلا بما هو عام (العمومية هنا بشرية نسبية وليست مطلقة) .

ويتفق العلماء حالياً على تقسيم العلوم إلى قسمين :

أ - علوم طبيعية .

ب- علوم إنسانية إجتماعية .

فإلى أي قسم من هذين القسمين ينتمي علم النفس ؟

بالرجوع الى التراث السيكولوجي نجد أن الإجابات تختلف فالبعض يرجعه الى فئة العلوم الطبيعية والبعض الأخر الى فئة العلوم الإنسانية .

ويرى عالم الذرة المشهور أبتهيمر أن علم النفس هو علم طبيعي وإنضمام الجمعيات النفسية سواء في مصر أو في روسيا أو الولايات المتحدة الأمريكية ... إلخ . الى الإتحادات العلمية التي تضم الجمعيات الفيزيائية المختلفة بدعم قول أبتهيمر (مصطفى سويف ١٩٦٧ - ص ٦٥) .

بينما يرى الكثيرون أن علم النفس علم إنساني إجتماعي خاصة بعد المقالة التي نشرها سنة ١٩٣٩ ستيفس . (١٩٠٦ - ١٩٧٣) أكد فيها فروقاً [illegible]

بين علم النفس والعلوم الفيزيقية كما غير بردجان تحمسه السابق لعلم النفس باعتباره علماً فيزيقياً فى مقال له سنة ١٩٥٤ كما أن علم النفس لم يزل يدرس حتى الأن فى أقسام علم النفس بكليات الأداب والعلوم الإنسانية (لمزيد من التفاصيل أنظر عبد السلام الشيخ ١٩٩٠ / ١٩٩١ ص ١٤٢ - ١٤٩) وهناك قلة أخرى ترى أن علم النفس علم قائم بذاته له خصائصه وموضوعه المميز بالرغم من تماثل مناهجه مع مناهج العلوم الفيزيائية .

ولكى نتعرف عليه جيداً فعلينا أن نتعرف على موضوعه ومنهجه .

الموضوع والمنهج :

١- المنهج :

علم النفس كأى علم فيزيقى ومن هنا لابد أن يستند الى قاعدة علمية وذلك من خلال المنهج العلمى .

المنهج العلمى : عادة يشمل على أربع خطوات أساسية هى :

١- تلمس أو شكله أو سؤال قابله للبحث ويتم التوصل الى المشكلة من خلال قراءتنا للتراث السيكولوجى ومن خلال خبراتنا وملاحظاتنا العادية وملاحظة السلوك والتراث الشعبى والعادات والمشكلات المطروحة على الرأى العام .

٢- **وضع الفروض** : والفروض عبارة عن جملة خبرية محددة حول المشكلة المطروحة كإحتمال لتفسير هذه المشكلة وله شروط عديدة لابطريق إتباعها ليس هذا كل عرضها .

٣- **إختيار صحة الفرض** : من خلال التجارب أو مناهج مضبوطة من الملاحظات

العلمية .... إلخ .

٤ – تحليل نتائج إختبار صحة الفروض وإستخلاص نتيجة (أنظر عبد السلام الشيخ ١٩٩١ مذكرات فى العمل) وتعتبر المرحلة الثالثة هى أساس المنهج العلمى وعادة يسمى بإسمها كما سنرى ونتناول الأن المناهج الأساسية فى البحث والتى عادة ما نبحث الفرض المطروح :

أ – منهج الملاحظة الطبيعية :

فى هذا المنهج يقوم العالم مستخدماً كل الأجهزة والوسائل المتاحة بملاحظة الكائن الحى أو الإنسان وهو يتصرف ويسلك داخل البيئة بشكل طبيعة وعادة نستخدم فيه أدوات تصوير كالفيديو مثلما نقوم بتصوير أطفال يلعبون فى ملعب مدرسة بدون علمهم وهم يلعبون بشكل طبيعى (أجريت هذه التجربة فى قسم علم النفس بكلية الأداب خالد الفخرانى بإشرافنا) .

وحينما نريد أن نعرف مثلاً العلاقة بين طريقة الأكل وكونه الإنسان نحيفاً أم سميناً هنا قد ندرس عادات الأكل لذوى الوزن الخفيف والثقيل ونلاحظهم فى أماكن الأكل والمطاعم وغيرها ونصورهم .

أو حينما نتعرف على تصرفات الناس وثباتهم تحت موقف حرب مثلاً هنا نلاحظ الناس وهى فى حالة حرب فعليه تكون قائمة بسبب أو لأخر ونصورهم .

وهذا المنهج يسمى منهجاً وصفياً Rathus 1990 P . 23 والمنهج الوصفى لا يعنى ذلك الوصف الفوتوغرافى الظاهرة بل لابد من إستخدام وصفاً خاصاً وأن يعطينا الوصف نتاجاً جديداً وعادة يوضح لنا العلاقات بين متغيرات الظاهرة موضوع الملاحظة (فاندالين ١٩٧٧ ص ١١٣) .

ب- المنهج العلاقى :

يركز على البحث عن العلاقة بين المتغيرات مثل الذكاء والتحمل ومثل العلاقة بين الصحة والتدخين هنا نبحث عما إذا كانت هناك علاقة بين سمة ما وسلوك معين؟ وننتهى الى معامل إرتباط بينهم كما إتضح فى معاملات إرتباط مرتفعه بين الذكاء والتحصيل وعادةى يحضر معامل الإرتباط بين (٠ - ١) (٠ - ١٠) والعلاقة بين الذكاء والتحصيل تنحصر عادة ما بين ٦٠, ٧٠, وهى علاقة موجبة تعنى أن كل منهما يؤثر فى الأخر إيجابياً .

والعلاقة بين الإيعصاب والصحة علاقة سلبية بمعنى كلما زاد أحدهما قل الأخر .. إلخ ويجب أن نلاحظ هذا المنهج قد يطرح السبب فقط إلا أنه لا يؤكد لنا غير أنه يحدد لنا ما إذا كان من الحكمة أن نجرى تجربة أم لا مثلً إذا ظهرت أنه لا توجد علاقة بين الذكاء والتحصيل فإن هذا يعنى أنه لا فائدة من إجراء تجربة لمعرفة أثر أحدهما على الأخر .

جـ- المنهج التجريبي :

فى المنهج التجريبي لا تقف أمام الظاهرة لمجرد وصفها بل يقوم الباحث متعمداً لمعالجة متغيرات يكون قد حددها ووقلبها ويحدث فيها متغيرات معينة ثم يقيس أثرها على المتغير التابع (فاندالين ١٩٧٧ ص ٣٣٩) ويتطلب المنهج التجريبي عمليات ضبط صارمة لمتغيرات الموقف الذى تتم فيه التجربة بعد حصر هذه المتغيرات وتصنيفها الى متغيرات دخلية ويتم إستبعادها أو تثبت تأثيرها ومتغيرات مصتلقه وندخل عليها المتغيرات المطلوبة ومتغيرات تابعة ونقيس تأثير المتغيرات المستقله فيها (أندور جـ١ ١٩٨٣ ص٢٢ - ٢٣١) ويعتبر المنهج التجريبي من أفضل المناهج التى تحدد لنا العلة والمعلول أو المعلوم ولكن نفهمه جيداً

نذكر أمثله منه .

ففى تجربة نريد أن نرى منها أثر تعاطى الكحول على السلوك العدوانى ، هنا يكون الكحول متغيراً مستقلاً والسلوك العدوانى متغيراً تابعاً وبإختصار نأخذ عينة ونقيس سلوكها العدوانى ثم نقسمها الى مجموعات أربع مثلاً . المجموعة الأولى لا يعطيها كحول الثانية يعطيعها جرعة بسيطة - الثالثة جرعة متوسطة الرابعة جرعة كبيرة . الأولى هنا نسميها ضابطة ثم بعد ذلك نقيس السلوك العدوانى مرة أخرى للعينات الأربع ونرى أى العينات زاد سلوكهم العدوانى بعد التجربة وتناول الكحول . إذا كان السلوك العدوانى للعينة التى لم تتعاطى الكحول لم يرتفع شكل جوهرى بينما زاد العدوان عند المجموعات الثلاثة الأخرى وكان مع هذا أن تعاطى الكحول يزيد العدوان وأن المتغيرات الأخرى كإجراء التجربة ومقابلة العينة ليس لها تأثير حيث لم تؤثر فى العينة الضابطة ثم ننظر فى المجموعات التجريبية الثلاث لنرى مكا إذا كان سلوكهم العدوانى يزيد مع زيادة الجرعة أم لا .

وتسود التجربة فى مجال علم النفس الفيزيولوجى كما فى حالة إذا أردنا أن نعرف أثر أى جراحة فى المخ على السلوك وهناك نمط جديد فى المنهج التجريبي يسمى التجربة العمياء المزدوجة . ونستخدم فيها مجموعة تجريبية ومجموعة ضابطة وهو أمر عادى فى المنهجح التجريبي غير أن الجديد هنا أننا نستبعد أثر الإيحاء فى التجربة سواء على المفحوصين وحتى على الباحثين ولذا تسمى التجربة العمياء المزدوجة .

مثال :- ولنفترض أننا نحاول دراسة أثر الكحول على العدوان وأن نستبعد أثر الإحياء على العدوان ذلك أن مجرد شعور الفرد أنه يشرب الكحول ربما يوحى له بزيادة العدوانية ويكون العداء منه هنا نتيجة للإيحاء وليس للكحول وبالتالى نريد أن

نستبعد أثر الإيحاء . هنا تتم التجربة العمياء المزدوجة كما يلى

أ - التجربة تنقسم الى :

أ) تتعاطى كحول * وتعتقد أنها تتعاطى   إرتفاع العدوانية .

ب- تتعاطى * تظن أنها تشرب ماء .   إرتفاع العدوانية .

ب - الضابطة تنقسم الى :

جـ - تتعاطى ماء * تعتقد أنه كحول   * ....

د - تتعاطى ماء * أنه وهى   * ....

وممكن أن نستنتج من الرسم السابق :

١) أن مجرد الظن أننا نتعاطى كحول لا يرفع العدوان وحدة .

العينة (ب + جـ)

٢) معرفة أن ما نتعاطاه وهى لا تؤثر على العدوان (العينة ب + د)

٣) أن مجرد التعاطى بغض النظر عن الإيحاء يرفع العدوان (العينة أ + ب)

ويعد المنهج التجريبي من أهم وأصدق مناهج البحث العلمى السيكولوجى ومع مرور الوقت يزداد إنتشاره ولا يعد أن ينتهى الى نتيجة تعم كما هناك شروط لابد من توافرها حتى يمكن التعميم من أهمها بالتأكيد أن تكون العينة ممثلة للجمهور.

د - المنهج التاريخى :

غير شائع الاستخدام إلا أنه يمكن استخدامه فى دراسة الحالة كما فى تتبع تاريخ حالة مرضية ، وفى علم النفس الاجتماعى ودراسة سلوك الحكماء والزعماء عن طريق تتبع تاريخهم وتحليله سيكولوجياً والتنبؤ بسلوكهم وبالطبع يستعان بخطبه وعلاقاته بزملائه خلال مراحل حياته وأقربه .... ألخ . كما قد تكون الظاهرة التى ندرسها آثار الحرب على اسلوب الاستهلاك عند الناس هنا تحتاج الى المنهج التاريخى ، بل يمكن استخدام المنهج التاريخى فى علم النفس الاجتماعى المرتبط بالتنبؤ بتقدم أو تخلف الأمم كما فعل ماكيلاند فى دراسته للعلاقة بين الدافع للإنجاز والتنبؤ بتقدم أزدهار الأمم . وعامة فى المنهج التاريخى يتضمن :

١- أنتقاء المشكلة ٢- جمع المادة العلمية

٣- تحليلها ونقدها ٤- صياغة الفروض

٥- التأكد من صدق الفروض ٦- تفسير النتائج .

(فآن دالين ٧٧، ١ ص ٣١٣)

هـ- مناهج مسحية :

حينما تكون الظاهرة متشابكة ومعقدة ولم يسبق دراستها خاصة المشكلات الاجتماعية مثل ظاهرة تعاطى الحشيش ، أو تكون ظاهرة من الصعب دراستها بتعمق كالسلوك الجنسى .. ألخ . هنا لابد من استكشاف الطريق وتكون الدراسات الاستكشافية التى عادة تتبع المسح إذ تسمى بالدراسات المسحية وتستخدم فيها الاستخبارات وتحلل الاستجابات بالحاسبات الألية مما يمكن مسح آلات الأشخاص

فى وقت واحد مثل بحث كنزى عن السلوك الجنسى بجامعة انديانا وبحث تعاطى الحشيش بمصر المركز القومى (بأشراف د. مصطفى سويف)

كما يستخدم منهج المسح لمعرفة قيم واتجاهات الناس كما فى بحوث حديثة عن الجنس لهانت ١٩٧٤ .

غير أن نتائج هذه البحوث لا تؤخذ كبرهان كان ومن هنا ضرورة تكرارها خاصة أن الناس قد يزيفون استجاباتهم .

د- منهج الاختبار :

مثل اختبارات الشخصية - الذكاء ولدينا الآن كماً هائلاً ومقنعاً من الاختبارات النفسية .

غير أنه يمكن أن يزيف الأفراد استجاباتهم على هذه الاختبارات سواء شعورياً أولا شعورياً تحت ما يسمى بمعامل الجاذبية الاجتماعية أو ميل بعضهم للإستجابة بالموافقة نعم غالباً أو لا والنفى غالباً كما قد يميل بعضهم للتطرف الموجب أى التطرف فى الموافقة أو التطرف بأساليب أى التطرف فى المخالفة كل هذه أمور علاوة على القدرة العصبية تخفض من صدق المسح والاختبارات كذلك غير أن التيقن الجيد للاختبارات خاصة صدق الاختبار يقلل كثيراً من تأثير هذه العوامل .

٢- موضوع علم النفس

يقصد بالموضوع الظواهر النفسية والسلوكية التى يدرسها العلم وما دام أى انسان نتصوره له وجهة نظر سلوك ما مهما كانت ثقافته أو تخصصه فإن ظواهر النفس هى موضوع لكل البشر كما أشرنا سابقاً وذلك قبل أساليب التفكير التى يعرفها

البشر مهما كان هو وبالطبع إذا كانت هذه الأساليب غير علمية وغيبية فأنها تدرس كل الظواهر النفسية المادية العيانية والغيبية ومن هنا يتحدد الموضوع علم النفس هنا بينما إذا حصرنا دراسة الظواهر النفسية فى المنهج التجريبى نجد أن الموضوع هنا يتحدد بالسلوك القابل للادراك والمشاهدة ويستبعد ما دون ذلك وهكذا يختلف الموضوع بإختلاف أساليب التفكير فيه .

أ- موضوع علم النفس عند الانسان العادى

يرى ساراسون أن الانسان العادى منذ وجد على الأرض حاول أن يفهم نفسه وسلوكه بعدة طرق .

١- بأسلوب علمى .

٢- بالاستنتاج المنطقى الفلسفى .

٣- بالتفسير الدينى .

وكل منا يحاول أن يصف ويتنبأ بسلوك الآخرين .

Sarason et al 1982 p 13

وكل انسان منا بدون وعى منه يتصرف وكأنه أخصائى نفسى فيحاول أن يتكلم عن ذكاء الآخرين ويحلل تصرفاتهم وكل هؤلاء كما يسميهم بيرت سيكولوجين هواه

Burtt (961 p 11) London k 1982 p 5

وهذه الظاهرة ضرورية لكل انسان لظروف كثيرة فمعظم حاجاتنا لا يمكن أن تشبع إلا بمحاولة فهم سلوك الآخرين ومن الواضح أن أساليب تفكير الانسان العادى يمكن

أن تغطى أية موضوعات عيانية أو غيبية سواء فى نفس أو روح أو حب أو كراهية أو خيراً أو شراً أو مرض وسواء . ألخ . وفى دراسات مسحية سريعة ومعاصرة اتضح منها أن فكرة الانسان العادى فى مصر عن علم النفس فكرة مشوهة الى حد كبير من حيث معرفته علمياً والنفسى المعالجين أو المصريين من حيث موضوع علم النفس واتضح عامة أن الصبورة الشافعة عن علم النفس لدى الجمهور العام منخفض التعليم عارضة يختلط بها علم انفس مع الخرافة كالروح البشرية والحيوان والعقل الباطن . أما الجمهور العام الأعلى متعلماً (متوسط وجامعى) فتختلط لديه صورة علم النفس وتتدخل مع الطب النفسى والأدب والفلسفة . عن عبد الحليم محمود وأخر ١٩٩٠ ص ١٣ - ١٨ .

موضوع علم النفس عند الدينايين :

هم علماء النفس الذين يرون أن لعلم النفس منهجه الخاص به وأن المنهج التجريبى غير مناسب لدراسة الظظاهرة النفسية التى هى بطبيعتها دينامية ومعقدة وتخفى على التجريب ويعتبر فرويد وتلاميذه أهم من يمثل هذا الاتجاه وكذلك الخطأ والانسانيون أن موضوع علم النفس عند هؤلاء يتضمن دراسة كل من أوجه حياتنا وسلوكنا ودوافعنا وادراكنا ومشاعرنا كيف نفكر وكيف نعمل أى أنه يتضمن الحالات السيكولوجية باعتبارها حالات شعورية به تجارب حية عند الأخرين وليست مجرد ظواهر منفصلة داخل المعمل فالكل يراه الخشطالينون هو الحقيقة النفسية ولا يمكن عزل واقعة سيكولوجية كما يتطلب المنهج التجريبى عن الواقعة الكلية التى تنتمى إليها (أحمد عكاشه ١٩٨٠ ص ١١ - ٢٥)

والمجال الحيوى والحيز النفسى من أهم موضوعات علم النفس عند أحد هؤلاء وهو كيرت ليفين والادراك الكلى المتعالى مما يتضمن فهم وإدراك العلاقات واستبصار هو

من أهم موضوعات علم النفس عند الجشطالينون والذات واعتمادها على نفسها ووحدتها هى والقلق الخاص بها والمفرد هو الموضوع عند كارل روجرز ... ألخ . وصراعات الأعتاب والدوافع والشعور واللاشعور والحياة الدنيا من سلوكها ومرضها هو موضوع علم النفس عند التحليليين وأهم من ذلك فان المنهج السائد عندهم يقوم على الاستبطان والاكلينكى غير أن هذا لا تنفى تطبيق الخشطالينون للمناهج التجريبية .

جـ - موضوع علم النفس عند السلوكيين :-

كان السلوكيين - على الأقل نظرتها - أكثر اتساقاً مع أنفسهم عن غيرهم فما داموا سلموا بضرورة اتباع اللجوس بمعنى المنهج العلمى التجريبى كمنهج أساسى لعلم النفس ، فلابد أن يكون موضوع دراستهم قابلاً للخضوع لهذا المنهج ، أى قابلاً للقياس والضبط والتحكم التجريبى .

ومع أن السلوكيين كانوا أكثر اهتماماً من غيرهم بتحديد موضوع علم النفس فيما يسمى بتحليل السلوك الى استجابات وتحليل البيئة الى مثيرات ، إلا أنهم لم يتجاوزا مجرد هذا التحليل ولم يتخلصوا من عملية التسليم المسبق بوجود هذا الموضوع - هذا التسليم الذى توارثوه من المنابع الأولى لعلم النفس بل ومن المجتمع وما توارثوه عنه ،ولم يحاولا أن يتخلصوا من تلك الأفكار المسبقة أو أن يراجعوها وسلموا بوجود موضوعات علم النفس فيما أطلقوا عليه السلوك ثم حللوا هذا السلوك الى استجابات - ولم يوضحوا لنا ماهى هذه الاستجابات ؟ هل كل ما يصدر عن الانسان ككائن حى نعتبره استجابة ؟ والحقيقة فأن الجسم يصدر عنه ردود أفعال بشكل مستمر غير منقطع تبدأ من اجابة التلميذ على سؤال امتحان الى تقلصات معدة كرد فعل لنوع معين من الطعام بل الى تلوين الجسم للون الجلد مما يساعده

على الحماية من آشعة الشمس - أى هذه الاستجابات هى موضوع لعلم النفس وأيها يخرج عن نطاق هذه الدوائر ؟ لم يحاول أحد أن يطرح هذا السؤال ؟

كل ما فعله السلوكيين أن حللوا السلوك الى استجابات - أعتقدوا خطأ أنها عنصرية - بينما هى ليست أكثر من استجابات كاملة ومعقدة الا أنها بسيطة . أى أنها تمثل - لا عنصر السلوك - بل جزء من هذا السلوك . ولقد ظن السلوكيون أنهم حللوا السلوك الى عناصره لدرجة أن سمى ايرنك نظريتهم بالنظرية الذرية النفسية التى يقوم فيها الباحث بتحليل السلوك المركب الى ذراته ثم تناول كل ذرة أو عنصر من هذه العناصر ودراستها منعزلة ثم تجميع تلك الذرات المدروسة بعد ذلك فىالشكل الذى تنتمى اليه وبذلك يمكن لنا فهم هذا الشكل ، فهو هنا يتبع المنهج الديكارتى (نسبة الى الفيلسوف الفرنسى رينيه ديكارت) الذى ينادى فيه بتحليل المشكله الى عناصرها ثم تصعد مرة أخرى لتركيبها وكما يرى د. عبد الستار ابراهيم فان التعامل مع الأشياء دون تحليلها ليس من عمل العالم حيث لا يتعامل - إلا مع جزئيات لكى يلقى بضوئه على كل منها على حدة ، وينتقل بعد ذلك الى الأجزاء الأخرى وتتكون حصيلتنا العلمية من تراكم تلك المعرفة على مر التاريخ (عن إبراهيم وآخرون ١٩٧٤ ص ١٢)

وفى مجال السلوكية لابد من الاشارة الى رائدها الأول العالم الأمريكى واطسون (١٨٧٨ - ١٩٥٨) - وقد بدأ حياته العلمية تابعاً للنظرية الوظيفية - ثم تحول بعد ذلك الى السلوكية ، فرفض منهج الاستبطان الذاتى والذى سبق وركز عليه العلامة تتشنر ، بينما أكد واطسون على التجريبية التحليلية وذلك فى مقال له نشر سنة ١٩١٣ بعنوان " علم النفس كما يراه سلوكى " ثم فى مقال لاحق له سنة ١٩١٩ أكد فيها أن علم النفس يهتم بدراسة السلوك - وأن السلوك يوصف موضوعياً فى حدود المثير - الاستجابة وكذلك فى تكوين العادات وتكاملها ، ويرى واطسون أن

السلوكى يجب أن يستبعد من دائرة بحثه ألفاظاً شائعة مثل الشعور ، العقل ، التصور ، الحالات الوجدانية .. وويضرب واطسون أمثلة فى تحليله لظواهر السلوك الى إجراءات تتكون من مثيرات واستجابات ، فحينما يتناول الانفعالات مثلاً فانه يحللها الى ثلاث انفعالات يمكن ملاحظتها بشكل عام ومباشر فى الطفولة المبكرة وهذه الانفعالات الخام هى : الخوف ، الغضب ، الحب ويوضح كيف أن كل هذه الانفعالات تتكون من استجابات تثار بواسطة مواقف مثيرة ، فسلوك الخوف يظهر عندما يفتقد الطفل المعاونة عندما ينزلق أو يسقط أو يسمع صوتاً أو ضجة عالية ، ويظهر سلوك الغضب حينما تعاق حركته فى الوصول الى هدف ما ، ويظهر سلوك الحب حينما يربت عليه بلطف . والعادات كما يرى واطسون هى بمثابة عادات سببها التشريط .

(فلوجل سنة ١٩٦٤ مترجم بدون تاريخ ترجمة ص ١٨٣)

واختلاف موضوع علم النفس عند السلوكيين عنه عند الديناميين أدى الى اختلاف بينهما فى المناهج المستخدمة ومناطق التخصص كما يظهر من الجدول التالى الذى يقدمه شابلين وكراويك سنة ١٩٧٩ .

المتغير	علم النفس السلوكى	علم النفس الدينامى
الموضوع	السلوك (مثير – استجابة)	الوعى – الحوادث العقلية – الخبرة المباشرة – اللاشعور
منهج الدراسة	التحليل التجريبى	الوصف الفينومنولوجى – الاكلينيكى والتأملى .
وحدة التحليل	جزئيات السلوك	الكليات – السلوك الكتلى
مناطق التخصص	تعلم – علم نفس مقارن – علم نفس فيزيولوجى – علم نفس ارتقائى .	إدراكى – معرفى – دينامى – الشخصية .

Through : Chaplin & krawic . 1979 p . 14

فالسلوكى يهتم بدراسة أصغر الوحدات التى تقبل التجريب سواء سلوك بسيط استجوابى أو اجرائى معقد يمكن تجزئته ويرفض المتغيرات الخفية التى لا تخضع للقياس ولا للمشاهدة المباشرة وإذا استخدم السلوكى ما يسمى بالمتغير الوسيط كما عند (كلارك هل) فأنه لا يهتم به بقدر اهتمامه بالمثير والاستجابة ويبقى المتغير الوسيط الذى لا يخضع للإدراك المباشر مجرد بناء .

ومع هذا فان المنهج التجريبى لا يستلزم استبعاد مصطلح المتغيرات الوسيطية أو حتى يستلزم تحليل السلوك ذلك أن البنائين والجشطالتين استطاعوا أن يكونوا موضوعيين الى حد معقول دون تجزئة السلوك وتحليله ولعل ما ساعدهم على ذلك الطبيعة الخاصة التى تميز موضوع علم النفس أو الظاهرة السلوكية .

٣- علم النفس وملامحة العلمية

أ- ما هو علم النفس إذن ؟

هو ذلك العلم الذى يدرس الظواهر السلوكية القابلة للقياس والمشاهدة متبعا فى ذلك المنهج العلمى الذى يعنى أن تكون لبفروض قابلة للتحقق التجريبى وتكون الأجراءات والنتائج قابلة للاعادة .

Benjamir .H., Nation 1987 p. 2

وقد سبق أن أشرنا الى أن السلوك هنا هو الاستجابات المتباينة التى تصدر عن الانسان أو الكائن الحى والتى تناولناها تفصيلاً .

الفصل الثانى

السلوك والمثيرات

• **مدخل** :- يهتم هذا الفصل بمحاولات فهم - موضوع علم النفس بشكل مفصل هذا بالرغم من تعرضنا لهذا الموضوع فى الفصل الأول - ذلك أننا فى الفصل الأول عرضنا له عرضاً سريعاً بما يفيد فقط فى فهم تطور علم النفس ووجهة نظر كل من الانسان العادى والديناميين والسلوكيين لهذا الموضوع بهذه استكمال الاطار العام الذى حاول الفصل الأول تحديده حتى يوضح صدورة علم بشكلها الراهن فى وقتنا هذا .

كما أشرنا فى الفصل الأول الى مفهوم العلم ومدى على علم النفس حالياً - وأوضحنا أن أى علمٍ له موضوع خاص به يميزه عن باقية العلوم الأخرى فالميكانيكا لها موضوعها المتميز عن التشريح عن الفسيولوجيا عن الفيزياء ...... ألخ .

غير أن المنهج العلمى الذى تتبعه كل تلك العلوم ومنها علم النفس يكون منهجاً واحداً بصائصة وخطواته الأساسية وإن كانت تفصيلات كل منهج هذا المنهج تتلون بخصائص يميزها داخل نطاق علم ما عنها داخل نطاق علم آخر . غير أن الاطار العام للمنهج يظل متماثلاً - والتفصيلات الفارقة ترجع الى تباين موضوعات العلم ، فالمعالم الأساسية للمنهج العلمى فى الفيزياء من نفس المعالم لهذا المنهج فى علم النفس غير أن التباين الكبير بين موضوع الفيزياء وموضوع علم النفس يضفى تبايناً فى تفصيلات هذا المنهج حينما يطبق فى علم النفس عنها حينما يطبق المنهج فى الفيزياء - ومن هنا تعددت مناهج البحث فى علم النفس مناها فى الفصل الأول -

بشكل أكبر من تعددها فى علم مستقر .

الفيزياء نظراً لاتساع موضوع علم النفس وهلابنية لن تنعكس فى صعوبة تحديده .

من أجل هذا اهتم هذا الفصل بتناول موضوع علم النفس بشكل مفصل -

١- تحديد هذا الموضوع بقدر الامكان - خاصة وأنه غير محدد فى مؤلفات علم النفس المطروحة ومن وجهة نظرنا - بما فيه الكفاية .

٢- توضيح مدى الغموض الذى يغطى الموضوع . وإبراز هذا الغموض للقارئ الذى ربما يحاول مستقبلاً أن يزيل قدراً من هذا الغموض مما يسهم فى تحديد معالم الموضوع وتأكيد علمية علم النفس .

٣- ربما يساعدنا هذا على وضع الحدود الفاصلة والمشتركة بين علم النفس الأخرى كالعلوم الطبية والبيولوجية والاجتماعية .

٤- طرح المآل المتوقع لتطور علم النفس مستقبلاً بما قد يوفر لمجموعة من العلماء شروطاً تيسر لهم العمل داخل المعمل السيكولوجى بشكل متوازى للعلوم الفيزيقية

٥- ربما فى محاولتنا هنا إبراز مشكلة تحديد موضوع علم النفس الى مستوى الوعى ووضعها داخل بؤرة وعى السيكولوجين - ربما يساعد هذا على فهم كثيرين النتائج المتضاربة فى هذا العلم وكذلك على حلها مستقبلاً . وعلى فهم كثيرين المقالات النظرية المعاصرة التى بدأت تشكك فى وحدة هذه النتائج أو البحوث كما فى مقالات Stats خاصة فى مقاله أخيره له حول الوحدة والتشرذم فى علم النفس .

٦- أن عنونة هذا الفصل بالسلوك - المثرات وكذلك عنوان انكتاب أنما يهدف الى

توضيح أن أن المشكلة المعاصرة والمطروحة تكمن فى الرابطة الضرورية بين المثيرات والاستجابات .والتى أدت الى مزيد من غموض موضوع علم النفس فلم نعد نعرف هل موضوعنا هو السلوك . أم هو المثيرات أم هو س - م كما فى النموذج الذى وضعه السلوكيون بأى شكل كان .

٧ - توضح ما إذا كان هذا الموضوع - لو اعتبرناه هو السلوك - يختص بعضو الاستجابة أو بالوظيفة وهل يرتبط بوظيفة العضو أم ببنائه . أم بالوظيفة كما هى وظيفة أم ببنائها - وهذا لا صلة له بالطبع بنظرية تنشز البنائية ولا بالنظرية الوظيفية - كما يتضمن أسئلة لم يسبق أن طرحت من قبل - رغم أنها من الأهمية بما كان وراء تقدم مأمول لعلم النفس لا سبيل إليه إلا بالاجابة عليها .

٨ - لما كنا قد عرضنا بالفصل الأول لأهم التوجهات السابقة فى موضوع علم النفس نركز فيما يأتى على النظرة المعاصرة لموضوع علم النفس .

٩ - النظرة السائدة عن موضوع علم النفس المعاصر :-

فى النصف الأول من القرن العشرين اصطلح على تسمية وجهات النظر التى كانت سائدة حينذاك فى مجال علم النفس - باسم المدارس - مثل المدرسة الفرويدية أو التحليل النفسى والمدرسة السلوكية و الجشتالتية .. والبنائية ..ألخ وبالرغم من أن مصطلح " المدرسة قد اندثر مع بداية النصف الثانى من القرن العشرين - الا أن البعض لم يزل يستخدمه خطأ حتى الآن ، ولعل السبب وراء استبعاد مصطلح المدرسة " هذا والذى كان يسبق نظريات علم النفس كالجشتالتين والسلوكيين .. ألخ أنه مع زيادة وتنوع بحوث علم النفس حدث تداخل بينها وامتد هذا التداخل الى المدارس التى كانت تنتمى إليها تلك البحوث - حتى أننا نجد علماء مشهورين مثل - طولمان تنازعه السلوكيون والجشتالتيون . من هنا

كان أمام علم النفس طريقين الأول :- هو أن تندمج كل المدارس فى مدرسة واحدة ، وهذا أمر مستحيل فى مجال يدرس موضوعات عديدة متنوعة ومركبة مستخدما فى معظم الحالات المنهج التجريبى وما يستلزمه من ضبط وتحليل معقد أو تثبيت متغيرات و ضبطها - مما يؤكد وجود اتجاهات متنازعه ومتنوعة من المستحيل دمجها فى مدرسة واحدة .. ،

الثانى :- هو أن تتجة كل مجموعة من البحوث الى تكوين أنسقة صغير ة نشطة ومتكاملة . وتتجمع فى اطار نظرى يسمى بالنظرية تخلق مستوى من التكامل بين هذه البحوث .

ومن هنا استبعدت كلمة المدرسة هذه ليحل محلها كلمة منحى أو نظرية فى بعض الأحيان . وبعكس المدرسة فان النظرية أو المنحى أكثر دلالة على النمو والتكامل فيما بينها غيرها - تأكد ذلك فى شبه اتفاق بين علماء النفس من جميع الاتجاهات على أن علم النفس هو الدراسة العلمية للسلوك - الا أنهم يختلفون حول تحديد مفهوم السلوك . هل هو الأحداث الداخلية غير القابلة للملاحظة - أم أنه تلك الأفكار والتخيلات ... ؟

بالطبع ظل هذا الخلاف حول موضوع علم النفس قائماً حتى وقت قريب هل هو السلوك الظاهر أم السلوك الكامن ؟ كل منحى يطرح تعريفاً ثم يأتى المنحى الآخر يطور فى هذا التعريف بما ينمى من قدرة البحث العلمى .

وأخيراً أمكن للسلوكيين أن يحددوا مفهوماً لموضوع علم النفس بشكل جيد يكاد يحظى باتفاق معظم علماء علم النفس من جميع الاتجاهات خاصة وأنه شمل أنماط السلوك الظاهر والكامن ، الظاهر وما يشير إليه من استجابات نوعية أو مادة خام . والكامن هو أكثر أنماط السلوك امتداداً وهو ما يستنتج مثل العادات والسمات

والابعاد ومن أهم هؤلاء الذين وضعوا لنا تعريفات جيدة للسلوك ستاجنر ، البورت ، سويف وايزنك .

كما ادى هذا الأمر بكثير من علماء النفس الى الاهتمام بتحديد موضوع علم النفس وتلاقى معظمهم حول تعريف السلوك وتحديده بشكل أقرب الى السلوكية ، ومن أهم هؤلاء ستاجنر ، البورت ، وهانز ايزنك . ويشير سويف إلى أن من أهم معالم موضوع علم النفس عمليات التفكير وعمليات الادراك (سويف ١٩٦٧ ص ٢٣)

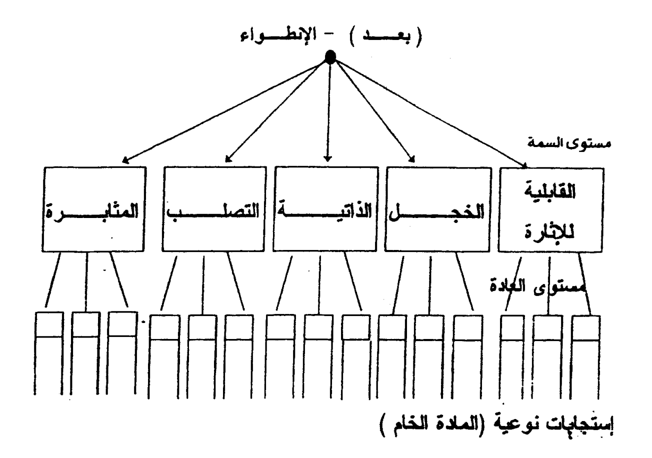
ويوضح في موضع أخرى أن التفكير والتصور والتذكر والادراك من أهم الوظائف النفسية التي تعتبر موضوعات لعلم النفس (المرجع نفسه ص ٨٥) ونتأكد من هذه النظرية حينما يتناول موضوعات علم النفس ليقسمها الى عمليات تتضمن العمليات العقلية العليا والتذكر والتخيل والذكاء والادراك والتعلم ثم وصف أشكال السلوك المرضي وأدوات التشخيص والوظائف النفسية أو جوانب السلوك والخبرة ... ألخ (المرجع السابق ص ١٧)

أي أن علم النفس يدرس السلوك الظاهر المباشر والسلوك غير الظاهر وغير المباشر فالتفكير والتخيل وظائف غير مباشرة ، وكذلك العاطفة – ورغم ذلك تعتبر من موضوعات علم النفس تخضع لمناهج البحث النفسي التجريبي ، ويبقى السؤال كيف تخضع ظواهر غير قابلة للمشاهدة العلمية للتجريب ؟ .

حاول كثير من العلماء الاجابة على هذا السؤال ، وقدموا لنا تفسيرات مقنعة الى حد ما سوف نعرض لها بعد قليل . وقبل أن نعرض لها يجدر الاشارة الى ما هو المقصود بالاستجابات والسلوك المباشر وغير المباشر .

المادة الخام السيكولوجى :-

يـرى سـويف وسـتاجنر وايزنـك أن الاسـتجابات النوعيـة المباشـرة هـى الاستجابات والسلوك الوحيد القابل للقياس المباشر ، فـالكلام وحركـات عضـلات الجهاز الصوتى والموجات الصوتية الصادرة ، كل استجابة منها تمثل ظاهرة نوعية يمكن قياسها ، والاستجابات النوعيـة هذه متعددة ومتنوعة بشكل كبير ويعتبرها هؤلاء العلماء بمثابة " المادة الخام للسيكولوجى " يعلوها أدنى مستوى من مستويات التنظيم تسمى بالعادة ، وكـل عـادة تنتظم تحتها مجموعة من الإستدابات النوعية المباشرة ، ثم هناك مستوى أخر أعلى من العادة يسمى بإسم " السـمات " وتحت كل سمة مجموعة من العادات تنتظمها سمة واحدة ، ثم فى أعلى الهرم البعد الذى ينتظم تحتها عدداً من السمات ، ولنأخذ أحد هذه الأبعاد وهو بعد الإنطواء / الإنبساط لـنرى كيف ينتظم تحته عدداً من السمات وكل سمة عدداً من العادات وتحت كل عادة الإستجابات النوعية .



رسم تخطيطي يوضح المادة الخام للسيكولوجى

(عن : د . عبد الستار إبراهيم وآخرون ١٩٧٤ ص ١١٣)

والإستجابات النوعية فى قاعدة الهرم تمثل المادة الخام للسيكولوجى - وهى قابلة للمشاهدة والتجريب المباشر والقياس - بينما العادات والسمات والأبعاد بناءات فرضية تستدل على وجودها ونقيسها من خلال المادة الخام - تماماً كما تقيس درجة الحرارة من حركة الزئبق داخل الترمومتر .

فمن خلال مشاهدة شخص ما فى مواقف يستمع فيها الأخرين إستدل على أن لديه عادة حسن الإستماع مثلاً - ثم أنه يحسن المذاكرة ومهما كان أمامه من مسائل معقدة فإنه يحاول أن يحلها ويثابر على ذلك .. هنا إستنتج أن لديه عادة الإجتهاد فى المذاكرة .. ومن مجموعة العادات يمكن أن نستنتج أن لديه سمة المثـ برة ، أى أننى درست العادة ثم عدد أخر من العادات المترابطة ، من خلال الإستجابات النوعية - ثم إستنتجت سمة المثابرة والتى تؤكد انه فى كثير من عاداته نجد أنه مثابر كما يستدل على ذلك من مشاهدة إستجاباته النوعية التى تندرج تحت كل عادة . ومن هنا أى من خلال قياس خصائص الإستجابات يمكن أن تعطى درجة للعادة - وهكذا بالنسبة للسمة ، وتعرفنا على درجة عادة معينة للشخص مثلاً يساعدنا على التنبؤ بإستجاباته النوعية التى تندرج تحت هذه العادة بدرجة إحتمال تتحدد فى ضوء الدرجة التى حصل عليها فى قياس تلك العادة . وتعرفنا على درجات عدد من العادات يمكننا أن نتعرف على السمة التى تنتظم تحتها تلك العادات - وبالتالى فإن تعرفنا على درجة سمة ما مثل سمة المثابرة - يساعدنا بشكل علمى على التعرف على عادات الفرد التى تندرج تحت هذه السمة - كما يعرفنا بجميع الإستجابات النوعية التى تندرج تحت كل هذه العادات . فتعرفنا على درجة أو مقياس العادة يساعدنا على التعرف والتنبؤ بإستجابات الفرد التى تندرج تحت عادة واحدة فقط بينما تعرفنا على درجة السمة يساعدنا على التنبؤ بالعادات التى تندرج تحتها ولتكن أربع عادات مثلاً . ثم يساعدنا كذلك على التنبؤ بمجموعات من الإستجابات التى تندرج - ليس تحت عادة واحدة وإنما تحت أربع عادات من هنا كانت السمة أعم من العادة . وهكذا البعد عد

من السمة لأنه يتضمن تحته عدداً من السمات ومن هنا فإن القياس أحد الأبعاد عند شخص ما يساعدنا على التعرف على السمات التى تندرج تحته على العادات ثم على مدى أوسع من الإستجابات .

فالتعرف على العادة إذن يساعدنا على التنبؤ بالإستجابات النوعية التى تندرج تحت هذه العادة ، ومن هان تكون ضيقة محدودة .

والتعرف على السمة يعرفنا بالعادات التى تندرج تحت السمة ولتكن أربع عادات يعرفنا على الإستجابات النوعية التى تندرج هذه العادات الأربع فالسمة إذن أكثر عمومية من العادة .

بينما تعرفنا على البعد يعرفنا على السمات المندرجة تحت هذا البعد ثم كل سمة تعرفنا على العادات تحتها ثم على الإستجابات النوعية ، ومن هنا كان البعد أعم تنظيم للشخصية - بل لم تعد الشخصية - خاصة عند السلوكيين - أكثر من عدد محدود جداً من الأبعاد المنظمة فى شكل هندسي يمكن قياسه .

ويجب أن نلاحظ أنه فى حالة إستنتاج أى مستوى من مستويات التنظيم الهرمى لابد أن نرجع إلى مادتنا الخام القابلة للتجريب والمشاهدة . ولكى نوضح موضوع علم النفس أكثر من ذلك فعلينا أن ننظر إليه من حيث البحوث التى تجرى فى وموضوعاتها ، ومعظم العلماء المعاصرين حينما يتناولون علم النفس فإنهم يقسمونه من حيث الموضوعات إلى :-

(١) الإحساس (٢) الإدراك (٣) التعلم

(٤) علم النفس الإرشادى (٥) التفكير (٦) الدافعية

(٧) الشعور والوجدان (٨) النظرية الفسيولوجية للسلوك

(٩) الذكاء (١٠) الشخصية (١) التفرعات المعروفة لعلم النفس سواء نظرية كعلم النفس الإجتماعى - والإرتقائى والفيزيولوجى .. أو تطبيقى مثل التربوى والصناعى .. (Chaplin & 1979 P . 69)

(عن : إبراهيم وأخرون ١٩٧٤ جـ١٣)

والحقيقة فإن موضوع علم النفس مازال على قدر كبير من الغموض - ويمثل موضوع خلاف كبير بين النظريات النفسية المختلفة ، بل أن البعض يرفض إمكان إخضاعه للتجريب ، والحقيقة فإننا لكى نزيل بعضاً من هذا الغموض علينا أن نقارن بين الظاهرة النفسية - كموضوع لعلم النفس - وبين الظاهرة الفيزيقية ، ومن المعروف أن الظاهرة الفيزيقية تختلف إختلافاً واضحاً عن الظاهرة النفسية (عن : عكاشة ١٩٨٠ ص ١٤)

أهم خصائص الظاهرة الفيزيقية :-

الظواهر الطبيعية هى تلك الظواهر الموجودة فى الطبيعة وتخضع للحس والمشاهدة ، وهى قابلة للقياس والتجريب ويمكن تحليلها إلى عناصرها الأولية مع إمكان عزل هذه العناصر أو المتغيرات والتحكم فيها تجريبياً ولا يمثل وجود تلك الظواهر كمدلولات لألفاظ اللغة المستخدمة مشاكل هتمة ذلك أن اللغة التى يستخدمها العالم وتوارثها عن الجماعة إنما تضمن عينة من الألفاظ التى تشير إلى مدلولات فيزيقية واقعية ملموسة مما لا يسبب أشكالاً لذلك العالم الذى لابد له من أن يستخدم تلك الألفاظ حيث لا تناقض هنا بين هذه الألفاظ داخله معمله وخارجه ، بينما خصائص تلك الظواهر التى لا تخضع للحس العادى ليس لها ألفاظ اللغة الجارية

قد تحمل مدلولات غيبية فما على العالم الفيزيقي هنا إلا أن يضع لها مصطلحات جديدة تكون محددة ومتعارف عليها بين زملائه فى التخصص بينما تكون بعيدة تماماً عن التداول اللغوى للعامة مما يقلل من إدخال أية خصائص غامضة عليها .

مثلاً - يدخل عالم النبات إلى معمله فيستخدم كلمة : جذر - ساق - أوراق . . إلخ ويشير بها إلى نفس ما تشير إليه هذه الألفاظ فى إستخدامها الأساسي تقريباً - بعكس كلمة ذكاء أو نفس أو عاطفة مثلاً فإنها لا تشير فى الحياة الجارية إلى نفس ما تشير إليه داخل المعمل السيكولوجى - وعندما يكتشف عالم النبات مثلاً خاصة من خصائص النبات فإن هذه الخاصة تكون غالباً جديدة مما يدفع العالم إلى أن يضع لها إسماً أو مصطلحاً لغوياً متفق عليه بين العلماء مثل جدار الخلية مثلاً - أو النواة وهكذا يجد نفسه تلقائى يستخدم لغة واضحة تشير إلى مدلولات محددة بعكس السيكولوجى .

ومع أن معظم الظواهر الفيزيقية تخضع للحس المباشر إلا أن بعضها لا ندركها إلا من خلال أثاره مثل الجاذبية - الحرارة - الكهرباء مثلاً لا ندركها مباشرة إلا من خلال مؤشرات مثل النور المنبعث من مصباح كهربى أو من صورة ما تحدد الموجة الضوئية أو من مؤشر الجلفامومتر .

والظاهرة الفيزيقية تخضع للمسلمات السابق ذكرها بالفصل الأول مثل مسلمة وحدة الطبيعة والعلية والحتمية .

ومن أهم خصائصها التى تميزها عن الظاهرة السلوكية أنه يمكن تحليلها إلى عناصرها الأولية . كما أنه يمكن الحصول عليها سواء فى حالة ستاتيكية أى على طبيعتها الأساسية . أو فى حالة تفاعل مع عناصر الظواهر أخرى فأنا حينما أريد الحصول على فلز أو حامض مثلاً فلا يكلفنى ذلك إلا فتح المعمل والحصول على

المادة المطلوبة من القنينة أو الزجاجة الخاصة بذلك ، وبذلك يمكن أن أشاهدها فى حالة ستاتيكية ، كما يمكن أن اراها فى حالات تفاعل متعددة مع عناصر كيميائية نشطة أخرى يمكن أن تتفاعل معها :

خصائص الظاهرة السلوكية :-

فى ضوء ما سبق يمكن أن نطرح أهم هذه الخصائص فيما يلى - كمقدمات لوجهة نظرنا التى سنتناولها فى الأجزاء التالية

١) يرى البعض أن الظاهرة السلوكية لا تخضع للعلية أو الحتمية ، وهما مسلمتان لقيام أى علم ، وغير واضحتين فى الظاهرة السلوكية فحرية الإنسان وقدرته اخفاء ما يبطن أو إظهار عكس ما فى داخله يجعل السلوك الإنسانى يبدو غير حتمى . غير أن الأمر لحسن الحظ ليس هكذا ذلك أن هذه الحرية لا تعنى الفوضى أو العشوائية وإلا لإنتفت صفة الوظيفية عن أى سلوك ، بينما هو بالضرورة سلوك وظيفى

ومن هنا فإن الظاهرة السلوكية تخضع كأى ظاهرة فيزيقية - للحتمية - ونظام يمكن لنا أن نتعرف عليه وأن نتنبأ به ، وإن كان الأمر فى السلوك أكثر تعقيداً وغموضاً .

٢) الظاهرة السلوكية لا تنفصل عن الظاهرة العصبية والبيولوجية فى الكائن الحى ، ذلك أن أى سلوك لابد أن يتضمن بالضرورة حركة مجموعة من العضلات ، مع تنبيهات عصبية محددة ، ويؤدى هذا إلى تعقدها لا إلى تبسيطها .

٣) الظاهرة السلوكية معقدة وفى حالة تفاعل مستمر ، بمعنى أن الباحث لا يمكنه الحصول على أى ظاهرة سلوكية إلا بعد إثارتها أى بعد إيجاد موقف تفاعلى يؤدى بالكائن الحى إلى إصدار هذه الإستجابة ، ومن المستحيل الحصول عليها فى حالة ستاتيكية جاهزة ، وهذا فرق أساسي بين الظاهرة الفيزيقية والظاهرة السلوكية .

٤) كما أن الظاهرة السلوكية متشابكة ومتداخلة من حيث أن أى إستجابة مهما بدت بسيطة جزئية إنما تحمل فى ثناياها كل خصائص الشخصية التى صدرت عنها الإستجابة بدرجات تشبع مختلفة .

٥) مما يزيد من تعقد الظاهرة السلوكية أنها تتكون من كل الأنسجة السلوكية التى تتكون منها شخصية الفرد ، ومن المستحيل – على الأقل بوسائلنا الحالية – تحليل الإستجابة إلى عناصرها الأولية التى تتكون منها – ومن هنا فنحن لا نتهم بدراسة السلوك وإنما بدراسة خصائص هذا السلوك وسوف نعود لتحليله والتعرف على مكوناته فى الفصل التالى . وذلك من خلال تشريح نظرى لمكونات الإستجابة كما فى الأجزاء التالية .

مواقف السلوك (موضوع علم النفس)

مواقف السلوك

سبق أن عرضنا لمفهوم - موضوع علم النفس " ثم حددناه فى الظاهرة السلوكية والتى تبدأ بما يسمى المادة الخام للسلوك ، أى تلك الإستجابات المباشرة والقابلة للمشاهدة الحسية والقياس والتجريب ثم يعلوها تنظيمات أرقى مستنتجة على شكل تنظيم هرمى هى على الترتيب التصاعدى العادات يعلوها السمات وفى قمة الهرم الأبعاد .

ثم حللنا السمات والمادة الخام - أى الإستجابات النوعية وقارنا بينها كظاهرة سلوكية وبين الظواهر الفيزيقية - وإتضح أنه مركبة ومن المستحيل تحليلها إلى عناصرها كما هو الحال فى الظاهرة الفيزيقية .

ومن المعروف أن جون واطسون ، رائد السلوكية - والذى كتب معظم مؤلفاته وهو بجامعة هوبكينز منذ ١٩٠٨ - ١٩٢٠ من المعروف أنه قد حدد موضوع علم النفس فى هذه الإستجابات وإستبعد كل مالا يخضع للتجريب والمشاهدة المباشرة ومنها خبرة الوعى (Munn , 1966 P. .29)

وفى هذه الفقرات سنحاول تحليل موقف سلوكى مركزين على هذه الإستجابات غير أننا لن نتقوف عندها لمجرد سهولة قابليتها للتجريب . بل منستمر لنوضح عناصر الموقف السلوكى الأخرى .

أولاً : تحليل عام لموقف إستجابة .

بالنظر فى أى إستجابة تصدر عن كائن حى خاصة الإنسان الراشد نجد أنها تتكون من خلال موقف يتضمن العناصر التالية .

١- موقف مثير + مستقبلات حسية وجهاز عصبي يتفاعل حيوياً مع هذا الموقف .

٢- تغيرات داخل الكائن الحى . خاصة التغيرات العصبية فسيولوجية ومنها ما هو قابل للمشاهدة والتجريب وما هو ليس قابل ومن هذه التغيرات :-

أ - القابلة للمشاهدة والتجريب: مثل إفرازات الغدد والتنبية العصبي والموجات الكهروعصبيه خاصة تلك التي تحدث داخل اللحاء (قشرة المخ بالرأس) وتغيرات في جدران الأوعية الدموية وضغط الدم ، نبضات القلب ، التنفس ، جدران والجهاز الهضمي عامة ، التبول والتبرز ، افرازات العرق واللعاب ، وعامة تتركز معظمها فى العضلات الملساء (الحشويه) وعضلة القلب والانسجة الغدية ومعدلات الأيض ... الخ .

ب- تغيرات غير قابلة للقياس ولايمكن مشاهدتها بامكانياتنا الحاليه وغالبا مانفترض مثل :

كفاءة الجهاز العصبي - حاجات الفرد ومخزونة من الخبرات السابقة للمعلومات وكيفية تنظيمها داخل الفرد وجهازه العصبي ، والشعور و الوعى ودور كل هذا فى تمثل الإشارة الواردة وإعطائها دلالة معينة وتفسيرها وتتدرج الإدراك والإنتباه وعملية ترميز الإشارة ضمن هذه التغيرات .

عناصر الإستجابة الظاهرة + نتائجها خارج الكائن + الترميز الإجتماعى لهذه النتائج .

والمقصود بالإستجابة أو السلوك الظاهر - تلك الإستجابات العضلية الهيكلية الخارجية - وبالطبع فإن هذه الإستجابه يتوقف بناؤها وقدراتها على شروط عديده منها كفائة الجهاز العضلى المخطط أو الهيكلى .

وهذا النوع من الإستجابات يكون موضوع علم النفس من وجهة نظر جون واطسون - ويعطى ما نطلق عليه مادتنا الخام كقاعدة للتنظيم الهرمى للسلوك .

ومن أمثلة هذه الإستجابات - تآذر حركات اللسان والشفاة والأحبال الصوتية والجهاز السمعى فى سلوك الكلام - حيث تحدث حركات تسبب موجات صوتيه معينة تحدث أصواتاً تسمعها قد يكون حولها إتفاق إجتماعى فتسمى لغة لفظية أو غير لفظية .

هذه الموجات الصوتية هى نتاج مباشر للسلوك الظاهر كذلك الكلمات المكتوبة على صحيفة ما ، أو الأجزاء التى أعيد تصليحها وتركيبها أو تحليلها فى جهاز ما ، أو المسافة المقطوعة بالكيلومتر مثلاً .

أى نتاج السلوك هو تلك التغيرات التى تحدث فى البيئة الخارجية كنتيجة مباشرة للإستجابة العضلية الظاهرة .

ويتدرج مع الاستجابة الظاهرة تلك التغيرات الخارجية الصريحة مثل إفرازات العرق ووقوف الشعر وتقلص أو استرخاء عضلة أو مجموعة عضلات تشترك فى نمط سلوكى .

ثم يأتى بعد ذلك الترميز الاجتماعى للسلوك ولنواتج السلوك فليست كل موجات صوتية صادرة من أحبال صوتية وجهاز صوتى وجهاز سمعى نعتبرها لغة أو كلاماً ، وليست كل آثار حركة قلم على ورقة أو غيرها لغة مكتوبة ، وربما تكون

رمز لشئ آخر تفسره . وقد تكون باللغة العربية نفهمها نحن داخل الثقافة العربية كلغة تنقل الينا رسالة من الكاتب أو المتكلم ، بينما بالنسبة لشخص لا يعرف اللغة العربية لا تعد ومجرد أشكال على الورقة أو موجات صوتية في الهواء . معنى هذا أن نتاج هذه الاستجابات - أحياناً قد يكون له ترميزاً اجتماعياً يخضع لاتفاق اجتماعى . يختلف هذا الترميز بإختلاف الإتفاق الإجتماعى وإختلاف الثقافات وعامة بإختلاف الشخص المستقبل له .

ونلاحظ أن الموقفين يمثلان موقفين موضوعيين بمعنى يمكن إخضاعهما للمشاهدة الحسية والتجريب والقياس المباشر سواء المثير والمستقبلات الحسية فى الموقف ، أو الإستجابة المباشرة كحركة عضلات أو نتائجها فى الموقف .

وتعتمد معظم مقاييس وإختبارات علم النفس المعاصرة على قياس ودراسة نتائج السلوك كمؤشر للتعرف على السلوك ومستوياته داخل التنظيم الهرمى وربما على المتغيرات الوسيطة التى قد نفترضها فى الموقف ب .

مع ملاحظة أنه يمكن التعرف - إستنتاجاً على عناصر الموقف " ب " من خلال إستجابات عضلية وفسيولوجية مثل حركات العين - إفرازات العرق تغير معدلات الأيض ... إلخ .

وعامة فإنه يمكن تناول جميع مواقف الإستجابة بالمشاهدة والتجريب فيما عدا العنصر " ب " من الموقف رقم " ٢ " .

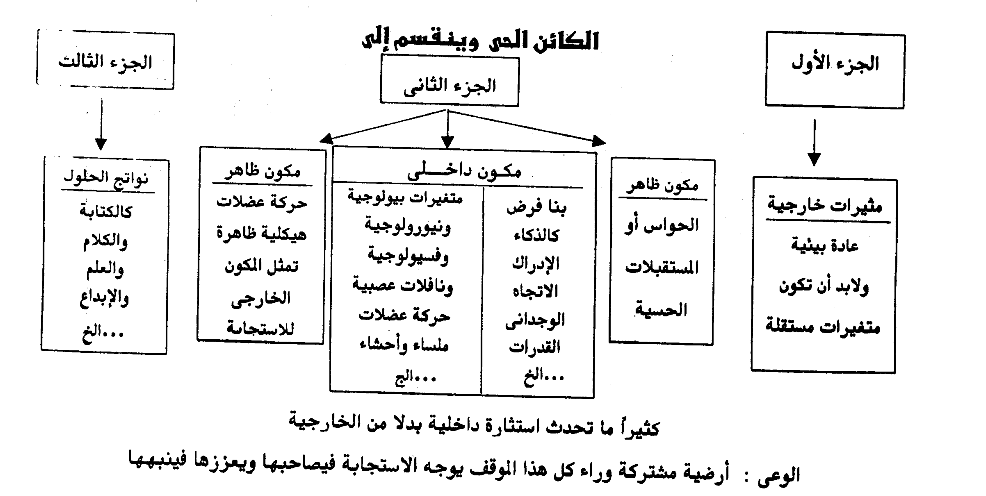
ومن أهم الظواهر التى تندرج داخل العنصر " ب " ما نطلق عليه خبرة الوعى - ومن المعروف أن العالم الألمانى فونت الذى أسس أول معمل فى تاريخ علم النفس قد حدد موضوع علم النفس فى دراسة " خبرة الوعى " .

(Munn 1966 P . 8) (Sarason et al . 1982 P . 95)

إلا أن واطسون الأمريكى رائد النحنى السلوكى المعاصر إستبعد خبرة الوعى هذه خارج دائرة الظواهر السلوكية القابلة للتجريب مع غيرها من الظواهر الأخرى غير القابلة للمشاهدة الحسية المباشرة .

غير أن سارسون يوضح بأن التقدم الذى حدث فى دراسة السلوك والذى إمتد إلى وظائف المخ من وجهة نظر بيولوجية قد كشف الكثير من أسرار المخ ودروه فى عملية الوعى كذلك ظهور علم النفس المصرفى وما أوضحه من حقائق حول النظر ، والتفكير وحل المشكلات . والإبداع ... كل هذا ساهم فى كشف بعض أسرار عملية الوعى خاصة عند الإنسان . مما ساعد حالياً على إخضاعه للتجربة . Sarason , et al .

التشريح التصورى للاستجابة



الوعى : أرضية مشتركة وراء كل هذا الموقف يوجه الاستجابة فيصاحبها ويعززها فينبهها

ولما كان السلوك هو ما يصدر عن الكائن الحى فإن المقولات السابقة التى لا تميز بين ما يصدر عن الكائن الحى وبين الشروط المسئولة عنه أو نتائجه عن مقولات تحتاج إلى مراجعة بل أن معادلة السلوكيين المشهورهم - س أو س- م أو م - د - س والتى بأنها ترمز إلى السلوك هى مقوله تحتاج إلى مراجعة - ذلك أن السلوك يجب أن نحصره فيما يصدر عن الكائن الحى سواء كمستقبل أو كمعالج للمعلومة أو كمصدر غير أن هذا لايعنى إستبعاد الموقف الأول بإعتباره مصدر للمعلومات والخبرات التى تسهم فيما بعد فى تشكيل شخصية الطفل ، خاصة وأن الهدف النهائى لعلم النفس هو مساعدة الأفراد على التحكم فى كل هذه المثيرات والتوافق معها ، ولعل هذه النقطة هى المسئولة عن نجاح العلاج النفسي أكثر من العلاج بالعقاقير حيث يركز الأول على تعليم الأفراد وتعديل سلوكهم بما ييسر لهم التعامل السوى مع هذه المثيرات ، كما أنه لا يمكن إستبعاد الموقف الثالث - نتاج السلوك - فمن خلاله يمكن التعرف على كيف نشبع حاجاتنا ونحل مشاكلنا ونتصل بعضنا بالأخر بشكل سوى ، كما أن هذا المتاح يمثل معطى خارجى واضح يساعدنا على التنبؤ بإستجابات الفرد لمواقف مماثلة وتقييم هذه الإستجابة من حيث قدرتها على الإتصال أو حل المشكلة ، غير أن العلاقات القوية بين المواقف الثلاثة السابقة والتى تشترك فى إخراج الإستجابة يجب ألا نخلط بين ما هو سلوك يصدر عن الكائن الحى وما هو ليس بسلوك ويرتبط به إذ يسهم فى إخراجه وتشكيله .

ونوضح أن التغيرات الداخلية فى الكائن (الحى تنقسم إلى فئتين) .

أ) تغيرات فسيولوجية بيولوجية - مثل حركة الأحشاء وإفرازات الغدد ومسارات التنبيهات العصبية خاصة موجات المخ . وهى تغيرات داخلية فعلاً غير أنه يمكن قياسها بأجهزة متقدمة مثل جهاز رسام المخ الذى يقيس موجات المخ . ومقاييس حركات العضلات بأجهزة مثل :

ب) تغيرات نفسية مفزحة مثل الذكاء - والإتجاه والسمات والميول - والذاكرة وهى تباوات تفرضها لأنها كما ولانستطيع قياسها بكشل مباشر إلا من خلال مؤشرات تخضع للمشاهدة والتجريب مثل السلوك الظاهر - أو الحركات العضلية الهيكلية الخارجية أو إستجابات سيولوجية خارجية كإفراز العرق أو داخلية مثل السابق ذكرها

وهنا نجد الوعى الذى إستبعده بإعتباره متغير غير قابل للمشاهدة والقياس وهو متغير له خصائصه المتميزة عن غيره - فبالرغم أنه يتدرج مع المتغيرات النفسية الداخلية كبناءات فرصية - إلا أن له وصقة - إلا أن خارجية حيث :

١- أنه أرضية الساسية وراء مكونات السلوك النموذج السابق ذكره - بمعنى أن الوعى - بدرجة يوجد وراء الموقف المثير حسب بقية وبشكل وبدرجة ما مرتفعة أو ضعيفة - كذلك التغيرات الداخلية يوجد وراءها أيضاً درجة ما من الوعى - كذلك الحركات العضلية الخارجية أو السلوك الظاهر بل ونتاج الإستجابة .

بل أن البناءات النفسية الداخلية المفترضة كالذاكرة لابد من وجود وعى وراءها وإلا لما إستطعنا أن تستدعى أو نتعرف على معلومة أو خبرة سابقة معنى هذا أن كل مقاييس الشخصية خاصة اللفظية تقاس من خلال الوعى - كذلك الذاكرة مكون من مكونات الذكاء لابد من وعى وراءها . ولو تصورنا إنساناً نقدر وعيه لكان نسبة مستحيل قياس ذاكرته أو شخصيته من خلال مقاييس لفظية .

ومن هنا كان إستبعاد واطسون للوعى عمل غير دقيق بالرغم من أن الوعى هو خبر شخصية كاملة - غير أننا إذا إستبعدناه - كان هذا إيذاناً بإستبعاد دراسة السلوك البشرى إلا فى بغض الظواهر البسيطة جداً - كما سنتناوله فى مقاله أخرى متخصصة .

وطرح هذه المشكلة سوف يؤدى إلى تحسين مناهج البحث وعمليات القياس النفسي بشكل يقربها أكثر من العلوم الفيزيقية .

غير أنه لم تجر أية دراسة حتى الآن بين الوعى وأنماط السلوك الأخرى وهو ما نعتقد أنه يمثل المدخل الشرعى لتقدم علم النفس .

الفصل الثالث

الإدراك

مقدمة :

الادراك ونظرية الجشطالت

ظهرت هذه النظرية كرد فعل متوقع لنظرية السلوكيين ، والسلوكية متأثرة إلى حد كبير بالمنهج التجريبي الفسيولوجى وتحليل الموضوع إلى عناصره ومن هنا كان النموذج الشائع للسلوكية هو تحليل السلوك الى إستجابات - بإعتبار الإستجابة عنصر ، وسنرى أن هذا رأى خاطئ ، وتحليل البيئة إلى مثيرات ، وأن السلوك تقريباً ينتج من خلال (م - س) .

ولسنا فى حاجة إلى أن نوضح أثر الفلسفة التجريبية ثم التجريب الفسيولوجى فى هذا النموذج وتحليل السلوك . نقول فى مقابل السلوكية وتحليلها للسلوك ظهرت نظرية الجشتالت وكان معظم روادها فلاسفة يحملون معهم النظرة الكلية وهى فلسفية ثم دعوة الفلسفة التجريبية الى التجريب والإرتباط بالواقع وترد تلك الموضوعات الميتافيزيقية بإعتبارها تخرج عن دائرة العلم . ومن هنا كان على رأس هذه المدرسة التى عارضت تحليل السلوك كهلر و فرتهيمر وكوفكا ، ويتلخص رأيهم فى أننا يجب أن ننظر الى السلوك كظاهرة كلية لأننا لو حللناها فإنها تفقد حقيقتها .. وكل العلماء الجشتالتيين السابق ذكرهم كانوا ألماناً ظهروا فى نهاية القرن التاسع عشر ، وكانت مؤلفاتهم باللغة الألمانية ، وقد ترجم معظمها الى اللغة الإنجليزية فكتاب كهلر . عقلية القردة (١) ترجم إلى الإنجليزية سنة ١٩٢٥ - ومقالة كوفكا عن الإدراك ترجمت إلى

---

1) Mentality of aps . 1925 .

الإنجليزية ونشرت فى مجلة – النشرة السيكولوجية سنة ١٩٢٢ وهكذا إشتهر إسم العلماء الثلاثة بأمريكا ، وفى الثلاثينات هاجروا جميعهم إلى امريكا .

معالم النظرية وأسانيدها التجريبية :

الإدراك السليم هو الإدراك الكلى ، ولكن ما معنى الإدراك الكلى ؟ يتضح هذا المعنى من خلال تجربة أجراها فرتهيمر تتلخص فى إستخدام مصباحين يفصل بينهما بعد مكانى معين ؟ على أن يضيئ المصباحين أحدهما بعد الأخر ثم ينطفئان بشكل متوالى وبسرعات متعددة على أن تكون هناك فترة زمنية تبدأ من الثانية إلى جزء من الثانية بين إضاءة أو إنطفاء أحد المصباحين وإضاءة أو إنطفاء المصباح الأخر ، ثم بعرض الظاهرة على مجموعات من البشر ليذكروا ماذا يشاهدون في بداية الأمر حيث كان الفاصل الزمنى بين إضاءة أو إنطفاء المصباحين كبيراً ذكر المفحوصين أنهم يرون مصباحين ، يضيئان وينطفئان بشكل متوالى ، ومع تقليل الفترة الزمنية الفاصلة بين المصباحين ، ذكر الملاحظون انهم يرون خطاً بيضاوياً مضيئاً يسير من قطب إلى أخر ، وبدون أن يدركوا أياً من المصباحين . (Wertheimer 1922)

فى ضوء هذه التجربة وعشرات غيرها فسر الجشتالتيون إدراك المجال الكلى بأن الإدراك الكلى يعنى إدراك ظاهرة جديدة تماماً عن عناصر المدرك قد تختلف تماماً عن هذه العناصر ، بحيث أن المدرك الكلى لا يساوى عناصره ولا يشبهها كما لا يشبه أو يساوى بعض أو أحد عناصره بل غالباً ما تتلاشي العناصر تماماً كما فى ظاهرة المنحنى البيضاوى المضئ ويسمى هذا بالإدراك المتعالى (١) وهو أفضل أنواع الإدراك وهو إدراك تفاعلى وهو الغالب على إدراكاتنا البشرية وهناك إدراك أخر يشبه الإدراك السلوكى التحليلى – يحتفظ فيه كل عنصر بخاصته ووظيفته ، فبينما فقدان

---

(١) Transums

عنصر ما فى المدرك المتعالى الأول يؤدى الى تغيير المدرك تماماً فإن فقدان عنصر من عناصر المدرك التجميعي (١) ولايؤدى الى تغيير أساس أكثر من مجرد فقدان هذا العنصر - مثال ذلك ورقة مالية من فئة العشرة قروش إذا نقصت قرشاً ، لا تتغير إلا بمجرد نقص القرش ويصبح الباقى تسع قروش ، وهذا النوع من الإدراك هو أسوأ أنواع الإدراك كما أنه نادر فى عالم البشر والإدراك الأخير هذا يحتاج لعملية تنظيم فتغير وضع القرش داخل العشرة قروش مثلاً لا يغير من العشرة قروش الكلية - بينما المدرك المتعالى يحتاج الى عملية تنظيم عالية ومن هنا ربط الجشتالتيون بين التنظيم والتعلم بإعتبار التعلم ليس رابطة بين مثير وإستجابة بقدر ما هو إعادة تنظيم لمدركاتنا الكلية وهكذا فكما تكلم الجشتالتيون عن الإدراك تكلموا عن التعلم من خلال الإدراك ووضعوا لهما شروطاً عديدة - لا مجال لتناولها هنا - وإنما يكفى أن نشير إلى تجربة أخرى مشهورة أجراها - كهلر - أدت إلى القول بقوانين أساسية على أساسها تقوم عمليتى الإدراك والتعلم ، وتجربة كهلر هذه تجربة مشهورة أخذ فيها قرداً ووضعه داخل قفص وهو فى حالة جوع ثم علق فى سقف القفص أو الصندوق طعاماً (موز) على أن يكون بعيداً عن متناول القرد - ووضع للقردة فى إحدى تجربة عصى فأمسك بها وحصل على الموز - وفى تجربة اخرى وضع صندوقاً فوقف فوقه وحصل على الموز وفى ثالثة وضع صندوقين صغيرين فوضع الصندوق الأول فلم يستطع الحصول على الموز فوضع الصندوق الثانى وحصل على الموز - ثم وضع له تجربة رابعة عصاتين فأدخلهما فى بعض وحصل على الموز ، ومن خلال سلسلة التجارب هذه إنتهى كهلر إلى أهم قوانين الجشتالت فى تفسير التعلم منها :-

١ - <u>قانون النضج</u> : ويعنى أن تعلم أية مهارة يحتاج الى مستوى مناسب من النضج الفيزيقى والعقلى .

---

(1) Undsums

٢ – الإستبصار : ويعنى الإدراك الفجائى للعلاقات – ويرى كهلر أن القرد بعد أن أدرك الموقف إستبصر العلاقات بينها فوضع صندوقاً فوق أخر ، أو عصا داخل اخرى .

٣ – الإدراك الكلى : يرى كهلر أن القرد أدرك الموقف الأول إدراكاً كلياً ثم بدأ يحلله إلى عناصره – وعمل على إعادة تنظيمة داخلياً .

٤ – الفهم : وهو بعد عدة محاولات يكون الفرد قد فهم الموقف أى تعلمه ويحل المشكلة بشكل كلى وتلقائى .

٥ – الدافعية : لابد من دافعية الجوع Through : Werwheimer , 1980 p . 208

ثم هناك تجارب ودراسات كوفكا – خاصة فى كتابه – مبادئ علم النفس الجشتالتى فى طبعته الإنجليزية سنة ١٩٣٥ والذى نشره Harcourt , Brace .

نيويورك ودراسات زيجارنيك والتى إهتمت بدراسة الذاكرة – والأعمال المقطوعة وكيف تسبب مؤثرات (Idid . P . 231- 242) .

ويتضح فيما سبق تأثر هذه المدرسة بالمنهج الفلسفى من حيث الإدراك الكلى والموضوعات المطروحة الكلية كالتعلم والذاكرة والإدراك – ويتناول السلوك بإعتباره موضوعاً كلياً – لا موضوعاً يحلل إلى عناصره – هذه النظرة الكلية إنما هى نتاج لشروط عديدة من أهمها الطبيعة الكلية للمنهج الفلسفى الذى إنبثقت عنه بينما التجريب هنا أقرب إلى ما كان يدعو إليه الفلاسفة ألتجريبيون – أى أن الجشتالتين بإعتبارهم منحدرين من المنبع الفلسفى حملوا معهم النظرية الكلية فى المنهج والتجريب وكذلك فى الموضوعات – إلا أن هذه النظرة الكلية خاصة بالنسبة

للموضوع جعلت من السلوك أو الظواهر السلوكية وهى موضوع علم النفس ظواهر مركبة كلية متطابقة إلى حد كبير مع النظرة الجشتالتية الكلية وإكتفى الجشتاليون لهذا التطابق ولم يضعوا وجود هذه الموضوعات موضع تساؤل - مع أن الفلسفة من طبيعتها الشك المنهجى والساؤل ؟ وربما يرجع هذا إلى أنه من مقتضيات المنهج العلمى والتجريبي - الذى آمن به الجشتالتيون - ويتطلب تحليل موضوع الى متغيرات وعناصر - وهذا ينافى النظرة الجشتالتية للسلوك - بما أحدث تناقضاً فى نظرتهم للسلوك بإعتبارة كلياً وفى تطبيق التجربة عليه بإعتباره قابلاً للتحليل الى عناصر ومتغيرات والسؤال عن طبيعة السلوك يعنى إبراز هذا التناقض مما دفعهم الى التهرب من هذا السؤال وهكذا إنتهى هذا المنبع مع المنبع الطبى والفسيولوجى الى التسليم بوجود ظواهر سيكولوجية - وعدم وضع هذا الوجود أو طبيعته موضع شك أو تساؤل - وبالطبع كان هذا الشرط سبباً أساسياً وراء إنخفاض صدق نتائج البحوث السيكولوجية حتى المتطرفة منها فى التقنين والضبط التجريبي كما سنرى .

والحقيقة فإن المنبع الفلسفى - كما يقرر فلوجل - أصبح ذات طابع نفسانى من خلال جهود المدرسة التجريبية الإنجليزية (لوك - هيوم - بركلى) ومن الفلسفة خرج إتجاهان رئيسيان للدراسات النفسية ، والإتجاه (الترابطى) ، ثم إتجاه (الملكات) فلوجل ١٩٦٣ ص ١٣ ، ويندر أن يوجد فيلسوف مرموق لم يسهم فى علم النفس (المرجع السابق ص١٤) .

ولقد كان إعتبار إيمانويل كانت - العلم معادلاً للقياس ودعوته الى الإلتجاء الى الخبرة بإعتبارها الأساس الوحيد لصياغة القوانين النفسية هما اللذان مهدا الطريق لإنفصال علم النفس عن الفلسفة وكذلك للتطور الكمى لعلم النفس .

ما هو الإدراك :

عملية سيكولوجية من خلالها نستطيع أن نتعرف على العالم والبيئة المحيطة ونجمع عنها معلومات ، والإدراك لا يطابق الإحساس الذى يشير الى التسجيل البسيط للمثيرات بواسطة المستقبلات الحسية (كالعين - الأذن - الشم - اللمس - التذوق) - ذلك أن الإدراك عملية أعلى من مجرد الإحساس الخام من حيث التنظيم والمستويات العصبية المستقلة .

وفى الإحساس نحن مجرد مستقبلين سلبيين تقريباً ، بينما فى الإدراك نحن نتدخل بشكل تلقائى ، بل وننتقى من المعلومات ما يشبع حاجات معينة لدينا ونستبق معلومات أخرى رغم وجودها على المستقبلات الحسية لنا ، ويرى برود بنت Broadbent أن كل مثيرات الموقف تسقط على المستقبلات الحسية إلا أننا لاندرك منها أكثر من ١٠٪ نقوم بإنتقائها بما يشبع حاجاتنا .

ومن هنا فالإدراك هو إنعكاس لخبراتنا الماضية ولشخصيتنا ، وكثيراً ما نستخدمه فى قياس الشخصية والتعرف عليها خاصة فيما يسمى بالمقاييس الإسقاطية، أو السلوك التعبيرى مثل التذوق الجمالى أو عن طريق ما يسمى بميكانيزم الدفاع الإدراكى يمكن أن نتعرف على بناء الشخصية .

ويتنوع الإدراك بتنوع المستقبل الحسي المسيطر - إلا أنه لا يمكن أن يقتصر على ما ينقله لنا هذا المستقبل دون غيره - فهناك الإدراك البصرى - إلا أنه لا يقتصر بالضرورة على ما تدركه العين، فقد يرتبط بروائح أو لمس أو سمع - كذلك الإدراك السمعى فأنا لا أدرك صوتاً فقط بل معه صاحب هذا الصوت ، وهكذا

حتى فى التخيل وهو نوع او أحد أشكال الإدراك

الحس والإدراك

الإحساسات الخام غالبا ما تكون مهوشة متداخلة . فالبرتقالة مثلاً أمامى لها لون وشكل أراه بعينى وأستقبله فى مواضع اللحاء وتسمى بالمراكز البصرية وملمسها إستقبله باللمس وفى مناطق أخرى خاصة باللمس ، ورائحتها إستقبلها بالشم وفى مناطق أخرى خاصة بالمراكز الشميه فى المخ أو اللحاء . أى أننى حسياً أستقبل من البرتقالة مثيرات مستمرة على شكل فيضان أو صيرورة ، كل منها يسقط على موضع بعيد عن الآخر فى منطقة اللحاء – هذا هو الحس – إلا أن الإدراك يجمع كل هذه التنبيهات الحسية المتباعدة فى اللحاء ليدركها كلها فى كل أو مدرك واحد هو البرتقالة ، وليس معنى ذلك أن العالم الذى ندركه يتكون من إحساسات أولية يقوم الإدراك بالتأليف فيها لتعطينا مدركات تتكون من تفاعل تلك العمليات الحسية كما كان يقول الإرتباطيون – بل أن معنى ذلك ، كما يرى الجشتالتيون المعاصرون ، وكما يرى جبسون أن هناك تآزراً بين أداء الإحساسات يؤدى إلى تنظيم العمليات الحسية داخل عمليات أكثر تنظيماً – ويتم هذا التنظيم بين الإحساسات داخل مراكز عصبية عليا على مستوى لحاء المخ ، ينتج عنها عمليات فسيولوجية ذات مستويات تنظيم متباينة يظهر فيها الإدراك فى أعلى تنظيم عصبي بالمخ وهنا يختفى التميز الكلاسيكى بين الحس والإدراك ونستبدل بدلاً من هذا التمييز مستويات من التنظيم ، فالفرق بين الحس والإدراك لم يعد فرقاً فى نوع كل منهما ، بل فرقاً كمياً فى درجة تنظيم كل منهما ومستويات التنظيم العصبي للحس والإدراك ، بمعنى أن مستوى تنظيم الحس يتم فى مستوى منخفض عن مستوى تنظيم الإدراك الحسي .

ويشير الادراك الحسى الى :- إدراك إنفعالى Interoception وخارجى Ektroception

يشير الخارجى الى إدراك الموضوعات الخارجية من خلال مستقبلاتنا الحسية ويشير الداخلى الى (١) إدراك حالات الجسم مثل ادراك الحركة ويسمى Kinesthese (٢) وادراك موضع الجسم والأطراف ويسمى Proprioception (٣) مشاعر الألم والضغط الداخلى ... إلخ .

ويعتبر الادراك الحسى أساس للوعى الانسانى . ونقطة انطلاقة للنمو العقلى ، حيث يظهر الادراك أولاً عند المولود الجديد ثم يظهر بعده مستويات تفكير عليا بما فيها من تخيل عقلى كما فى حل المشكلات المكانية / المرئية والادراك اللفظى .

الادراك إذن - كما أشرنا - هو عملية تفسير المدخلات الحسية بناء على خبرات سابقة ومعتقدات وتوقعات . أى ان الادراك عملية تفاعل إيجابى بين ثلاث مكونات هى : ١) المدخلات الحسية . ٢) بناء المعلومات فى الذاكرة طويلة المدى وتسمى Schemeta ٣) السلوك . ويطلق على هذه المكونات الدورة الادراكية .

فالمدخلات الحسية تحلل ويتم تفسيرها تبعاً لبناء المعلومات المخزنة Schemeta . وهذا البناء يوجه أفعال الاستكشاف التى تجمع من خلالها مزيداً من المعلومات بمل يزودنا بمدخلات حسية جديدة . ويتغير بناء المعلومات هذا مع تزايد خبراتنا وبالتالى تغير توقعات المستقبل وأفعال الاستكشاف . معنى هذا ان الادراك الحسى لا يتوقف فقط على المدخلات الحسية على المعارف والمعتقدات والتوقعات السابقة ايضاً .

وكثيراً ما تحدث خداعات ادراكية نتيجة لإضطرابات فى مسارات السيالات العصبية وتداخلها ، أو سرعة السيال وعدم اتساقها مع سرعة التنبيهات الساقطة من المثير وعدم قدرة المخ على تفسيرها فى ضوء خبراته السابقة وقدراته . وهناك تجارب عديدة للخداعات الادراكية نتيجة انكسار الأشعة أو تداخل الشكل والأرضية . ولعل أخطرها مثل نواتج تجربة فرنهيمر باستخدام مصباحين ، وادراكها على أنها خط بيضاوى مضئ ويتحرك . وبالرغم من أن كل كتب التراث تناولتها على أنها مؤشر لصدق نظرية الجشطالت وأنها ادراك طبيعى . الا اننا اعتبرناها نموذجاً واضحاً لخلق هذاءات أو هلامس بصرية ، وقد عرضنا لهذا فى مقالة تفصيلية بمجلة الأمن والقانون . كلية شرطة دبى (الامارات العربية المتحدة) ١٩٩٨ .

عامة فالادراك يخضع لشروط عديدة من بينها الشروط الخارجية أو خصائص المثير . وفى ضوئه يتحدد ما إذا كان المدرك خداعاً أو إدراكاً سوياً . Farthing 1992 . p . 30-

أجرى الجشتالتيون خاصة كوفكا تجارب عديدة فى هذا المجال ، وكذلك روبين عن أثر الاطار المرجعى الخارجى على ادراك الشكل ذى البعدين أو الثلاثة أبعاد ، مثل أن يواجه المفحوص بشكل خادع يتكون من شكلين يشتركان فى إطار خارجى واحد (مثل الكأس والوجهين فهنا يمكن إما أن ندرك الوجهين وتصبح الأجزاء الأخرى إطاراً وإما أن ندرك كأساً والأجزاء الباقية إطاراً ، ولا يمكن أن ندركها سوياً لأن الإطار مشترك ، فالشكل المرئى فى لحظة ما قد يصبح غير مرئى فى لحظة تالية إذا ما إستعملنا إطاره الخارجى لشئ مرئى آخر كان فيما سبق أرضية لهذا الشكل .

وقد إتضح أن فروق درجات الضوء وما يرتبط بها من إدراك للألوان يساعد على إدراك البعدين ، وتتفق جميع البحوث على أن تمييز النصوع واللون الذى يشمل إدراك المساحة والشكل يعتمد على صيغة الإطار الخارجى فى الخبرة .

وقد أورد لنا كوفكا ، ثم أرنهاين أخيراً شروطاً هامة فى خصائص المثير تؤثر فى إدراكنا لهذا المثير ومنها :-

١ – <u>التشابه</u> :- بمعنى أن المثيرات المتشابهة تميل إلى أن تتجمع فى نمط أو مدرك كلى واحد . كما فى الشكل المقابل فنحن ندرك الشكل المرسوم أمامنا على أنه عبارة عن أعمدة متتالية ، العمود الأول يتكون من عناصر متماثلة هى الدوائر بينما العمود الثانى يتكون من علامة × مكررة ، أى أن العناصر المتماثلة تميل الى التجمع فى نمط أو مدرك واحد .

```
O X O X O X
O X O X O X
O X O X O X
O X O X O X
O X O X O X
O X O X O X
O X O X O X
```

٢ - التقارب : كذلك المثيرات الأكثر قرباً من بعضها البعض تميل الى التجمع فى نمط أو مدرك كلى واحد ، فبالنظر الى الشكل المقابل رغم أن عناصره كلها متماثلة ، إلا أننا ندركه على شكل صفوف لتقارب عناصر الصفوف وتباعد عناصر الأعمدة .

xxxxxxx
xxxxxxx
xxxxxxx
xxxxxxx
xxxxxxx

٣- الإتصال : يشير قانون الإتصال الى الميل لإدراك الخطوط بإعتبارها غير مقطوعة حتى لو كانت مقطوعة بخطوط اخرى ،

فنحن ندرك أن الشكل المقابل على أنه خطين متقاطعين ، ولا ندركه شكلين مختلفين كما فى الشكل المقابل .

(Chaplin & Krawiec 1979 p . 137)

٤- تصارع المدركات :

فهناك تصارع بين المدركات الناقصة على أن تكمل نفسها بالحصول على عنصر يقع بين هذه المدركات ، على أن يكون فى حالة عدم توازن كما فى الشكل التالى

و ج أ
هـ د ب

فالخط جـ د يمثل عنصراً فى حالة حركة يتصارع أو يتجاذبه كل من الشكلين أ ب - و هـ ليكمل كل منهما نفسه بجذب هذا الخط إليه بعكس مما لو كان هذا الخط غير مائل وفى حالة أخرى .

٥- **الإغلاق** : وهو ميكانيزم أساسي يؤكد عليه الجشتالتيون ، ويعنى أن الشكل غير المتكامل يميل العقل البشري إلى إكماله ليصبح له معنى - أى يميل إلى إغلاقه ، حيث يميل العقل الى تبسيط المدركات ، بل أن الإدراك فى نظر الجشتالتيون هى عملية فنية - يحاول العقل فيها أن ينظم المثيرات المشوشة والغامضة إلى أبسط صوره وأوضح معنى .

ويرى أرنهايم أنه كلما كان المثير ضعيفاً أمكن للإدراك الحسي أن يفرض نفسه ويرجع هذا المثير إلى أبسط شكل ممكن ، وشكل الرجل من بعيد يرى كجسم قائم دائرى ، وهو يرى مستديراً لأن المسافات البعيدة تضعف المثير لدرجة أن الميكانيزم الأدراكى يستطيع أن يفرض نفسه على هذا المثير ويشكله فى أبسط تشكيل وهو هنا الشكل الدائرى كذلك ضعف الإضاءة من بين الشروط التى تضعف المثير - كذلك عرض المثير لفترة زمنية قصيرة مثل نصف الثانية ( )

والبساطة الإدراكية تعنى عند الجشتالتيين التطابق بين المعنى والنمط المدرك ويطلقون عليه إسم الأيزومورفيه .

والمحور الذى يدور حوله الشكل يسهم فى درجة تعقيد أو بساطة الشكل ، فالمستطيل أو المثلث أو المربع كأشكال مألوفة حول محور رأسي تمثل أشكالاً بسيطة بينما إذا أدير هذا المحور ٦٠ درجة مثلاً فإن أى من هذه الأشكال يصبح أكثر تعقيداً ، وفى هذه الحالة نجد الشخص المدرك يحاول أن يعدل تلقائياً من موضعه ليتلائم مع الموضع الجديد ، وفى تجربة أجراها جيللرمان على صغار الشمبانزى . قدم لهم مثلثات ثم قام بتدويرها حوالى ٦٠ درجة فوجد أن هؤلاء الصغار يديرون رؤوسهم بنفس الزاوية ، وذلك لكى يحملوا على الوضع الطبيعى فى العلاقة بين حواسهم وبين الشكل المثير (Ibid p. 66)

ومن هنا فإن الإدراك يتوقف على ثلاث متغيرات أساسية هى :

١) النمط البنائى للعالم المحيط بالشخص ، أو خصائص المثير .

٢) مجال المخ والمستقبلات الحسية التى تسقط عليها صورة المثير .

٣) وضع جسم الشخص الملاحظ كما يستقبل الإحساسات العضلية وكذلك عضو التوازن فى الأذن الداخلية .

والعالم المحيط والمرئى يحدد المحور المسيطر كإطار للتوجيه الإدراكى ففى داخل حجرة معينة تكون جدران الحجرة والأرضية وأسقف هى العالم المحيط وهى التى تحدد الموقع الرأسي والأفقى ، ولكن إذا فرضنا أن مثل هذه الحجرة أديرت بحوالى ٢٥درجة - هنا تصبح إطاراً مخالفاً تماماً للمدركات العادية خارج الحجرة وتصعب عملية الإدراك بالتالى داخلها ، ومن هنا نجد أن من السهل على الطفل أن يرسم مربعاً وهو فى الخامسة من عمره ، بينما لا يستطيع رسم المعين إلا فى السابعة من عمره ، ذلك أن المربع يدور حول محور رأسي يطابق محاور المدركات العادية ، بينما المعين أشبه بمربع أدير بعيداً عن الوضع الرأسي . ويذكرنا هذا بتلك الأراء الرائعة التى قدمها الجشتالتيون خاصة أرنهايم عن التوازن وعدم الملائمة أو المفارقة وميل القوى الإدراكية الى الثبات .

الوزن والثبات :

يتكون المدرك من عناصر متفاعله ، كل عنصر فى المدرك الكلى له وزناً إدراكياً كلما كان قريباً من المركز قل وزنه ، بينما كلما كان بعيداً زاد وزنه الإدراكى ، فلكل عنصر وزن إدراكى يتحدد طبقاً لشروط عديدة منها قربه أو بعده عن المركز ودرجة ميله عن المحور الرأسي أو الأفقى . وكلما إختلفت أوزان عناصر المدرك

الكلى زادت الحركة داخل هذا المدرك وقل توازنه ومن هنا يميل الإدراك الى إحداث التوازن بأن يضخم تلك العناصر خفيفة الوزن حتى يقلل من الفروق بين أوزان عناصر المدرك ويزيد بالتالى من توازنه وثباته . ومن هنا أن الشكل (أ)

أفضل من الشكل (ب) – بل وأكثر شيوعاً فى الفن والعمارة على مر التاريخ البشرى – ذلك أن القوس المتوسط فى المركز اكبر حجماً من القوسين الاخرين مما يساعده على احداث التوازن ، حيث أن مجرد تواجده فى المركز يجعل وزنه الادراكى اخف من القوسين على يساره او يمينه ، من هنا فان تكبير حجمه يعوض خفة وزنه ، اى يزيد من وزنه ويعوض وقوعه على نقطة المركز . ومن هنا نجد ان الشكل اكثر توازناً وتقبلاً من الشكل ب .

والعناصر العليا فى الشكل تكون أثقل ادراكياً من السفلى ، ومن هنا لابد ان يكون حجم الجزء السفلى ما يسمى بالقاعدة اكبر من الجزء العلوى يحدث توازنا للمدرك الكلى . كما ان الشكل الخفيف غير المنتظم بينما يظهر الثبات والسكون فى الشكل الثقيل المنتظم .

وزيادة التناقض بين الشكل والارضية تساعد على زيادة ثقل الشكل وثباته – والحقيقه فان للارضيه دوراً اساسياً فى تحديد ليس وزن الشكل فقط بل وفى مدى استقراره ومعناه .

<u>الشكل والارضية</u> :

الشكل يمثل ذلك المدرك الأساسى الذى نركز عليه انتباهنا ، بينما الأرضية اشبه بالاطار الذى يساعد على اعطاء معنى للشكل ، ونحن لايمكن ان ندرك شكلاً ما بدون أرضية وراءه تحدد لنا معناه حتى لو تخيلنا هذه الأرضية من وهمنا أو تخيلنا .

ونحن إذا قدمنا شكلا غامضا لإنسان ما ، فإنه لابد أن يحاول أن يعطيه معنى ، وإذا قدمنا شكلين أو أكثر متداخلين أو الحدود بينهما مشتركة ، فإن الادراك يحاول أن يوضح تلك الحدود ويفصلها - فمثلاً لو قدمنا هذا الشكل لمدة ١/٢ لمفحوصين

ثم طلبنا من المفحوصين رسمه فإنهم يرسمونه كما يلى :

وقد أجرى روبين هذه الدراسة وانتهى الى نفس هذه النتيجة مما يؤكد وجود ميل عند الاشخاص الى اعطاء كل وحدة حداً خاصاً بها والغاء الحدود المشتركة بمعنى آخر انه لابد أن يحدد كل مدرك ويميزه عن المدركات المحيطة به .

وفى أول دراسة منظمة عن الشكل والأرضية أجراها روبين انتهى منها الى :-

إن المدرك الكامل أو المغلق يميل الى ان يكون شكلاً بينما السطح الذى يغلفه يمكن أن يكون أرضية أو إطاراً له .

المساحة الأصغر تميل الى أن تكون شكلاً ، والأكبر تكون أرضية كلما كان هناك تناقضاً بين الشكل والأرضية يفسر ذلك عملية الادراك .

كلما حدث توازن بين الشكل والأرضية يصبح الشكل أقل ثباتاً - ويحدث نوعاً من التذبذب الادراكى بين الشكل والرضية ليتبادلا وضعها بشكل مستمر كما فى شكل الوجهين والكأس - العجوز والفتاة - الأعمدة كما فى الشكل التالى

ونحن حينما ندرك أشياء غير مألوفة نضعها على أرضية مألوفة ونراها أو ندركها من خلال إطار مألوف - ولعل ذلك هو ما يسهم فى ثبات الادراك وما قد يؤدى أحيانا الى التصلب الادراكى .

ثبات الادراك :

نحن ندرك كثيراً من الأشياء المألوفة كما هى ، حتى لو رأيناها من أبعاد وزوايا مختلفة ، فالسيارة ندركها على أنها سيارة من أى جهة أتيناها . والرجل البعيد الى حد ما يبدو لنا أكبر من طفل صغير قريب بالرغم من أن نظرية الضوء تقول عكس ذلك ، فنحن نعرض ثبات الشكل أو ثبات الحجم على ما ندرك ولنا خبرة سابقة به .

ومن المعروف مثلاً تبعاً للأشعة الضوئية ومساقطها أن مثيراً مثل قلم الرصاص على بعد ذراع واحد من البصر تبدو صورته على الشبكية نصف صورته عليها وهو على بعد ١٢ بوصة - إلا أننا ندركه بنفس الحجم تقريباً

(Kriztal 1981 , p . 180)

وهنا متغيرات أخرى ترتبط بالشخص المدرك نفسه تؤثر فى عملية الادراك من أهمها :-

الحاجات والاستعدادات كمحددات للإدراك :-

من الحاجات الآساسية التى تؤثر فى الادراك حالة الجوع ، وفى دراسة لستانفورد سنة ١٩٣٦ اتضح أن الأفراد الجائعين حينما يطلب منهم تكملة كلمات ناقصة مثل كان معظمهم يكملها على أنها Meat (لحم) أو meal (وجبة) أكثر من الأفراد الشبعانين وقد تأكدت هذه النتيجة فى دراسات عديدة مماثلة أجراها ألبورت سنة ١٩٥٥ وبوسطمان وكرتشفيلد سنة ١٩٥٢ ، ومن الأمثلة العامية الشائعة التى تؤكد أثر الحاجة على الادراك المثل القائل " أن الجائع يحلم بسوق العيش " .

وفى دراسة أجراها برونر & جودمان سنة ١٩٤٧ على مجموعتين من

الأطفال فى سن العاشرة الأولى من مستوى اقتصادى مرتفع ، والثانية مستوى اقتصادى منخفض طلب منهم جميعا تقدير حجم عملة من ١ - ٥٠ سنت - وكان الطفل يمسك العملة ويقدر حجمها ، بأن يمسك بزرار يسقط به نقطة مضيئة دائرية على شاشة يستطيع أن يتحكم فى حجم هذه النقطة حتى يجعلها مماثلة لحجم قطعة النقود كما يدركها ، ثم قارن الباحثان حجم هذه النقط بحجم العملة ووجد أن أفراد المجموعتين يميلان الى زيادة حجم العملة - الا أن المنخفضين اقتصاديا كان متوسط تقديرهم لحجم العملة أكبر بدرجة دالة من متوسط تقدير المرتفعين اقتصادياً لهذا الحجم .

أعيدت هذه الدراسة - على عينات من الأطفال ومن الراشدين وعامة وجد أن المثيرات ذات القيمة يقدرحجمها بشكل أكبر من حجمها الواقعى .

(Chaplin & Krawiec 1979 p . 164) (Kristal . 1981 p . 179)

ومن المعروف أن التهيؤ العقلى أو النفسى يحدد مدركاتنا وما نضيفه عليها ومدى تفضيلنا وتقبلنا له - و قد اعتبره الدكتور مصطفى سويف أحد محددات التذوق الجمالى .

الحاجات الوجدانية كمحددات للإدراك :

من الأمثلة الشائعة التى يذكرها لنا شابلين أن المحب يرى العالم من خلال نظارة وردية ، ولقد أجرى ماكجنيز Mcginnies سنة ١٩٤٩ دراسة فى هذا المجال ، قدم فيها ١٨ كلمة منها ١١ كلمة حيادية مثل apple - music - child - river ..... ألخ و ٧ كلمات ذات شحنة وجدانية خاصة مثل Penis - Whore - raped .

قدمت هذه الكلمات الى ٨ ذكور + ٨ إناث جامعيات - عرضت الكلمات بالتاكستوسكوب كل كلمة لمدة أو ثانية تقريباً - وكانت تقاس استجابة السيكوجلفانومتر

G . S . R لقياس وتقدير مستوى رد الفعل الوجدانى ، وكان يقال للمفحوصين أنه سيعرض عليهم كلمة كلمة ، ثم يسألهم عن هذه الكلمة وما هى بعد عرضها .

_ وجد الباحث فروقاً دالة بين الكلمات الحاسمة والكلمات الحيادية . حيث كانت عتبات الكلمات الوجدانية مرتفعة – أى أنها كانت تأخذ فترة زمنية طويلة للتعرف عليها واستجابة الـ GSR كانت كبيرة ، ويفسر ماكجينز ذلك بأنه محاولة لاشعورية من المفحوص لتحاشى القلق فى شكل ميكانيزم دفاعى ادراكى ، يحمى الأفراد من المعانى غير السارة .

وقد أعاد لازاروس و ماكليرى تجربة ماكجينز السابقة مستخدماً مقاطع صماء ، سبق تقديم بعضها مرتبطة بصدمات كهربائية يكون منها كلمات صادمة – وجد الباحثان أن رد الفعل الوجدانى للمقاطع الحاسمة (الصادمة) كان كبيراً

(Chaplin & Krawiec 1979 p . 163)

سمات الشخصية والادراك :

يذكر ليونارد كريستال أن استجابات الأفراد للكلمات الصادمة لم تكن كلها مرتفعة من حيث العينة أى الفترة الزمنية اللازمة للتعرف عليها وكذلك استجابة G.S.R كمقياس لمستوى الإثارة الوجدانية بل وجد أن عينة التعرف على الكلمات الصادمة اما مرتفعة جداً أو منخفضة جداً فكلمة مثل " سرطان " أما أن تأخذ فترة زمنية مرتفعة جداً للتعرف عليها أو يتعرف عليها بسرعة كبيرة ، ويرجع ذلك الى نمط الشخصية ، فالشخصية التى تأخذ موقف دفاعى هى شخصية كابتة ترتفع لديها عتبة الحوادث أو الأفكار المثيرة للقلق مثل تلك الكلمات الصادمة ، بينما الشخصية الحساسة تفعل العكس حيث تكون العتبة هنا منخفضة وتعرفهم يكون سريعاً للكلمات الصادمة والحوادث والأفكار المثيرة للقلق ربما للتخلص السريع من موقف غير

مرغوب لا تتحمله مثل هذه الشخصية الحساسة أى نود لو انتهت منه بسرعة ، فاختلاف سمات الشخصية إذن يؤثر فى العمليات الادراكية

(Leonard . K . 1981 p .179)

وفى دراسة أجراها ونكن وآخرون بعنوان " الشخصية من خلال الادراك " وتدور حول الطريقة التى تؤثر بها خصائص الشخصية فى الادراك استخدم فيها بطارية اختبارات سيكولوجية لقياس التوجيه المكانى ، وتآزر اليدين ، وثبات الجسم ، وادراك الأشكال المتوازية والمتداخلة وكان المفحوص يجلس فى حجرة عادية أمامه قضيب رأسى يوضح له أبعاد المكان العادية ثم يتحرك هذا القضيب بحوالى ٢٨ درجة عن المحور الرأسى ، ومطلوب من المفحوص هنا أن يتغلب على أثر الاطار المشتت ، ثم يوضع المفحوص داخل حجرة متحركة تتحرك حول محور رأسى يمكن أن تميل بدرجات متباينة ويطلب من المفحوص أن يعدل من وضع الحجرة او من وضع الكرسى الذى يجلس عليه داخل الحجرة .

وجد ونكن ومعاونوه أن المجال البصرى يؤثر بشكل واضح على ادراك الفرد للمشكلة المتضمنة داخل هذا المجال ، كما اتضح ان الذكور يظهرون على جميع اختبارات الادراك انحرافات صغيرة فى محاولة منهم على احداث قدراً من التوافق مع الموقف المثير أكثر من الاناث ولقد أجرى ونكن هذه التجربة على أطفال ومرضى ، وكان المرضى أكثر انحرافاً كما وجد أن بعض الشخصيات التى لها سمات خاصة يعتمدون فى ادراكهم تماماً على المجال الذى يوجدون بداخله ، ويتميزون بانخفاض القدرة على الإستبصار ويميلون عادة الى كبت شعورهم كما قد يعانون من شعور بالنقص - وإذا طلبت منهم رسم أشكال بشرية فإنهم يرسمونها ناقصة أو غامضة . بينما الأشخاص غير المعتمدين على المجال يكونون أكثر نضجاً فى رسوماتهم ، كما أنهم يتعلمون بشكل جيد فى مواقف التعليم التحليلية مثل الرياضة والعلوم ولعل قدرتهم

على التحليل هذه تساعدهم على تحليل المجال الادراكى ليدركوا ما إذا كان رأسياً أو مائلاً ولا يعتمدون عليه كلياً فى ادراكاتهم للمثيرات الأخرى داخل هذا المجال بينما وجد أن المعتمدون ينجحون فى العلوم الاجتماعية والعلوم المرتبطة بالجماهير .

كما وجد فى بحوث أجريت هنا فى مصر أن هناك علاقة واضحة بين ادراك وتفضيل الأشكال الغامضة والمفارقة وغير المتوازنة . وبين سمات وخصائص الشخصية (الشيخ ١٩٧٧ ، ١٩٨٢) .

فالادراك إذن ليس عملية موضوعية بل هو عملية انتقائية ترتبط ببناء الشخصية وبعمليات التنشئة الاجتماعية ، ومظاهر الخداع والهلاوس البصرية بل وثبات الادراك بالرغم من تعارض هذا الثبات مع قوانين الضوء - كل هذا يؤكد لنا عدم موضوعية الادراك - من أمثلة هذا الخداع الادراكى الحكم على الخطين والمتتاليين ما إذا كانا متساويين أو لا ؟

ا
ب

بالرغم من تساوى الخطين موضوعياً إلا أننا ندرك أن أقصر من ب .

وامثلة أخرى عديدة تمتلئ بها كتب علماء الجشتالت .

وتخضع ادراكاتنا كذلك لعملية التنشئة الاجتماعية والثقافة والمجتمع الذى تنتمى إليه ، ومن هنا فان قدرتنا على التعرف على ظلال الألوان أنما تتوقف على عدد الكلمات التى نستخدمها فى لغتنا لوصف هذه الظلال فالاحمر مثلاً نعرفه جميعاً ونتعرف عليه لأن له لفظة شائعة نستخدمه فى مجتمعنا بجميع طبقاته ، بينما خذ مثلاً ألفاظاً غير شائعة فى اللغة مثل التركوازى ..... نجد أن كثيراً منا لا يستطيع التعرف أو إدراك هذه الألوان (IEONARD . K . 1981 . P . 178)

إدراك اللون :

يتحدد إدراكنا للون بثلاث خصائص هى :

١) الصبغة Hue ٢) التشبع Saturation

٣) النصوع Brightness

وتندرج قيم النصوع ابتداءاً من الأبيض الناصع فى القمة الى الأسود القاتم تماماً فى القاع ، بينما يزداد تشبع اللون كلما قرب من الحدود الخارجية . وكلما قرب من المركز قل تشبعة ، والمقصود بالمركز هنا مركز كرة وضعها (منسل) تتوزع الألوان عليها ، وبالطبع فإن الألوان التى ندركها عامة هى ما اصطلح على تسميتها بألوان الطيف ، وهى ليست أكثر من موجات ضوئية تنعكس على شبكية العين تدرك الألوان ، فالموجة الضوئية التى طولها ٤٧٥ ملليمكرون تعطينا احساساً بما نطلق عليه " اللون الأزرق " وموجة من ٥١٢ - ٥٣٠ ملليمكرون تعطيناً احساساً بالاخضر ، بينما الاحساس باللون الأحمر يختلف اختلافاً واضحاً من فرد الى آخر ، فبعض الناس يحس باللون الأحمر من موجة طولها ٦٤٢ ملليمكرون ، والبعض يحسه من موجة ٧١٠ ملليمكرون .

ادراك مركبات الألوان :

تمتد هذه المركبات ما بين

١) الأحمر - الأزرق . ٢) الأزرق - الأصفر . ٣) الأصفر - الأحمر .

وعلى امتداد كل مجموعة من المجموعات الثلاثة السابقة نجد أن بعض الألوان المتوازنة التى تقع على بعد متساو من اللونين الأساسيين لكل مجموعة - ثم ألواناً

منحازة لأحد اللونين كما فى الجدول التالى :

ألوان أساسية	ألوان منحازة	ألوان متوازنة	ألوان منحازة	ألوان أساسية
أزرق	بنفسجي	أزرق -أحمر	أرجوانى	أحمر
أحمر	أصفر محمر	برتقالى	أحمر مصفر	أصفر
أصفر	أصفر مصفر	أخضر	أخضر مزرق	أزرق

(Through : AR . Arnchiem , 1954 p . 290)

ومن حيث وزن الألوان فاننا ندرك الأحمر أثقل من الأزرق ، والألوان الفاتحة أو الناصعة أثقل من القاتمة ، فالمساحة السوداء لأنها أخف من البيضاء يجب أن تكون مساحتها أكبر من البيضاء ليحدث احساساً بالتوازن .

ولا تدرك العين جميع درجات الضوء فلها عتبة دنيا وعليا تتراوح بين ٤٠٠ ملليميكرون – ٧٠٠ ملليكرون ,

والملليميكرون = $\frac{١}{مليون}$ من المليمتر .

(Mullimucron is a million of a millimeter)

الفصل الرابع

الذاكـرة وأنواعها

التعلم والذاكرة

مدخل :

التعلم هو تعديل السلوك - أى اكتساب تعديلات جديدة على استجاباتنا نكون قادرين على ادائها كلما استلزم الأمر ذلك - وبالتالى نكون قادرين على تذكرها ، ومن المعروف ان يعطى النـــاس يتعلمون بسرعة ، وآخرون يتعلمون ببطء إلا أن هذا لا يعنى أن كل من يتعلم اسرع يكون لديه ذاكرة أفضل كلية عن من يتعلم ببطء ذلك أن المستوى الذى يتم عنده استدعاء المادة المحفوظة أو الاستجابة المتعلمة - كما يرى أندرود Underwood ، ويعتمد فى جزء منع على درجة وعـــلى مستوى تعلم المادة فحينما يظهر أن بعض الأفراد الذيت يتعلمون بسرعة يكون لديهم قدرة أكبر على الحفظ عن الذين يتعلمون ببطء - فإن ذلك قد يحدث لأن المجموعة الأولى قد يكونوا تعلموا المادة بشكل افضل من الآخرين ولقد قام شويل وكبيل Shuell & Keppell بدراسة على عينة من تلاميذ الفصل الخامس وطلب منهم حفظ قائمة من ٣٠ أسما وبناء على ذلك قسمت العيـــنة إلى عينة سريعة للتعلم وأخرى بطيئة التعلم .. ولقد تم اسقاط الـــ ٣٠ اسما على الشاشة بمعدل " ٢ " ثانية لكل إسم - ثم يسال الأفراد بعد ذلك أن يعيدوا الفقرات بأى نظام واعتبر الثلث الأعلى مثلا لسريعى التعلم والثلث الأدنى لبطئ التعلم والثلث الثانى للمتوسطين .

ثم تركزت الخطوة التالية من التجربة فى التعرف على مقدار المادة التحصيلية التى يمكن أن يكتسبها "يتعلمها " ذوى معدل التعلم السريع ومقدار المادة التحصيلية التى يمكن أن يكتسبها ذوى معدل التعلم البطئ وذلك عند معدلات سرعة عرض مختلفة للمادة المتعلمة المطلوب أن يتعلمها التلاميذ.

وتهدف هذه التجربة إلى الإجابة عن هذا السؤال :- هل إذا أعطينا ذوى معدل التعلم البطئ - ما يسمون ضعاف الذاكرة - وقتا أطول للتعرف على المادة الدراسية المطلوب تعلمها - هل يمكن هم

أن يتعلموا أو يصلون إلى نفس مستوى التلاميذ سريعى التعلم - مع ثبات كل الشروط الأخرى الممكنة بين المجموعتين ؟

ولقد وجد الباحثان Shuell & Keppell أن المجموعتين تعلمتا حوالى ١٠ فقرات من بين ٣٠ فقرة . عرضت كل فقرة منها على مجموعة ذوى معدل التعلم السريع لمدة ثانية واحدة فقط لكل فقرة - بينما عرضت نفس الفقرات الـ ٣٠ على إفراد المجموعة ذوى معدل التعلم البطئ لمدة خمس ثوانٍ - فمع مدة زمنية أطول لبطيئى التعلم وصل ، متوسط تعلمهم إلى ١٠ فقرات وهو نفس متوسط المجموعة سريعة التعلم .

ولقد كرر الباحثان هذه التجربة . مستخدمين قائمة من ٣٠ فقرة كالسابقة ثم عرض فقرة فقرة على سريعى التعلم لمدة ثانية واحدة لكل فقرة بينما عرضت نفس القائمة فقرة فقرة كـذلك وتحت نفس الشروط على عينة بطيئة التعلم . غير أن مدة العرض لكل فقرة كانت خمس ثوان كما هو الحال فى التجربة الأولى تماماً غير أن هذا الجزء من الدراسة أجرى على عينات أخرى . وبعد مدة زمنية من ٢٤ - ٤٨ ساعة طبق اختبار على المجموعتين لقياس مقدار ما تعلمه - أو ما بتذكره افراد كل مجموعة منها المادة السابق عرضها تحت الشروط المذكورة اتضح أن متوسط مقدار ما تذكرته كل من المجموعتين متساوى تقريباً ،معنى ذلك إذن أنه من الممكن أن نجد وسيلة تسرع بها بالتلاميذ بطيئ التلميذ بل ونجعله يصل إلى التلميذ سريع التعلم - إذا ما وفرنا له شروطاً معينة . منها ما ثبت من هذه التجربة . مدة عرض كافية للمادة الدراسية المطلوب تعلمها - وبالطبع تحت شروط معينه تجعل من الموقف التعليمى موقفاً صحيحاً واضحاً ،ويرى الباحثان أنه من الأفضل أن ننظر إلى الذاكرة كوسيلة أو مصدر متوافر بمقادير متقاربة عند الأفراد ، وأنما

الفرق اساساً فى إمكان إفراد معينين استغلال ما لديهم من الذاكرة استغلالاً جيداً وآخرون لا يستطيعون استغلالها بنفس القدرة والجودة .

ومن هنا اهتم علم النفس التعليمى بالتعرف على الشروط التى إذا ما توفرت نستطيع استغلال ما لدينا من ذاته عند أعلى مستوى وبأقصى طاقة .

الذاكرة والنسيان :

النسيان هو الوجه المقابل للتذكر والنسيان ظاهرة طبيعية عند الإنسان حتى فيما يسمى بالذاكرة المباشرة – وهى استدعاء الخبرة بعد عرضها مباشرة كما فى حالة سؤال التلميذ أن يذكر ما شرحته فى درس قواعد لغة عربية فى نفس السنة الدراسية . أو حينما ألقى على سمعك سلسلة من الأرقام واطلب منك أن تعيدها مباشرة فقد وجد أن كثيراً من العناصر تسقط حتى فى هذه الـــــذاكرة المباشرة ويتضح اثر النسيان أكثر فى الذاكرة المؤجلة – وهى التى تحاول فيها استدعاء معلومات بعد فترة زمنية من حفظها تبدأ من حوالى الساعة إلى سنة دراسية أو أكثر .

ورغم أن النسيان ظاهرة طبيعية إلا أ،ه يختلف من فرد لآخر ومن مادة تعيمية إلى أخرى ومن موقف إلى آخر، وكلما كان قليلاً كان ذلك افضل وهناك كثيراً من المظاهر المرضية التى تصيب الذلكرة فتؤدى إلى نسيان كامل لبعض فقرات حياة الفرد مثل مرض "كورساكوف" – وقد يتذكر المريض كل تفاصيل طفولته بينما ينسى تماماً كل حوادث اليوم والأمس القريب وقد تمحى من ذاكرته تماماً – بمعنى لا يستطيع استدعاءها فترة زمنية من حياته بينما قد يتذكر ما قبلها وما بعدها ولا يهمنا تلك الأمراض فهى موضوع لعلم النفس الاكلينيكى والطب النفسى وأنما يهمـــــا أن نتعرف على الشروط التى تضعف الذاكرة أوتزيد من معدل النسيان عند التلاميذ .

ما الذى يسبب النسيان :

فى سنة ١٨٨٥ قام "ابنجهاوس" بدراسة الذاكرة واستخدم لقياسها مقاطع عديمة المعنى وأجرى سلاسل متعددة من التجارب – تتخلص فى تقديم مقاطع صماء تحت شروط معينة – كلية فى سلاسل – موزعة – صماء لا معنى لها وأخرى لها معنى ... ثم يطلب من الفراد اعـــــادتهم أى تذكرها

من أهم نتائج" ابنجهاوس" :–

١–أنه وجد أن أفراد أحد عيناته التجريبية احتاجت إلى ١٦ قراءة لحفظ مجموعة من ١٢ مقطعاً لا معنى لها .

٢–وجد أن معدل النسيان فى اليوم الأول التالى على الحفظ يصل إلى ٦٠% .

٣–تنخفض نسبة النسيان أو تزداد نسبة الوعى يوماً بعد يوم – كما أن عدد مرات القراءة اللازمة لإعادة الحفظ تأخذ فى النقصان .

٤–التكرار الموزع فى حفظ مثل هذه المقاطع أفضل فقد وجد أن ٣٨ قراءة كافية الإعادة لحفظ مجموعات من المقاطع إذا وزعت على ٣ أيام فى حين يحتاج نفس الشخص إلى ٦٨ قراءة لحفظ نفس المقاطع فى يوم واحد .

٥–المادة ذات المعنى – المفهومة – اسهل فى حفظها وتذكرها فحفظ مقطوعة للشاعر "بيرون" تحتوى على ثمانية مقاطع – تتطلب ٩ قراءات ، وفى حين يحتاج نفس الشخص إلى ٧٥ قراءة لحفظ ثمانية مقاطع مماثلة عديمة المعنى .

٦–اصطناع نغمة أو إيقاع موسيقى معين يساعد على سرعة التحصيل .

٧–التسميع الذاتى يساعد على سرعة الحفظ .

ولن نناقش نتائج ابنجهاوس أو نتعرض لتفاصيلها حيث عرضت لها معظم الكتب العربية التى تناولت الذاكرة والتعلم .

ومن خلال تتبعنا لما سنعرضه من دراسات تالية ومتقدمة . نستطيع أن نقيم دراسات "ابنجهاوس

دراسات بارتلت :-

يرفض "بارتلت" دراسات "ابنجهاوس" - خاصة ما ينصب منها على المقاطع الصماء - فالذاكرة تصوير كلى للواقع .

وفى دراسة "بارتلت" - لما يسمى بإعادة التكوين - استخدم قصة تسمى قصة "حرب الأشباح" . يقرأ القصة على المفحوصين - ثم يطلب منهم أن يكتب كل منهم عن القصة .

وفى تحليله لإجابات المفحوصين لم يهتم "بارتلت" بمقدار ما تذكره كل منهم من القصة ، بل اهتم بنوع المادة التى تذكرها كل فرد .

وجد أن الفراد يميلون إلى الإحتفاظ بالشكل العام أو الإطار العام للقصة ، فى إعادة تكوينها ومن النادر أن يحتفظوا بالإيقاع أو الأسلوب .

والحوادث الغريبة فى القصة تتحول غالباً إلى حوادث مألوفة أو أكثر الفة .

وفى دراسة أخرى "لبارتلت" عن اثر العوامل الاجتماعية على الذاكرة البصرية - قام بتقديم سلاسل من البطاقات على كل منها رمزاً أو كلمة لعدد من التلاميذ - وبعد ١٥ دقيقة قرأ بارتلت عليهم قصة بها عدد من هذه الكلمات . ثم يطلب من المفحوصين ذكر الرموز المقابلة ثم بعد عدة ايام طلب منهم أن يرسموا الإشارات - ثم يطلب من المفحوصين ذكر الرموز المقابلة المرتبطة بالرموز التى على البطاقات .وجد أن أول إشارات تنسى هى الإشارات التى لا تشبه

الأشياء التى تمثلها مثلا إشارات العين ، الرأس ، السيف كما فى الأشكال الاتية كان من النادر أن تنسى أو تحذف





سيـــــف

بينما تحذف إشارات الكلمات : الريح – الظهر – كانت تنسى ويرى "بارتلت" أن التاريخ الشخصى للفرد فى الذاكرة البصرية والمواد المكتوبة .

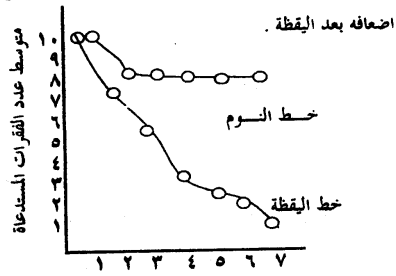
نظرية التدخل فى النسيان :–

أهم النظريات التى تحاول تفسير النسيان حاليا فى علم النفس هما نظريتـــان : الأولى تسمى بنظرية التداخل والثانية تسمى بنظرية التدهور ، وترى نظرية التدهور أن المـــادة المتعلمة تحت تأثير مرور الزمن وعدم الاستخدام disuse إلى اجزاء لا معنى لها ثم تتدهور . ومن هنا لا يمكن استرجاعها إذا ما تدهورت .

بينما نرى نظرية التداخل أن المادة المتعلمة لا تتدهور ولا تدمر مع مرور الزمن بل قد تغطى بجوار آخر جديد أو لاحقة متعلمة . ونرى أن هناك خبرات عملية تجعلنا نشك فى صدق التدهور . منها قدرتنا أحيانا على استرجاع أحداث قديمة جدا لم تمر بحياتنا غير مرة واحـــدة عنوان السكن فى سن الثامنة مثلا – اسم أول مدرس درس لنا .. الخ .

ولعل أهم ما تؤكد عليه نظرية التداخل ان الحفظ يكون أعلى بعد فترة نـــوم أو استرخاء نفس عضلى اكثر منه بعد فترة يقظة – حيث أن النوم والاسترخاء العضـــلى والعقلى يحمى المواد المتعلمة من التداخل .

وقد تأكدت هذه النتيجة فى دراسة "جنكز" و" دالنباش" Dallenbach/Jenkins . سنة ١٩٢٤ - على طلاب جامعيين فى حفظ قوائم من ١٠ مقاطع صماء وعليهم أن يسترجعوا المادة بعد فترات مختلفة من النوم واليقظة ويرى فى الرسم التالى متوسط المادة المستدعاة المحفوظة بعد ساعة - ٢ - ٤ - ٨ ساعات من النوم أو من اليقظة . ويتضح لنا أن الاستدعاء بعد النوم ٥ اضعافه بعد اليقظة .



ومن النتائج التى تلغى نظرية التدهور هو نقص المـــادة أى نسيان بعد الساعتين الأولى من النوم . وما بين الساعة الثانية - الثامنة يظل متوسط المادة المحفوظة ثانيا .تقريبا لمدة ٥.٥ أى عند ٥ فقرات ونصف ، ومعظم النسيان يحدث أثناء الساعتين الولى من النوم حينما يذهب الأفراد إلى النـــــوم وربما مستيقظين لفترة معينة . ثم يكون بدايات النوم - ولم يصلوا بعد إلى المستوى المرغوب من النوم العميق ، وبالعكس يستمر النسيان عند معدل مرتفع اثناء ٨ ساعات اليقظة ومعنى هذا فليس هو مرور الوقت الذى يسبب النسيان - كما ترى نظرية التدهور .

التداخل فى تجارب المعمل :- هاجم" ماكجو" Mcgeoch سنة ١٩٣٢ قانون "ثورنديـك " الذى يعتمد على نظرية التدهور والمسمى بقانون الاستخدام الســـى Disuse ثم درس ظـاهرة الكف الرجعى Retroactive.Inhibition

استخدم مجموعتين :-

(١) مجموعة تجريبية (٢) مجموعة ضابطة

العينة / الجلسة	جلسة ١	جلسة ٢	جلسة ٣
تجريبية	تعلم X	تعلم A	استدعاء A
ضابطة	راحة	تعلم A	استدعاء A

التداخل فى الفصل المدرسى :-

الكف الرجعى يؤدى إلى خفض الحفظ للمواد الدراسية النمطية ، ويعتمد تاثير الكف الرجعى على عاملين :-

١-طبيعة المواد الدراسية .

٢-طبيعة الاختبار المستخدم .

وفى دراسة سنة ١٩٧٢ أجراها "اندرسون" "وما يرو" حول اثر هذين العاملين وكيف يعملان أخذ مجموعة من التلاميذ متماثلة فى معظم التتغيرات المحتمل أن تؤثر على الحفظ وقسم هذه المجموعات إلى مجموعة تجريبية واخرى ضابطة .

وفى اليوم الأول من التجربة أعطى افراد المجموعتين مقالة تتكون من ٢٢٠٠ كلمة عن إحدى القبائل الأفريقية (قصص عن هذه القبيلة مشعبة بقدر من الخيال ولنطلق عليها المقال A) .

وفى اليوم الثانى من التجربة تقرأ التجريبية ٢٢٠٠ كلمة فى مقالة عن قبيلة افريقية أخرى X بينما قرأت العينة الضابطة مقالة عن الديانة البوذية .

وفى اليوم الثامن طبق على أفراد المجموعتين اختبارا عن القبيلة A ولا نتوقع بالطبع حدوث كف رجعى فقط أى تأثير سيئ فى استدعاء المجموعة التجريبية للمقالة A ذلك فكما أن حفظ المجموعة التجريبية للمقالة A ثم للمقالة X المماثلة لـــ A قد يحدث أثرا سيئا على استدعائها للمقالة الأولى A نتيجة لحدوث كف رجعى محتمل .

كذلك هناك إحتمال بأنه قد يحدث تيسيرا رجعيا بدلا من كف رجعى فيصبح أداء المجموعة التجريبية على الاختبار أفضل من المجموعة الضابطة لأن دراستها لـــ X المماثلة لـــ Aبدلا من أن يحدث كفا رجعيا وسلبيا تيسيرا رجعيا موجبا عن طريق انتقال اثر التدريب .

ولكن كيف وتحت أى شروط يحدث كف رجعى سلبى - وتحت أى شروط يحدث تيسير رجعى إيجابى ومن هنا لابد أن نفهم نتائج أو نعرض نتائج تجربة اندرسون مايرو تحت الشروط الآتية :-

من الضرورى أن نضع فى اعتبارنا محتوى المقالات،ونحن نعرف من دراستنا للكف الرجعى(RI) أنه يظهر حينما تكون المثيرات فى القائمتين متماثلة ، والاستجابات مختلفة وقدحاول "اندرسون" "ومايرو" إيجاد هذا الشرط فى بعض المواد التى قرأتها المجموعة التجريبية

قام الباحثان بتحليل المواد عن القبيلة A والقبيلة X حددا الفقرات المماثلة فيها - والفقرات المختلفة ثم فى ضوء ذلك وضعا اختبارهما كما يلى :-

استخدما فى جزء منه - الاختبار المتعدد . بمعنى أن يقدم فقرة معينة وتعطى الاجابات المحتملة كلها - أى عدد من الاجابات وعلى المفحوص أن يختار الاجابة الملائمة . والطريقة التى كانت متـــبعة هى إعطاء فقرة أو جزء من المقطوعة على أن يكون ناقصا - ثم يقدم معه ٤ بدلائل يطلب مـــن المفحوص اختيار أحدهما . الجزء هنا يمثل المثير , وهو جزء من نفس المقالة وفقرة التى يختارهـــا المفحوص لتكملة الجذر تسمى استجابة . وبذلك قسما المقالتين إلى مثيرات واستجابات

يتكون هذا الإختبار من ٣ سؤالاً – قسمت كما يلى :-

(١) ١٤ سؤالاً لقياس حفظ المثيرات فى المقالتين + استجابات مختلفة ويتوقع أن الاستجابات هنا للمجموعة التجريبية تكون ضعيفة لإحتمال ظهور الكف الرجعى RI – والذى يظهر إذا تماثلت المثيرات واختلفت الاستجابات .

(٢) ١٠ أسئلة تقيس حفظ الأفراد فى فقرات من المقالتين تكون فيه نفس المثيرات – نفس الاستجابات – ونتوقع هنا ظهور التيسير الرجعى والذى ينعكس فى زيادة مقدار مادة الحفظ عند العينة التجريبية .

(٣) ١٠ اسئلة تقيس المادة الحيادية – أى مثيرات مختلفة – وكذلك استجابات مختلفة .

وهناك جزء من هذا الإختيار – لم يتبع الإختيار المتعدد – وأنما يقدم جذر الجملة ثم يكملها الطالب أى المفحوص من معلوماته فى شكل إجابة قصيرة .

وفى الإختبارت الأربع المتعددة كانت تشتمل على ثلاث اختبارات خطأ وإجابة واحدة صحيحة وعلى المفحوص أن نختار إجابة فقط لكل سؤال من الأربع بدائل المعطاة له ، وقد وضع نظـــاماً معيناً لبناء بدائل السئلة القائمة على الاختبارت وقسمها إلى ثلاث مجموعات ما يلى :-

(١) مجموعة بدائل – أى أربع اختبارات لكل سؤال – أطلق عليها كلاهما نوعى Spacific both تتضمن الإجابة الصحيحة وثلاث اختبارات أخرى أحدهما نوعى من المقالة الثانية والثين غير محددين أحدهما من المقالة الأولى والثانى من الثانية .

(٢) مجموعة بدائل ثانية غير نوعية Non – Specific وتمثل مشتقات غير محددة اختيرت من المقالتين

(٣) مجموعة بدائل Original Leariniing من التعلم الأصلى فقط تتضمن ثلاث بدائل غير الإستجابة الصحيحة كلها من المقالة الولى – التى يدور حولها السؤال من أهم النتائج :-

أولاً : وجد أن الكف الرجعى يظهر فى الفقرة الخاصة من المقالة الأولى التى لها مثير مشترك مع المقالة – أى مثيرات متماثلة – مع اختلاف الاستجابة .

ثانياً : كما ظهر الكف الرجعى مع اسئلة الاختبار المتعدد التى تتضمن البدائل الأربعة لكل سؤال استجابات مشتركة تحدث نوعاً من الخلط – أى فقرة هى اجابات على مثير من المقالة الأولى – ونفس المثير من المقالة الثانية له إجابة مخالفة .

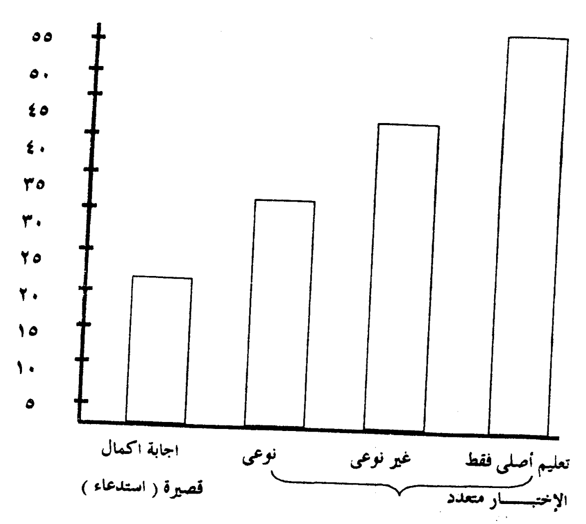
كما اتضح أن الكف الرجعى يظهر كذلك مع أجزاء الاختبار ذو الاجابة القصيرة ، وقد وجد أن المجموعة الضابطة تكون مرتفعة عن التجريبية حينما تكون المثيرات هى نفسها والاستجـــابات مختلفة ، كما أن المجموعة التجريبية لا تحصل على درجات مرتفعة أعلى من الضابطة حينما يكون التيسير الرجعى R F هو المتوقع كما فى حالة (تماثل المثيرات – وتماثل الاستجابات) – وربمـا يكون لقراءة هذه المادة مرة واحدة فى المقالة الثانية – بالجلسة الثانية عند التجريبية أثر ضعيف لا يزيد عن اثر الراحة التى استماع بها أفراد العينة الضابطة .

غير أن عدد إضافياً من الجلسات لقراءة المقالة الثانية عند المجموعة التجريبية مع إبقاء العـــينة الضابطة فى موقف راحة قد يرفع درجات التجريبية عن الضابطة فى الاختبار النهائى .

فى حالة الشرط الحيادى – حيث المثيرات والاستجابات مختلفة لم يكن هناك فرق بين المجـــموعة التجريبية والمجموعة الضابطة .

ويرى الباحثان أن اختبارت الاختيار المتعدد (التعرف) تعطى درجات أكثر إرتفاعاً من اختبارات المقال والاجابات القصيرة (الإكمال – والاستدعاء) .

ويرى "وتكتز" سنة ١٩٧٤ أن صعوبات أى امتحان تعتمد اساساً على طريقة بنائه . كمـــا أن اختبارت الاستدعاء يمكن أن يعطى درجات أفضل من اختبارت التعرف تحت شروط خاصة .



وفى سنة ١٩٦٨ اجرى "أوزوبل .أ ستاجر بلاجيت دراسة خاصة بالكف الرجـــعى على مجموعتين تجريبية - وضابطة . التجريبية تقرأ عن المذهب " زين " البوذى وبعد عدة ايام تقرأ مقالة عن البوذية (الضابطة تقرأ نفس المقالة المذهب " زين " البوذى ثم تقرأ مقالة مخالفة تماما عن المقالة الأولى وتدور حول العقاقير بعد أسبوع أعطى اختبار متعدد الاختبارات عن مقالة المذهب " زين " (أحد طقوس الديانة البوذية) وكان المتوقع ان التجريبية ستحصل على درجات منخفضة عن الضابطة ، الا ان العكس هو الذى حدث تماما حيث حصلت العينة التجريبية على درجات آكثر ارتفاعا من الضابطة بمعنى ان الذى ظهر هنا ليس الكف الرجعى

وأنما التيسير الرجعى - وكان متوسط درجات العينة التجريبية ٤٤ فى مقابل ٣٩ للعينة الضابطة

أعاد" أوروبل" وزملائه التجربة السابقة سنة ١٩٦٩ - بهدف دراسة أكثر الكف البعد ، ففى الجلسة الأولى قرأت التجريبية عن البوذية عامة والضابطه عن العقاقير وفى الجلسة الثانية قرأت الضابطة والتجريبية عن فرع من البوذية يسمى " زين " وفى الجلسة الثالثة بعد اسبوع طبق على المجموعتين اختبار عن هذا النوع من البوذية وانتهى إلى :-

تفترض نظرية التداخل أن المجموعة التجريبية سوف تستدعى أقل من الضابطة - لإحتمال حدوث كف بعدى P I بسبب التماثل بين المقالة الأولى والثانية عند التجريبية . غير أن الكف البعدى لم يظهر كذلك لم يظهر تيسير بعدى .

ولكى يفسر "أوزبل" وزملائه هذه النتائج ميزوا بين تعليم مقاطع صماء وقوائم كلمات (التى اشتقت منها نظرية التداخل) - وبين تعليم مقالات مرتبطة لها معنى متكامل .

فنحن عادة نربط المادة التى بقرأها فى الكتب أو الصحف بأشياء نعرفها فعلا ، ويفيدنا هذا فى أن نجعل المادة التى ندرسها مستقرة لها اساس ثابت بينما المقاطع لا توجد فقط إلا فى المعـــــامل - ونتيجة لذلك تظل معلقة لإستقرار لها - ومن هنا تكون هشة وعرضة للتداخل .

ومن هنا يضع أوزبل نظريته عن التعلم ذو المعنى - غير أن تجارب أخرى عديدة وأوضحت وجود التداخل فى مقالات كاملة لها معنى تحت شروط معينة كما ظهر من تجارب" اندرسون "ومايرو" . بينما ربما تحتوى مقالات وطبيعية أسئلة " اوزبل " تساعد على التقليل من التداخل .

طبيعة التداخل :-

ما الذى يحدث عندما يحصل تداخل التلميذ ؟ افترض أنك تحفظ قائمة من مقاطع صماء ذات أزواج مترابطة ، ثم درست قائمة أخرى من نفس المثيرات ثم طبقت اختبار استدعاء ، هنا ترى

المثيرات واحد بعد الآخر وتحاول أن تعطى استجابات من القائمة الأولى – هنا قد تواجه بعـــض الصعوبات فى التمييز بين قائمة واخرى قد تعطى اجابات من القائمة الثانية للإجابة عن القائمة الأولى ، وكان اصحاب هذه النظرية يعتقدون أن الكف الرجعى R I يرجع فى معظــــمه إلى الفشل فى التمييز بين القوائم وإلى تنافس الاستجابات على مثير ذو سؤال .

إلا أن "ميلتون وايرفن" سنة ١٩٤٠ (Mellton& Inuin, 1940) يعتقد أن هناك شروطاً أخرى عديدة تحدث بجانب تنافس الاستجابات وقد قام بتعليم قائمة سلاسل ثم قاموا بعــــــدد من المحاولات على قائمة ثانية وبعد ذلك حاولوا استدعاء القائمة الأولى – سجلوا عدد الاستجابات الصحيحة للمجموعة الضابطة التى لم تأخذ أى محاولات على القائمة الثانية ، كما هو متوقع فإن مقدار الكف الرجعى يزداد كلما زاد عدد المحاولات على القائمة الثانية – ولم يكن هذا مدهشاً وأنما المدهش هو نوع الأخطاء التى صدرت عن الأفراد فمع عدد قليل من المحاولات على القائمة الثانية ، كان الأفراد يصدرون استجابات من القائمة الثانية فىاختبار الاستدعاء ، كانت هــذه الأخطاء تزداد مع زيادة عدد المحاولات التى يؤديها الفرد على القائمة الثانية .

ومع عدد أكبر من قراءات القائمة الثانية كان هناك شئ آخر بجوار هذه الأخطاء أطلق عليها العامل .

فما هو العامل ؟

لنتذكر التجربة السابقة التى تخيلنا أنك تقوم بها ولنفترض أن القوائم ذات الأزواج المترابطة لها نفس المثيرات ، ولكن لها استجابات مختلفة ولنفرض أنك تدرس القائمة الثانية وفى المحـــاولات الأولى حيث مثيراتها هى نفس مثيرات القائمة الأولى . بينما استجاباتها جديدة مختـــــلفة عن استجابات الأولى – هنا وأنت فى المحاولات الأولى للقائمة الثانية تحاول أن تربط اجابات جديدة لمثيرات قديمة وهذا هنا ليس بالأمر لسهل – حيث أن رأسك ملئ باستجابات قديمة لنفس هذه د

المثيرات – وهى استجابات القائمة الأولى التى سبق لك تعلمها – وحينما يظهر من القائمة الثانية – وقد سبق أن ارتبط باستجابة قديمة على القائمة الأولى – وهنا قد ينفلت منك إجابة قديمة لا تتلاءم مع القائمة الثانية ثم تكتشف خطأ حينما تقدم لك الإجابات الصحيحة لمثيرات القائمة الثانية – ونتيجة لهذا الخطأ – وما يتبعه من إحباط (تعزيز سالب) ما الذى يمكن أن يحدث ؟ ما دامت القائمة الأولى – أو استجابات للمقالة الأولى لا يمكن أن تنتج تعزيزاً موجباً – أثناء دراسة القائمة الثانية أو الامتحان عليها – فأنها هنا قد تحدث تغذية رجعية سالبة مما يؤدى إلى خفض استجابات القائمة الأولى نتيجة لحدوث انطفاء بين استجاباتها ومثيراتها – وأدامت الاستجابات تخضع للإنطفاء فأنها لا تكون فى متناول التلميذ فى اختبار استدعاء خاص بالقائمة الأولى . وهذا هو ما حدث فعلاً فى دراسة "ميلتون وارفين ."

وفى سنة ١٩٥٩ أعاد" برنز واندرود" تجربة "ميلتون "وارفين " السابقة . مع استخدام مقاطع صماء كمتغيرات ، وصفات كاستجابات كانت المثيرات والصفات كاستجابات مختلفة .

ولقد وجد أنه كلما زادت محاولات حفظ القائمة الثانية (وذلك بعد حفظ الأولى) – أو كلما تعلمت القائمة الثانية – زاد معدل نسيان القائمة الأولى .

وانتهيا إلى القول بأن الكف الرجعى هو نتاج عاملين – الانطفاء – تنافس الاستجابة .

كيف يمكن أن نقلل من نسبة النسيان :

يجمع الانسان معلوماته عن طريق الإدراك – أى يستقبل الدركات أو المعلومات التى تصله من العالم الخارجى او من الآخرين عن طريق المستقبلات الحسية – ثم يخضعها لعملية الادراك ليعطيها معنى . غير أن الانسان لديه القدرة على تخيل المستقبل والقدرة على استرجاع خبراته الماضية . وفى كلتا الحالتين – تخيل المستقبل واسترجاع الماضى وأنما هو يتذكر ما مضى من خبراته

يجمع بعضها فى علاقات جديدة ويتخيلها مستقبلاً ربما تحدث وربما لا تحدث حينما يتخيل المستقبل وحينما يسترجع الماضى أنما هو كذلك يجمع خبرات سابقة بدون تعديلات فيها غير أن التجريب أكد أن الانسان حتى فى استرجاع خبراته الماضية يسقط منها أشياء ويضيف أشياء أخرى.

والابداع يعتمد على التخيل إلى حد كبير ، بينما يعتمد التعلم اساساً على التذكر .

ونرى معظم المؤلفات أن التذكر عملية معقدة يتوقف على :-

١- الحفظ ٢ - التعرف ٣ - الاستدعاء .

(١) الحفظ : هو بناء فرضى - نفترض فيه أن الإنسان قام بحفظ خبرة معينة مرتبه فى موقف تعلم المدرس أو تعلم اجتماعى أو أى مواقف أخرى . ولما كان الحفظ متغيراً فرضياً فنحن نتعرف عليه من خلال ما نستطيع استدعاؤه من الخبرات التى تعلمناها سابقاً .

والحفظ والنسيان وجهتان لعملية واحدة - ترتبط بعملية تخزين المعلومات إلا أن الحفظ يعنى الإبقاء على هذه المعلومات والنسيان يعنى حذفها أو تدهورها أو عدم القدرة على استدعائها .

وترى معظم الدراسات التقليدية أن من أهم الشروط التى تؤثر فى الحفظ والنسيان ما يلى :

(١)مقدار النسيان يكون سريعاً وكبيراً بعد التعلم مباشرة . ثم يأخذ فى الضعف تدريجياً .

(٢)المواد ذات المعنى -والمفهومة أسهل فى حفظها وتذكرها عن المواد الغامضة والتى لا معنى لها.

(٣)سريعوا التعلم أحسن من ضعيفى التعلم فى التذكر .

(٤)المواقف والخبرات المرتبطة بخبرة انفعالية سارة أيسر فى حفظها .

(٥)الراحة عامل ميسر للتذكر . بمعنى أن فترات الراحة خاصة النوم بعد موقف تعلم ييسر استرجاع هذا الموقف وتذكره .

(٦) أن مدى ما نتعلمه ونحفظه يتوقف إلى حد ما على طريقة التعلم فالطفل يجب أن يتعلم عن طريق العمل ،وفى الطفولة المتأخرة يفضل الحفظ الآلى – وفى المراهقة يفضل الفهم .

الا أن البحوث المعاصرة أوضحت أن الفهم امر هام لتيسير الحفظ فى أى مرحلة عمرية – ولكل مرحلة عمرية منطق خاص على المدرس أ، يتعرف عليه ليجعل من أى موقف تعليمى موقفاً مفهوماً من وجهة نظر التلميذ فى أى مرحلة عمرية .

(٢)الاستدعاء :– أى استرجاع الخبرات أو مواقف التعلم السابقة – كلما استلزم الأمر كذلك ، والاستدعاء يعتمد على الصور الذهنية وهى تنقل المعنى الذى وجد فيه المثير الأصـــلى والاستدعاء يحدث غالباً فى صورة ألفاظ وعبارات .

ويحدث الاستدعاء عادة لوجود مثير – أو موقف مثير . يتطلب استرجاع خبرة سابقة – أى موقف حاضر مثير – كسؤال أو امتحان مثلاً يستدعى خبرة سابقة غالباً – هى الاستجابة اللفظية – أو أدائية لحل مشكلة أو إجراء تجربة .. الخ

(٣)التعرف :– وهو يتضمن نوعاً من التمييز – تمييز ما سبق أن تعرفنا عليه فى مواقف سابقة – داخل موقف حاضر مثل اختباراً والتعرف على اجابة صحيحة من بين أربع اجابات مقدمة ثلاث منها خطأ – والاجابة على سؤال معطى .

وهنا نحن نرى الموقف المتعلم سابقاً – نراه أمامنا فى موقف حاضر وكل ما هو مطلوب منا أن يكون لدينا القدرة على تحديده بشكل دقيق حتى نستطيع تمييزه عن غيره من مثيرات قـــد تكون متداخلة أو متماثلة معه .

ومن هنا فإن الموقف التعليمى إذا لم يكن واضحاً بما فيه الكفاية تقل قدرة الفرد على التعرف حيث ينعدم تماماً فى كثير من المواقف بينما تصبح قدرته على الاستدعاء مهوشة فى جميع المواقف

وجهة النظر المعاصرة للذاكرة :-

بغض النظر عن تقسيم الذاكرة إلى مقولات أو مناطق فإن ما يهـ نا داخل مواقف التعلم المدرسى - أن نتعرف على تلك الشروط التى تضعف من قدرة التلميذ على تذكر خبراته مواقف تعلمه الماضية - كلما استدعى الأمر ذلك وكذلك أن نتعرف على تلك الشروط التى تقلل إلى أكبرحد ممكن من مقدار المادة المفقودة أو النسيان .

بعض المناهج المساعدة على التذكر

أولاً :- منهج العلاقة الموضوعية " التموضع "

وقد ظهر هذا المنهج بشكل عملى امبريقى عند خطباء اليونان والرومان - ولم يكن الورق قد اخترع بعد - وعلى الخطباء أن يضعوا ملاحظات أو دلائل عقلية حتى يتأكدوا أنهم يتكلمون أو يخطبون فعلا فى موضوعات مطلوب التكلم فيها . وبعد أن يكونون الخطبة يقومون بتكوين صوراً عقلية أو رموز كل رمز يمثل أحد موضوعات الخطبة .

مثلاً إذا كان الموضوع هو " الحرب " يربطون الموضوع برمز السكين وهكذافى بقية موضوعات الخطبة . ثم تتسلسل هذه الموز تبعاً لتسلسل موضوعاتها فى الخطبة - ويقوم الخطيب بوضع هذه الرموز فى مكان واضح بالنسبة له داخل الموقف الذى سيخطب به كل رمز فى موضع معين وبنفس تسلسل موضوعات الخطبة ومن هنا تسمى منهج " التموضع " أو العلاقات الموضعية .

وفى سنة ١٩٦٨ اوضح" روس لورانس" أنه مع قليل من التدريب للطالب الجامعى أن يستخدم هذا المنهج بعد تحويرات بسيطة كما سيأتى :-

وفى تجربة على طلبة جامعين داخل معسكر - طلب من كل طالب أن يتذكر ٥٠ وضعاً أو مكاناً داخل المعسكر ثم قرأ الباحث قائمة عليها ٥٠ أسماً ولأشياء عينية أى يمكن

تلمسها – مثل (طائر – حذاء – علبة كبريت .. الخ) وكلما قرأت الكلمة على الطلاب – كل منهم بينه وبين نفسه – أن يربط هذه الكلمة بأحد المواقع أو المواضع المكانية الخمسين الســـابق ذكرها ثم يعطى إشارة أنه فعل ذلك فعلاً وبعد قراءة القائمة كان يطلب من المفحوصين المادة القائم بنفس النظام وكانت النتيجة رائعة حيث استطاع معظم المفحوصين استعادة القائمة بنفس النظام .

وفى الجلسة التالية من التجربة يقدم أو يقرأ للمفحوص قائم من ٢٠ إسم ويطلب من المفحوص أن يبط كل إسم بأحد المواقع أو المواضع الخمسين السابقة وذلك يقرأ قائمة من ٢٠ إســـــم على أن يزاوج المفحوص ومن كل اسم ومثيله فى التسلسلفى القائمة السابقة .

مثلاً فى القائمة الأولى ٢٠ اسماً (١ – دجاجة ٢ –كتاب ٣ – قلم ٤ – ســيارة ٥ – جورب ٦ – سيجارة .... الخ .)

بعد أن تقرأ القائمة الأولى ويربط المفحوص كل اسم منها بموضع مكانى من المواضع الخمسين السابق ذكرها فى المعسكر .

يقرأ عليه القائمة الثانية ٢٠ اسماً كذلك – ويطلب من المفحوص أن يوازن بين كل اسم وبين الاسم المقابل له من حيث التسلسل فى القائمة الأولى .

فمثلاً : الاسم رقم (١) فى القائمة الثانية . يزاوجه مع الاسم رقم ١ فى القائمة السابقة ورقم ٢ فى القائمة الثانية مع رقم ٢ فى الأولى وهكذا .

ونفترض هنا أن المفحوص الذى ربط بين الاسم رقم (١) فى القائمة وبين موضع مكانى اختاره هنا يزاوج بين هذا الاسم وبين اسم آخر رقم (١) كذلك فى القائمة الثانية انما يضعه مع زوجة فى نفس الموضع المكانى – اى أنه هنا لا يخزن اسما واحدا فى كل موضوع مكانى – كما كان الحال فى القائمة الأولى بل اصبح يخزن اسمين متزاوجين أحدهما رقم (١) من القائمة الأولى والثانى

رقم (٢) كذلك ولكن من القائمة الثانية (٢) وانتهى أن أصبح يخزن الاسمين فى موضع مكانى واحد .
وهكذا خزن عشرين زوجاً من الكلمات كل زوج يتكون من كلمتين أحدهما من القائمة الأولى والثانية من القائمة الثانية فى موضع مكانى فما هى النتيجة ؟

بعد أربعة ايام قام "لورانس " بدراسة ما يتذكره الأفراد من هذه القوائم المتزاوجة فاستطاع كل فرد من العينة أن يستدعى كل العشرين زوجاً . ولم يكن هناك إلا خطأ واحد فقط هـــــو أن نـــــظام الكلمتين فى الزوج الثامن كان منعكساً بمعنى أن كل كلمة منه حلت مكان الأخرى .

ويستنتج "لورانس" أن الصورة البصرية إذا التى تكون أساس منهج المتوضع المكانى تمثل دلائل استدعاء قوية علينا أن نستغلها .

وبالطبع نجد أن عينة التجربة السابقة استفادت من التدريب على منهج المتوضع المكانى أو الرميز المكانى السابق – حاول "لورانس " أن يتأكد عما إذا كانوا استفادوا أم لا فقدم لهم عدة قوائم متتابعة لحفظها تحت شروط ثابتة . وكان يتوقع نتيجة لتعدد القوائم المطلوب منهم حفظها أن يحدث قدراً من التداخل يزيد من مقدار الكف البعدى أو الكف الرجعى . أى يزيد من معدل النسيان – الا أن اختبار الحفظ الذى طبق لقياس حفظ كل قائمة بعد ٢٤ ساعة انتهى إلى أن المادة المتذكرة من كل من القوائم الربع كان كما يلى :–

من القائمة الأولى ٩٦٪   من القائمة الثانية ٧٨٪

من القائمة الثالثة ٧٦٪   من القائمة الرابعة ٨٨٪

ويجب ان نلاحظ أن نقص المادة المتذكرة هنا يرجع إلى الكف البعدى أى التأثير السلبى للتعلم السابق على اللاحق .ومن فحص النسب الثلاثة الثانية – الثالثة – الرابعة – يتضح أن التعلم السابق ليس له تأثير سلبى على اللاحق – بعد استبعاد أثر القائمة الأولى التى يرجع الزيادة إلى

النسبة المتذكرة فيها – لا إلى عدم وجود تعلم عليها وانما لأنها كانت مرتبطة مباشرة بعملية التوضع المكانى يلغى اثر ما يسمى بالكف البعدى واثره السلبى على التذكر .

تطور منهج التوضع المكانى :–

من الواضح ان عمليةربط الخبرات المتعلمة بواضع مكانية ليست فى متناولها فى جميع الأوقات – كما انها تحمل قدراً كبيراً من الصعوبة احياناً خاصة إذا كان موضوع التعلم مقالة معقدة – كلما أن الممرضع هنا ليس الا رمز متوافر امام ابصارنا يستخدم لاستدعاء معلومات ربطناها به . فماذا لو بحثنا عن رموز أخرى متوافرة لدينا ونحملها معنا دائماً بدلاً من مواضع مكانية – خاصة إذا كانت الرموز الأخرى مرنة خصبة نستطيع أن نأخذ منها رموزاً لها علاقة واضحة مع أى مادة نريد تذكرها هذا هو ما يحاوله "تولفنج "وبيرستون" سنة ١٩٦٦ حيث سأل عدداً من التلاميذ أن يتذكروا قوائم من الأسماء مبينة بطريقة خاصة فى شكل فئات مثل :

حيوانات : بقر – غزال – أسد . أسلحة : مدافع – قنابل – رشاشات .جرائم : قتل – سرقة – غش .

لم يطلب من الأفراد اثناء قراءة القائمة أن يتذكروا اسماء أو عناوين الفئات بل كان عنوان الفئة يذكر كنوع من التنظيم فى القائمة فقط بينما المطلوب فقط هو تذكر الأسماء . كما قدمت السماء بدون عناوين الفئات إلى عينة اخرى من المفحوصين كما هو متوقع العينة الأولى أفضل من الثانية – حيث استخدمت عناوين الفئات كدلائل أو رموز استرجاتية . ومع أن العينة الثانية التى قدمت لها الكلمات بطريقة عشوائية كانت ضعيفة فى استرجاعها إلا أنها كانت تميل إلى تنظيم مستدعياتها فى فئات أى كانت تحاول أن تبحث لها عن دلائل استرجاع أى رموز استرجاعية وفى الفصل المدرسى يجب أن يكون المدرس قادراً على خفض نسيان الدلائل أى الرموز الاسترجاعية الموجودة فى الموقف التعليمى . وأن يؤكد ويساعد الطالب على تذكرها حين إعطاء

مجموعة اسئلة بدلا من تقديمها مسلسلة بشكل عشوائى يمكن أن نوزعها بشكل مماثل لتوزيع فصول موضوعات الكتاب المدرسى .

مثلا لوضع إمتحان فى مدخل إلى علم النفس . فيمكن أن يوضع كما يلى :-

الفصل الأولى :- علم النفس باعتباره علما :-

١-السؤال ٢ - ٣ -

الفصل الثانى :- مناهج البحث فى علم النفس :-

٨-سؤال

٩-

الفصل الثالث :- التشريط والتعلم :-

هذا حينما نريد قياس مجرد التحصيل فقط)وعامة فنحن هنا لا نفترض أن التلاميذ يتذكرون كل صفحة وكل سطر بل نفترض أنه حينما يقرأ المادة يلاحظ أسماء الفصول والنظام العام - ويمكن أن يدرك .. ملامح عامة لهذا النظام ويمكن أن يستقيها من الكتاب أو من شرح المدرس والمناقشة داخل الفصل وإذا ساعدنا على ربط هذه الملامح العامة مع المحتوى فإنه يستطيع استـــــخدامها كمؤشرات أو رموز استدعاء .

ولنتذكر دائما أن اثار الذاكرة موجودة فى ذهنتا دائما بشكل ما إلا أنه قد يصعب الوصول إليها تحت شروط معينة نعتبرها مرسومة ومن هنا فإن المستدعيات أو مؤشرات الاستدعاء تعتبر مؤشرات هامة لهذه الذاكرة ومحتواها .

ونحن لا نستطيع إمداد تلاميذنا بهذه المستدعيات أو رموز المستدعيات دائما ومن هنا علينا أن نعلمهم كيف يكونوها ويستفيدون منها .

رموز المستدعيات ورموز التجميع :-

كما قلنا سابقا فإن تكوين رموز المستدعيات أو التموضع المكانى ليس امرا متيسرا فى كل الظروف كما أن نسيان أى رمز منها يؤدى إلى نسيان ما يرتبط به - بينما يكثر التبادل والتداخل بين رموز المستدعيات خاصة حينما تكون العلاقة بين هذه الرموز ومستدعياتها من خلال علاقة ضعيفة أو متماثلة مع علاقات أخرى .

ولنأخذ مثلا - لطالب يقرأ مقالة فى سيكولوجية الشخصية ويناقش الجزء الخاص بتصورات أحد علماء النفس عما يسمى بتحقيق الذات ولتكن هذه التصورات لعالم النفس " ابراهام ماسلو" (Maslow) . ويعتقد " ماسلو " أن عملية تحقيق أو إثبات الشخص لذاته يشتمل على : التلقائية ، التمركز حول المشكلة المطلوب من الشخص الطلب عليها وحلها كخطوة لتحقيق الذات ، وحساسية التذوق أو الحساسية الذوقية - كأن يكون حساسا ومتذوقا لكل الظواهر المحيطة به من حيث ما تبعثه فيه من احساس بالجمال وتلقائية ومن حيث ما تسهم به فى حل المشكلة ... الخ

ثم نتكلم عن مفهوم التلقائية . ومفهوم التمركز حول المشكلة ثم الحساسية الذوقية بشكل متصل مع ذكر أمثلة وتجارب .

كيف إذن تدرس هذه المادة ؟ بالطبع ستعتمد على التدريب الموزع على الفهم الجيد لكل فترة وعبارة على الربط المنطقى بينها جميعا ثم على فترات راحة أو نوبة تعقب الحفظ - هذا كله معروف للطالب - ولكن كيف يستفيد هنا من منهج التموضع أو رمز المستدعيات ؟

إن أحد الحلول المطروحة هنا هو أن نحلل المقالة إلى مجموعة من الحقائق كل مجموعة يكون لها رمز معين . ربما لا نكتفى بتحليلها إلى الفئات العامة - أى التلقائية - التمركز - الحساسية الذوقية - با

أن تحت كل فئة فئات صغيرى ربما ترتبط برأى " ماسلو " بتجارب أجريت بعمليات تطبيـــق بالربط بينها وبين غيرها . بحيث يكون لرأى " ماسلو " رمزاً للتجارب رمزاً أو رموز ولعمليات التطبيق رمزاً أو رموزاً .. لعمليات الربط .. هكذا فى التلقائية وكـــذلك فى التمركز ثم فى الحساسية الذوقية .. وينتهى الأمر بعدد هائل من الرموز أو دلائل المستدعيات إلا أنه كلــما كثرت هذه الدلائل أى دلائل أو رموز المستدعيات زاد خطر نسيان أحدها أو بعضها وخطر تداخلها . من أجل ذلك يمكن أن نستخدم رموز التجميع ولنفرض أن الرموز المستخدمة للمعلومات السابق تصنيفها فى مقالة " ماسلو " كانت عبارة عن كلمات .

فمثلاً لتجارب " ماسلو " عن التلقائية ذكر ثلاث تجارب مثلاً ثم بعض تطبيقات فمواقف الربط وأخيراً رأى " ماسلو " ، لدينا هنا تجارب ثم تطبيق ثم مواقف ربط فأخيراً رأى " ماسلو " هنا يمكن أن نعبر عن كل كلمات بحرف يرمز لها . يكون دائماً هو اول حرف فى الكلمة إلا إذا كانت الحروف الأولى مكررة نأخذ حرفاً مميزاً .

تجارب : نأخذ منها حرف ت

تطبيق : نأخذ منها حرف ط فأى حرف بعد الحرف الأول المكرر مع تجارب " ت "

ربط : نأخذ منها حرف أول حرف ر

رأى : نأخذ منها حرف أ فأى حرف بعد الحرف الأول من الكلمة السابقة .

يتكون لدينا كلمة مع أربع حروف هى " تطرأ " وتسمى رمز تجميعى وحينما نريد تذكر المواد السابقة . نحلل الرمز التجميعى إلى حروفه وكل حرف يستدعى لنا دلائل الاستدعاء المباشرة – فالحرف من أول كلمة " تطرأ " تستدعى تجارب والتجارب يمثل رمز الاستدعاء لما قرأ تحتها فى مقالة " ماسلو " هكذا بقية الحروف . فالحرف ط مثلاً يساعدنا على فهمه إذا أضفنا له الحرف

الأول ت فتصبح تط وهنا يذكرنا بسهولة تطبيق وهى رمز استدعائى لكل ما قرأ تحتها - وهكذا .
وكلما كانت كلمة الترميز الجمعى غير مألوفة كان ذلك أفضل حتى يمكن تذكرها بسهولة وكلما تكونت من الحروف الأولى لرموز أو دلائل المستدعيات كان ذلك أفضل .

ويمكن تلخيص ما سبق فيما يلى :-

(١)قسم المادة الدراسية المطلوب تذكرها إلى موضوعات فرعية .

(٢)اختر لكل موضوع كلمة خاصة تكون بينها وبين هذا الموضوع علاقة واضحة واستخدامها رمزاً له .

(٣)بعد دراسة المادة اكتب الكلمة الرمز وتذكر مادة الموضوع المرتبط بها .

(٤)جمع الحروف الأولى من الكلمات الرمز لكل موضوعات المقال داخل كلمة تسمى - الرمز التجميعى - يفضل أن تكون غير مالوفة - أو لا معنى لها .

(٥)وقت الاستدعاء حلل رمز التجميع إلى حروفه وكل حرف سيستدعى مؤشرات الاستدعاء إلى الكلمات التى ترمز لموضوعات المقالة التى ندرسها .

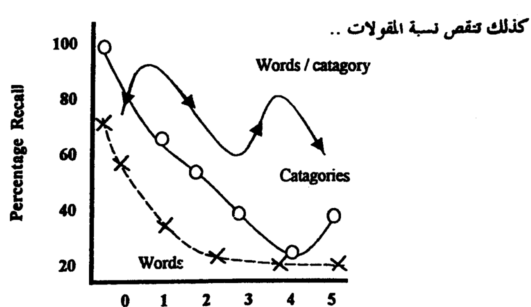
التذكر وتنظيم المعلومات فى فئات :-

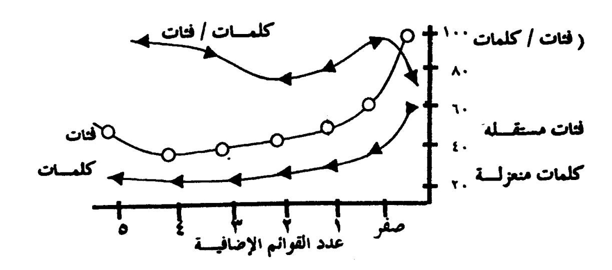
يتطلب منهج التموضع المكانى أو دلائل المستدعيات تنظيم المادة العلمية فى موضوعات اشبه بالفئــات .
ومجرد تنظيم المادة الدراسية فى فئات يقلل من مقدار النسيان .

ويؤكد " تولفنج " "و بسوتكا " ١٩٧١أن المادة المتعلمة حينما تنظم فى فئات ، فإن ذلك يقلل من مقدار النسيان . وقد قاما البــاحثان بتجربة قدما فيها من ٢٤ كلمة تتضمن ٦ فئات . كل فئة تحتوى على ٤ كلمات . وذلك إلى ٦ مجموعات من الأفراد . المجموعة الأولى لم يعطها أى مادة أخرى لدراستها بعد القائـــــــمة الأولى والمجموعة الثانية قدم لها قائمة والثالثة قائمتين والرابعة ثلاث قوائم والخامسة أربع قوائم والسادسة خمس قوائم وذلك بعد القائمة الأولى الأصلية .

وذلك يهدف إلى يتعرف على أثر تنظيم المادة الدراسية أو المتعلمة على التقليل من آثار الكــف الرجعى أو النسيان .

وكان على الأفراد أن يستدعوا كلمات القوائم موزعة توزيعا عشوائيا بدون عناوين لفئات وأن يتذكروا عناوين فئات فقط وأن يتذكروا عناوين فئات وما تحتها من كلمات (فئات / كلمات) اتضح أن النسبة المئوية من الكلمات المستدعاه - تقل بشكل واضح كلمات زاد عدد قوائــم الحفظ التالية أى أن النسيان وأثر الكف الرجعى هنا يكون كبيرا كما هو واضح فى الرسم البيانى كذلك تنقص نسبة المقولات ..





أو الفئات المستدعاه مع زيادة عدد قوائم الحفظ الإضافية غير أن تأثير الكف الرجعى هنا يكون أضعف من تأثيره على الكلمات وأن كان مماثلا إلى حد كبير . بينما بالنسبة لإستدعاء فئـــات كلمات . أى حينما يستدعى الفئة ثم ما تحتها فتحتها فإن معظم الأسماء المتدرجة تحت الفئـــــة تستدعى وتتذكرها بسهولة بغض النظر عن عدد القوائم الاضافية .

وقد استنتج " تولفنج وبسوتكا " أننا إذا أعطينا المفحوصين عناوين المقولة أو الفئة فإن ذلك يقلل كثيراً من أثر الكف الرجعى .

والحقيقة فإن عناوين الفئة أنما هو رمز استدعائها لها .ويؤكد هذا أن رمز الاستدعاء تثبت تماماً فى الذاكرة حينما تصبح المادة المتعلمة منظمة داخل فئات . وأن نشجع التلاميذ على حسن تنظيم المادة حسب دراستهم وفهمهم السليم لها .

تسلسل الفئات والتذكر والاستدعاء :-

أجرى " كولتز وكوليان " سلاسل من التجارب آكدت لنا أن تنظيم المعلومات فى فئات ثم تنظيم العلاقة بين هذه الفئات فى شكل هرمى أى تنظيم الفئات الصغرى داخل فئات أوسع وهكذا تساعدنا على التنبؤ بسهولة وسرعة للتذكر .

فنحن نتصور اننا حينما نقدم لطفل العبارتين التاليتين :-

(١)الحمامة لها جناحان .   (٢)الحمامة لهاجلد .

وطلبنا منه أن يعلم على كل عبارة وبأقصى سرعة فأننا نتوقع أن اجابته على السؤال رقم (١) سيكون أسهل واسرع . ولكن لماذا ؟ يرد " كولتز وكوليان " ان العقل البشرى يقوم تلقائياً بتنظيم معلوماته أو معارفه ويعطيها معنى وحينما نقدم لشخص حتى مجرد مقاطع صماء فإنه يحاول أن يعطيها معنى ما أو يربطها بمثيرات لها معنى .

والمعلومات التى تجمعها تنظمها فى شكل هرمى وهذا التنظيم الهرمى يضع حدوداً على سـرعة استدعاء المعلومات المخزونة فمعلومة الأجنحة ترتبط مباشرة بالطيور ر الحمام . بينما جلد ترتبط بفئات أخرى عديدة بالرغم من ارتباطها بالحمام إلا أننا لا نجعل هذه المعلومات ملتصقة بها بل بفئات اخرى أعلى واوسع منها نتيجة للتوزيع الهرمى للمعلومات الذى يتبعه العقل البشرى فى عن " كولنز وكوليان ".

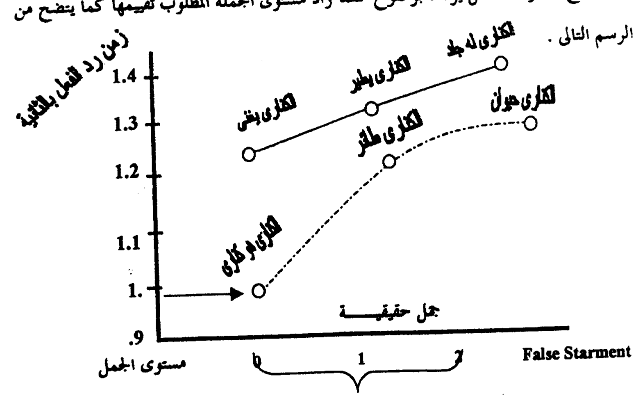
وطبقاً لنظرية " كوليان وكولنز " فإن العقل البشرى يخزن معلومات كل الحيوانات فى أعلى الهرم. وعند مستوى أدنى نجد الأنواع الدنيا فى فئة الحيوان :- جلد - سمك .. الخ ويرتبط بهذا المستوى معلومات أكثر تخصصاً عن كل فئة وتحت كل فئة نجد مقـولات فرعية أو فـئات فرعية . فتحت الطيور نجد : كانارى - بجعة - دجاج - حمام ..الخ وهنا معلومات عنـد أدنى مستوى من العمومية وتحتها مباشرة نجد معلومات نوعية تميز كل فرد تحت أى من هذه الفئة .

وما نريد أن نوضحه هنا أن المعلومات الموجودة أو المخزونة عند مستوى واحد لا يتكرر عند مستويات أخرى . فخصائص الحيوان مثلاً مع أنها تنطبق على كل ما تحتها إلا أن العقل البشرى لا يكررها عند مستويات دنيا أخرى .واستدعاء المعلومات السليمة ينقضى فى طريق راسى - وليس فى طريق افقى والتنظيم الهرمى يضع حدوداً على سرعة الاستدعاء فلكى نقول أن الحمام له جناحان لا يستدعى ذلك حركة اعلى من المستوى الأدنى - بينما لكى نقول أن الحمام له جلد أو الكنارى له جلد . فإن العقل البشرى يمضى من أسفل الهرم صاعداً حتى قمته مما يستـدعى جهداً أكبر ووقتاً أطول وفى تجربة " كولنز وكوليان " على عينة من الطلاب عرض علـيهم بواسطة جهاز عارض " بروجكتر " على شاشة عدة من الجمل كل جملة لمدة ثانيتين وأمـام المفحوص زوارين يضغط على زرار إذا كان يرى أن العبارة التى رآها صحيحة وعلى زرار آخر

إذا كانت خاطئة والضغط على الزرار مرتبط بجهاز تزمين . يسجل زمن رد الفعل منذ اسـقاط الجملة على الشاشة وحتى الاستجابة (الضغط على الزرار) من هذه الجمل مثلاً - جمل صحيحة مثل : الكنارى يقف الكنارى يطير-الكنارى هو كنارى - الكنارى طائر-الكنارى حيوان ... الخ .

كما استخدم نفس التجربة عدد من العبارات الخاطئة .

وقد اتضح أن أزمنة الفعل يزداد بوضوح كلما زاد مستوى الجملة المطلوب تقييمها كما يتضح من الرسم التالى .



وفى بحث أجراه " نافاريك " Navarick البت أن الزيادة فى زمن رد الفعل من مستوى لآخر تكون ثابتة عامة حوالى ٧٥. ٠ من الثانية .

ويرى " نافاريك " فى تفسيره للرسم السابق أن الأفراد حين تذكرهم لأسماء الفئة ليس عليهم أن يتفحصوا مداخل الفئة بينما حين يتذكرون خصائص داخل الفئات فان الأمر يتطلب فحص مداخل الفئات وبالتالى يستغرق وقتاً أكبر وعامة كلما زاد المستوى زاد زمن رد الفعل أى ضعف التذكر .

الفروق التى يحدثها التعليم :-

بالرغم من اختلاف نظرية التداخل ونظرية التدهور فى الذاكرة إلا انهما ينتهيان إلى افتراضات اساسية أهمها :-

١-أن الشخص لكى يسترجع معلوماته عليه أن يدخل الفئة التى بها المعلومات إلا إذا كان ما يسترجعه هو اسم الفئة عامة غير أن " ماكتيل ويرون بريان " أن الفئات لا توجد ســابقة على الاستدعاء أو التذكر وأنما يكونها الفرد حينما يحاول استدعاء أو استدعاء أو تــذكر معلومة معينة غير أن " كوليز وكوليان " يؤكدان أن الفئات موجودة مسبقاً عند المتعلم وبينها وبين بعضها ارتباطات معينة .

٢-كما تفترض النظريتان انه لكى نسترجع معلومات علينا أن نبحث فى محتويات فئة الموضوع الذى نبحث عنه . فلكى نحدد أن الحمام أو الكنارى يستطيع الطيران تفحص المفحوصين فى تجربة " كولنز وكيليان " محتوى فئة الطيور حتى وجدوا تلك الخاصية ومن هنا قرروا أن العبارة - الكنارى يطير - عبارة صحيحة .

تزايد ميل الذاكرة إلى تنظيم المعلومات يتزايد مستوى التعلم :-

اشرنا سابقاً إلى أن الذهن البشرى يميل إلى التنظيم المعلومات وقد ثبت هذا المبدأ فى عدد كبير من التجارب بل واصبح قانوناً عاماً من قوانين مدرسة " الجشتالت " حيث يميل العقل البشرى إلى تنظيم المدركات المشوهة فى كل له معنى . وفى سنة ١٩٥٣ قدم " بوسفيلد "(Bousfield 1953) قائمة من ٦٠ إسماً مأخوذة من اربع فئات (حيوانات - اسماء أعلام - مهن -خضروات) بحيث كل مجموعة تمثل بـــ " ١٥ " اسماً وزعت الاسماء توزيعاً عشوائياً فى القائمة - وقدمت إلى

عينة من التلاميذ .وبعد ذلك مباشرة يكتب الشخص كل ما يتذكره من فقرات بأى ترتيب يختاره واهتم " بوسفليد " بتحليل النظم التى اتبعها الأفراد فى كتابة استجاباتهم وجد أنهم يميلون إلى تجميع الأسماء فى مقولات أى تجمعات أو فئات ، بمعنى أن المفحوص إذا كتب أى تذكر كلمة من فئـة معينة ولتكن " مهنة " فإن الكلمة التالية تميل إلى أن تكون من نفس المهنة وقد أوضح "بوسفيلد" أنه مع تكرار القراءة يزداد تنظيم المادة المتعلمة .

وفى سنة ١٩٧٤ أوضح " لوفتس " (loftus 1974) أن التلاميذ الكبار يقومون بعملية تنظيم أكثر من التلاميذ المبتدئين ، وذلك فى تجربة على طلاب جامعة يدرسون برنامجاً سيكولوجياً مقسم إلى :- إدراك - ذاكرة - شخصية - اجتماعية - ارتقائى . وكان المتوقع أن طلاب المراحل المتقدمين يكونون اكثر الفة بهذه الموضوعات من المبتدئين مثلاً الطالب المتقدم ربما يختار اسماء علماء النفس فى هذه المقولات الخمس السابقة ، بينما لا يستطيع الطالب المبتدئ ذلك . بل قد يربط الطالب المبتدئ هذه الأسماء بافكار أو اكتشافات بدون ربطهم بمجالات واسعة من البحث ، وإذا كانت الحقيقة كذلك فعلاً فإن الطلاب المتقدمون القدماء والطلاب المبتدئون يسترجعون المعلومات عن اسماء علماء النفس بطرق مختلفة تماماً . وقد وضع الباحثان (Loftus) إجراء ذكياً للكشف عن هذا الفرق . سئل الطلاب أن يتذكر كل طالب منهم اسماء احد علماء النفس ، حينما نعرض عليه معلومتين فى أحد مجالات البحث فى علم النفس ، وأول حرف من آخر اسم لعالم النفس .

القسم الأول تقدم المجالات ثم الحروف .

القسم الثانى تقدم الحروف قبل المجالات .

بالنسبة للطلاب المتقدمين وجد أن تقديم المجالات أولاً ثم الحرف بعد ذلك يؤدى إلى استجابة أسرع حيث يقل زمن رد الفعل إلى حد كبير - فتقديم المجال - أى الفئة - يجعل الطالب مستعداً

لدخول الفئة وفحصها وبمجرد إعطاء الطالب الحرف فإن الطالب يستطيع أن يتعرف على الاسم الذى يرمز إليه داخل هذه المقولة .

بينما إذا أعطينا الحرف أولاً ثم المقولة سيجد التلميذ أن المعلومات أى الحرف هنا – لاقيمة لها مادام لابد ان يدخل الفئة قبل الفحص ويؤدى هذا إلى ضياع الوقت ، وحينما تعطى الفئة – يبدأ التلميذ فى عملية الاسترجاع – يذهب إل الفئة ثم يفحص إعطائها – وزن رد الفـــــعل هنا يكون اطول حيث تبدأ عملية الإسترجاع متأخرة .

بينما التلاميذ الجدد قد يستدعون معلوماتهم بشكل مختلف ولما كان تعرضهم للبرامـــــــج اقل وكذلك لتقسيم علماء النفس إلى مدارس أو مجالات فإنهم ربما يخزنون أسماء منعزلة لهؤلاء العلماء بدلاً من تجمعهم سوياً فى مقولات . ومن هنا فإن المبتدئين يجيبون بالإسم اسرع حينما يعطـــون الحرف أولاً ثم يعقبه اسم المجال ، فحين اعطائهم الحرف اولاً فأنهم يتفحصون مباشرة قائمة عقلية لديهم من علماء النفس حتى يجدوا اسماً مناسباً ، وبعد إعطاء اسم المجال فإن المبتدئين ربما يجيبون بإسم لأحد العلماء قد يكون صحيحاً أو خاطئاً .

ومن جهة اخرى فإن إعطاء المجال اولاً يؤجل عملية الاستدعاء ، وقد ينتظرون حتى يقدم اليهم الحرف وتتضح النتيجة فى الشكل التالى حيث يظهر فرق واضح جداً بين المبتدئين والطلاب المتقدمين . فزمن رد الفعل لدى الطلاب المتقدمين يكون قصيراً حينما تعرض عليهم اسم المجال أولاً ثم اول حرف من اسم العالم ، بينما يحدث للمبتدئين العكس تماماً .

ويؤكد هذا أن الطلاب المتقدمين ينظمون معلوماتهم افضل من الطلاب الجدد ، وعلى المدرس ان يضع ذلك فى اعتباره ، حيث قد تعودنا أن نقيم فاعليَّة التعليم عادة بامتحان أو اختبار التلاميذ عن مقدار ما يعرفونه ، ومن النادر أن نسأل عن تنظيم ما يعرفونه .

أزمنة رد الفعل للطلاب المتقدمين

والطلاب المبتدئين فى عملية الاستدعاء .

زمن رد الفعل بالثانية

طلاب قدماء

طلاب جدد

٥٠

٤٠

٣٠

٢٠

١٠

المجال / الحرف

الحرف / المجال

بعض اجراءات تحسين وتنمية الذاكرة

تذكر فقرات على شكل أزواج :-

من خلال التجارب المعملية والخبرة العلمية اتضح أن أى معلومة بينها وبين معلومة أخرى علاقة محفوظة (متعلمة) أو مدركة فإن كل منها يستدعى الاخر بسهولة حتى لو كانت هذه العلاقة علاقة تناقض . مثلاً :- نهار - ليل ، بنت - ولد ، شمس - قمر

وحينما نقدم فقرات على شكل أزواج الرابطة بين كل منها غير واضحة فإن المفحوص يميل إلى خلق رابطة قوية بينهما غير أن الحفظ أو التعلم أى تعلم ربط الفقرتين أو المعلومة الأولى بالثانية يكون صعباً ومن الصعب كذلك تذكره وعامة يمكن تدريب التلاميذ على إيجاد العلاقات بين الفقرات المطلوب تذكرها بحيث أن استدعاء أحداها يساعد على استدعاء الثانية .

افترض أنك ترغب فى تذكر أن " كوبنهاجن " Copenhagen هى عاصمة الدانمارك Denmark نبحث هنا مقاطع صوتية مثلاً أو بصرية ترتبط بين الكلمتين - يمكن أن نجد مقطع Den فى الدانمارك مماثلاً Pen . فإذا قدم لك اسم البلد Denmark فإن المقطع den يذكرك بالمقطع pen وهذا الأخير يستدعى لك Copenhagen . وإذا قدم لك اسم العاصمة Copenhagen فانها تستدعى Denmark والمقطع Den هنا نعتبره علاقة توسيطية .

وهناك طريقة اخرى فى إيجاد علاقة توسيطية لفظية تتضمن إدخال جملة بين عناصر تريد تذكرها وغالباً تكون عبارات شاذة . مثلاً : النتح - النبات (النتح أحد الوظائف التى تساعد على تغذية النبات وخروج الماء الزائد منه) .

يمكن ان أضع عبارة توسيطية " النبات ينطح الماء " مثل هذه العبارة تذكرنا بالنتح إذا تذكرنا النبات ، وبالنبات إذا تذكرنا النتح ثم توضح علاقة النتح فى النبات بخروج الماء منه .

إيجاد العلاقات المتوسطة بواسطة التخيل :-

اتضح أن التخيل أو التصور العقلى أكثر فاعلية فى مساعدة الذاكرة عن مجرد استخدام مقاطع او جمل وسيطة ، ويرى " هارى لوراين " سنة ١٩٧٥ (Lorayne 1975) ان اختراع الصور الذهنية يساعد الذاكرة بواسطة تركيز الانتباه على المعلومات المتعلمة أو المحفوظة ، وأفضل الصور الذهنية أو التخيل المستخدم هو غير المنطقى وغير المألوف وشبه المستحيل . وكذلك الصور الذهنية التى لامعنى لها ويقترح لوراين lorayne ٤ تكتيكات لعمل أو تكوين صور لا معنى لها هى :-

لنفترض أنك تود شراء زجاجة مياة غازية أو زجاجة " شراب فاكهة " وزوج من الأحذية بعد ظهر غد ، ومن المهم أن تتذكر الاثنين غير أن هناك أمورا أخرى كثيرة عليك أن تعملها ، مما يجعلك تخشى حينما تخرج أن تشترى احداهما فقط وتنسى الأخرى وعليك ان تربط بين الاثنين حذاء - شراء أو عصير فاكهة بحيث إذا تذكرت أحداهما استدعت لك الأخرى ويرى لوراين Lorayne أنك لكى تخلق رابطة بين الحذاء وشراب الفاكهة وهو أن تتخيل صورة هزلية تربط بينهما ، وذلك بتطبيق أحد القواعد الأربعة الآتية :-

(١) الإبدال Substitution :-

كأن تتصور نفسك اثر فى الشارع مرتديا فى قدميك زجاجتين من شراب الفاكهة بدلا من الحذاء أو جالسا فى حفل تصب فيها شراب الفاكهة من زجاجتين على شكل حذاء .

(٢) تضخيم النسب Out of proportion :-

حاول أن تتخيل موضوعات أكثر فكاهة مثل أن تتصور نفسك تمشى فى الشارع مرتديا فوق رأسك زجاجة كبيرة من شراب الفاكهة مثلا ، أو تصب شراب الفاكهة من زجاجة كبيرة على شكل حذاء فى حجمك .

(٣)تضخيم الوحدات أو العدد :- Exaggeration

إضرب كل شئ × ١٠٠٠ أو × مليون ، بدلاً من أن ترتدى زوجاً من زجاجات شربات الفاكهة تصور جمعاً من السابلة أو السائرين يرتدون ذلك وبدلاً من أن نرى زوجاً واحداً من الأحذية تخرج من زجاجة شراب فاكهة تخيل آلاف الأحذية تخرج من زجاجات .

(٤)العمل أو الفعل :- Action

اخلق او كون صوراً عقلية متحركة صور الأحذية تتحرك وتمسك زجاجة قصب منها أو العكس صور الزجاجة تسير مرتدية حذاء عامة إجعل الأشياء تتحرك وتحدث فى تصوراتك وتخيلاتك .

كيف نتذكر مواد كتاب ؟

من المعروف أن امتحان المقال اصعب من اختبار الإختيار المتعدد فقد تكون المعلومات فى ذهننا ، لكننا لا نستطيع استدعائها فى امتحان المقال هنا سوف نعرض لبعض التكنيكات التى ربما تساعدنا على استدعاء المعلومات الضرورية للإجابة على الاختبارات خاصة اختبار المقـال .

وقدرتك على استدعاء المعلومات يتوقف إلى حد كبير على طريقتك فى الاستذكار ولكى تقوى القدرة على الاستدعاء ، فلا يكفى أن تقرأ الفصل أو الدرس من الكتاب وتضع خطوطاً تحت النقاط المهمة ، وأخيراً نقرأ هذه النقاط ، بل يجب أن نفكر فيما نقرأه ، وفى تنظيم المعلومات وأن نتوقف بشكل منقطع لإختبار حفظك . وأهم أجزاء هنا هو تنظيم المعلومات والمقصود به أن نفرزها ونصنفها داخل فئات أو مقولات ، وكل مقولة لها أو عليها اسم معين ، وكلما قرأت المادة فأنت تقوم بربطها بالكلمة عنوان الفئة أو رمزها ويمكن أن نسميها (الكلمة المفتاح) .

ولنفرض أننا نقرأ مقالة عن " الشخصية " فى علم النفس ، هنا نبدأ بعملية تنظيم المعلومات فى فئات ونضع فئة عنواناً مناسباً ولتكن :-

١-الشخصية النشطة .　　　٢ - النمو المعرفى .

٣ - النمو الهرمى .　　　٤ - التفاعلية .　　　٥ - اجتماعية.

نشطة (ن) معرفى (م) . هرمى (هـ) . تفاعل (ت) .

يمكن أن نعيد ترتيبها كما يلى :-

(١)تفاعلية . (٢) نمو هرمى . (٣) نمو معرفى . (٤) شخصية نشطة . (٥) تنشئة اجتماعية .

نأخذ اول حرف فى أول كل كلمة فيكون لدينا :-

تفاعلية = ت　　　هرمى = هـ　　　معرفى = م

نشطة = ن　　　اجتماعية = أ

وتكون كلمة التجميع هنا = تهمنا واحياناً تكون الحروف الاولى كلها حروف ثابتة .

(س ل ر ن ت) هنا يمكن إضافة حروف متحركة لا يكون لها وظيفة ما إلا فى تسهيل النـــطق فتصبح الكلمة (سيلانت) س (ى) ل (أ) و ن ت (وكلمة التجميع تستدعى لنا) عناوين كل فئة - ويمكن أن نستخدم لكل فئة كلمة مفتاح مناسبة تذكرنا بالمعلومات النوعية تحت الفئة .

كيف نتذكر لغة أجنبية أو مصطلحات فنية :-

من المهم بمكان خاصة فى المراحل الولى لتعلم لغة أجنبية أن نتذكر الكلمات الأجنبية المقابلة لكلمات اللغة القومية (العربية عندنا) أو العكس أى أن نتذكر الكلمات العربية المقابلة لكلمات أجنبية .وقـــد حاول اتكنسون و " رو " سنة ١٩٧٧ ، وضع استراتيجية لتعلم وحفظ لغة أجنبية (الروسية كانت الأجنبية - الإنجليزية هى اللغة القومية وذلك فى تجربة اتكنسون) .

، تشتمل هذه الاستراتيجية على مرحلتين :-

١-تكوين بديل يرتبط بأحد الكلمتين . ٢ - ثم تصور البديل مع علاقة ما بالبرمجة للكلمة الأولى

مثلا:اللغة العربية لغة قومية - والأنجليزية لغة أجنبية نريد تعلمها مثلاً ، نريد أن نتذكر مثلاً أن كلمة الأرض = Earth .

(١)نبحث عن كلمة تشبه الانجليزية فى نطقها أو نطق جزء منها- نجد الكلمة العربية - الارث .

(٢)نربط كلمة الارث بكلمة الأرض العربية . كأن نتذكر الأرض وعملية الأرث أو الميراث .

وفى تجربة أجراها " اتكنسون " و " رو " سنة ١٩٧٧ طلب من طلبة جامعة تذكر قائمة من ١٢٠ كلمة روسية - وترجمتها باللغة الانجليزية بحيث يقدم ٤٠ زوج من الكلمة فى اليوم - وبالتالى تتم التجربة فى ثلاثة ايام متتالية ، أعطيت تعليمات لمجموعتين عن كيفية استخدام " الكلمة المفتاح " وذلك قبل ان يقدم إليهم أزواج الكلمة الروسية - الانجليزية .

ثم قدم لمجموعة واحدة من المجموعتين مساعدة لم تقدم للمجموعة الأخرى - تتلخص هذه المساعدة فى أن اتكنسون وزميله كانا يقدما الكلمات المفتاح الممكن أن نستخدم كمفتاح أو بديله أثناء عرض أزواج الكلمات الروسية - الانجليزية وذلك على شاشة ، بينما نعرض ازواج الكلمات الروسية - الانجليزية على المجموعة الثانية مثلما عرضت تماماً على المجموعة الأولى - ولكن بدون تقديم الكلمات البديلة أو الكلمات المفتاح وعلى أفراد هذه المجموعة الثانية أن يقوموا هم بأنفسهم بتكوين الكلمات البديلة (الكلمات المفتاح) .

وكان زمن عرض كل زوج (فقرة) - ١٠ ثوان للجميع وكان يعرض البديل أو الكلمة المفتاح للمجموعة الأولى على الشاشة بشكل منظم .وفى نهاية كل جلسة كان يطبق اختبار استدعاء ينطبق فيه كل روسية من الكلمات الربعين وعلى التلميذ ن يذكر معناها أو ترجمتها بالنجليزية فى مدى لا يتجاوز ١٥ ثانية .وبعد انتهاء ىخر جلسة بمدة ست اسابيع طبق اختبار استدعاء كامل للقائمة الكلية ١٢٠ كلمة .

وقد وجد الباحثان أن التلاميذ الذين قدم عليهم الكلمات البديلة (المفتاح) على الشاشة كانت درجاتهم أكثر ارتفاعاً سواء على الذاكرة المباشرة أو المؤجلة فعلى الذاكرة المباشرة كانت درجاتهم ٧٢% فى مقابل ٤٦% للتلاميذ الذين لم يقدم إليهم الكلمة البديلة (المفتاح) .

وعلى الذاكرة البعيدة المدى كانت درجاتهم ٤٣% فى مقابل ٢٨% للذين لم يقدم إليهم الكلمات البديلة .

نظرية التحكم و الضبط الذاتى للسلوك الإنسانى

التغذية الرجعية الحسية

لقد بنى أنظار الضبط الذاتى للسلوك الإنسانى نظريتهم على الأسس الآتية :-

١- أن الإنسان يختلف عن الحيوانات الأخرى فى تنظيماته السلوكية و لهذا لا يصلح أن تعتمد دراسة سلوك الإنسان بصفة رئيسية على الأبحاث التى أجريت على تعلم الحيوان و لهذا يجب الاهتمام بمواقف التعلم الإنسانى الحقيقة .

٢- إن الإنسان يملك جهازاً عصبياً هو فى الوقت نفسه جهاز للضبط الذاتى أو التحكم الذاتى فى السلوك و يتسم هذا الجهاز بـ :-

أ- إنه قادر على أن يبعث فى نفسه الاستثارة وأن يوجه حركاته بنفسه

ب- يستطيع هذا الجهاز أن يتبين الفروق بين هذه الحركات ذاتية المصدر و بين أهداف معينة يسعى الفرد إلى الحصول عليها ، فيعدل بطريقة ما حتى يحصل على الهدف .

جـ- إن عملية التنظيم و إعادة توجيه السلوك فى الاتجاه المطلوب تتم بواسطة عملية "تغذية رجعية أو مرتدة " Feedback.

د- إن عملية التكامل بين أجهزة الاستقبال (الحواس) و بين مكونات الاستجابة المتعددة الأبعاد يمكن أن تتحقق بواسطة عملية " التغذية

الوضعية الحسية " .

هـ- تنخفض أنماط الضبط أو التحكم الذاتى فى ضوء الخصائص الزمنية ، و المكانية و العضلية للتغذية الرجعية.

و- إن كفاية الأداء وطبيعة التعلم ما هى إلا مظاهر مختلفة لمستوى ودرجة تعقيد حلقة مقفلة للضبط الناتج من التغذية الرجعية التى يستطيع الفرد أن يحتفظ بها لتوجيه سلوكه .

ز- أن تصميم البحث فى السلوك يجب أن يبنى على أساس بحث أبعاد الضبط الناتج عن التغذية الرجعية ،

وبما أن عملية التحكم الذاتى تعتمد على " التغذية الرجعية الحسية "كان معنى ذلك أننا نحتاج إلى فهم كيفية انبعاث المثير من الإحساس بتمايز الاستثارة فى مركزى نهاية أطراف المخزون العصبى.

وبهذا فالمخ ما هو إلا جهاز لتبين العلاقات المكانية التى تعتمد عليها التغذية الرجعية الحسية فى توجيه حركات الفرد و تنظيم و تحقيق التكامل بين عناصر الحركة مع تباينها .

(رمزية الغريب ، سنة ١٩٩٠ ، "٤٤٦-٤٥٠ ").

معنى التغذية الرجعية

نوع من التفاعل المتبادل بين نوعين أو أكثر من الأحداث ، حيث يستطيع حدث معين (استجابة) أن يبعث نشاطا ثانويا لاحقا (مثير

انبعث عن الاستجابة) و هذا يؤثر بدورة بطريقة رجعية أو بأثر مرتد على النشاط أو الاستجابة الأولى فيعيد تعديله حتى يظهر بصورة لائقة و اكثر مناسبة للهدف المرغوب .

مثال :-

إذا طلبنا من تلميذ أن ينقل رسم صورة ما او شكل هندسي من على السبورة و ليكن مربع مثلاً و قام التلميذ بنقل هذا الشكل ثم نظر إلى السبورة بعد أن أتم النقل فلاحظ عدم تساوى أطوال أضلاع المربع و ظهور رسمه بشكل مخالف لما يراه على الصورة هنا قد تلقى هذا الطالب تغذية حسية بصرية ثم يقوم بتعديل استجابته (نقل الشكل) و تصحيحها حتى تبدو بصورة مناسبة للهدف (، تشابها مع الشكل المرسوم على السبورة) و التغذية الرجعية الحسية أنواع منها :-

تغذية حسية بصرية :- أى تلقى عائد الاستجابة فى صورة مدركات بصرية .

تغذية حسية سمعية :- أى تلقى عائد الاستجابة فى صورة مدركات سمعية .

(هبه ربيع ،١٩٨٩ ، ص ١١).

" وظيفة التغذية الرجعية الحسية " :-

أ- إحداث سلوك فى اتجاه هدف معين .

ب- مقارنه هذا السلوك بالسلوك المطلوب و تحديد الخطأ .

جـ- استخدام الخطأ المحدد فيما سبق لإعادة توجيه السلوك .

الفرق بين التغذية الرجعية الحسية و التدعيم فى النظريات السلوكية.

لقد ذكر سميث بعض النقاط التى يمكن أن نفرق على أساسها بين التغذية الرجعية الحسية و بين التدعيم .

١- **التعريف الموضوعى** :-

التغذية الرجعية الحسية يمكن تعريفها و تحديدها ووضعها بطرق متعددة على تعريف التدعيم أو التعزيز فمازال غاضباً فإذا عرفنا التعزيز بأنه عملية متوسطة أو حدث فرضى له القدرة على تقوية الاستجابة أو زيادة احتمال حدوثها فإنه لا يمكننا تحديد طبيعته إلا فى حدود عرفية و بالرغم من يسر الدراسة التجريبية لعملية الضبط الخاصة بالتغذية الرجعية نجد صعوبة فى الدراسة التجريبية للتدعيم حيث إننا لا نستطيع أن ندرك التدعيم إلا فى ضوء تغيير التدعيم أو عدد مراته .

٢- **عمومية المعنى** :-

فى حالة التدعيم تتواجد مؤشرات خارجية تستمد قوتها الحافزة من التغيير الذى يؤدى إلى التعلم .

يعكس الوضع فـي حالـة التغذيـة الرجعيـة فـهى عمليـة تنظيـم داخلية قادرة على تنظيم السلوك فى كل الأوقات على مدى الزمن .

٣- تحديد التفاعل الداخلى بين المثير و الاستجابة :-

إن التحليل الذاتى للتوجيـه بالتغذيـة الرجعيـة الحيويـة يوفـر الفرصة للتحديد الكمى لأحداث التفاعل بـين المثـير و الاسـتجابة حيـث يعتبر الفرد فى حالته الطبيعية كائن نشط فعال و قادر على بعـث أنمـاط التغذية الرجعية الحسية المتباينه بصفة مستمرة و هذا يتعارض مع رأى كثير من أصحاب نظريات التدعيم حيـث يـرون أن التـوازن هـو الوضـع الطبيعى للإنسان و أن الإخلال بهذا التوازن هو الباعث للنشاط .

٤- التنظيم المكانى للاستجابة :-

يعد التنظيم المكانى من الظواهـر الأساسية للتغذيـة الرجعيـة ، لكنها لا تتسق مع نموذج التعلم عـن طريـق بعـد التدعيـم وهـذا يتجلـى واضحاً فى تعلم المهارات الحركية و المكانيـة كتعلـم الكتابـة علـى الآلـة الكاتبة أو العزف علـى آلـة موسيقية فمـن الطبيعـى أن تتكـامل عنـاصر الحركة المعقدة لعمليات التغذية الرجعيـة الحسـية المحـددة بالعلاقـات المكانية لهذه المهارات وهذا التصور المكـانى للسـلوك و كيفيـة حدوثـه لا يؤخذ فى الاعتبار فى تفسير نظريات التدعيم التى تصور حدوث التعلـم عن طريق ارتباط مثير و استجابة بشروط معينـة بحيـث يضعـف الربـاط

إذا تأخر التدعيم زمنياً أو تنطفئ الاستجابة كما حدث في تجارب بافلوف وسكنر .

٥- دور الإدراك :-

يتميز تفسير التعلم عن طريق التغذية الرجعية إنه جمع فى كل متكامل السيكولوجية للحواس و الإدراك و التعلم وهذا الجانب أهمل فى التدعيم .

(لمزيد من الاطلاع انظر رمزية الغريب سنة ١٩٩٠).

وهنا نتسائل ما هى أوجه الإفادة فى المجال التطبيقى للتعلم من التغذية الرجعية الحسية و للإجابة على هذا التساؤل يجب أن تتركز بعض المبادئ الأساسية لنحدد تبعاً لها كيفية الاستفادة من التغذية الرجعية الحيوية .

أولاً :-السلوك عملية متخصصة تتكامل بطرق مختلفة ولكى يحدث التكامل المطلوب يجب إتباع ما يلى :-

أ- مساعدة الطالب فى كل مراحل عمره أن يتحكم فى نشاطه فى البيئة التى يتحرك فيها .

ب- أن يكون للمهارات النوعية و المعرفية بحيث تتفق مع نمو ميكانيزم الضبط و التحكم الخاص بالتغذية الرجعية .

ثانياً:- تكييف التصميم التربوى لحاجات المتعلم .

يقصد بـالتصميم التعليمـى الأدوات و الكتـاب المـدرس و الرمـوز اللغوية الناقلة للخبرة و غيرها من العمليات المنظمة للضبط الذاتى الناتج عن التغذية الرجعية الذى يعمل على زيادة فاعلية طرق التدريس و المواد المستخدمة داخل الفصل الدراسى .

لذلك لا بد من أن يتكيف التصميم التربوى بحيـث يناسـب هـذه المراحل .

ثالثاً :- التوافق الحسى و الحركى أول خطوات التفكير .

التحكم و الضبط الذاتـى للسـلوك علـى اختـلاف مستويات يبـدأ بالتوافق الحركى الحسى حيث يرى أنصار هذا الاتجاه أن من أهم مظاهر النمو الهامة هو ظهور القدرة على التفكير جنباً إلى جنـب مـع التوافـق الحسى الحركى فبمجرد تعلم الطفل خبرة ما يبدأ فـى اكتسـاب الأدوات الرمزيـة للتفكـير المرتبـط فـى صـورة كلمـات و أرقـام و تعبـير بالرسـم و الكلمة .

رابعاً :نمو الجهاز العصبى و استقرار سيادة أحد النصفين الكرويين لـه تأثير بتركيز على التعلم الحركى و اللفظى :-

فمتى ثبتت سيادة أحـد النصيـين الكرويـين للمـخ زادت فاعليـة التغذية الرجعية الحسية .

خامساً :- قد يتوقف نمو الخبرة اللفظية على نمو الميكانيزمات الأساسية للحركة . :-

أشارت بعض أبحاث قام بها علماء النفس نواحى تقويم التأخر الدراسى الناتج عن اضطرابات الكلام كالتهتهة أو بعض إصابات الدماغ إن تحسن مدهش بالنسبة للأطفال و المتأخرين وراثياً عن طريق برامج علاجية لتدريبهم على القيام بأنماط حركية كالحبو و المشى و القفز و بعض الحركات الإيقاعية التى تتطلب عملاً حسياً حركياً و الآن أصبح من السائد فى مؤسسات الطفولة التى تعنى بالمعوقين عقلياً أن يبدأ الأطفال على حركات تساعد على التوافق الحركى جنباً إلى جنباً مع تدريبهم على النطق .

سادسا : تزداد قدرة الفرد على التوجيه و التحكم الذاتى كلما تعرض لمارسة تغذية رجعية حسية متنوعة و متعارضة .

لهذا كان التدريب على أداء معيى لا بد أن يعد بطريقة خاصة بحيث نسمع بتعديد المثيرات و المواقف و الأجهزة المستخدمة فى التدريس و التوافق الحسى الحركى .

(أنظر هبه ربيع ١٩٨٩).

الفصل الخامس

الشخصية

* مدخـــل

يعتبر إصطلاح الشخصية من الاصطلاحات الشائعة فى اللغة عربية كانت أو أجنبية ، وتنتشر فى مجالات عديدة تتخذ فى كل منها معنى مخالف عنه فى مجال آخر فهناك الشخصية فى القانون وفى الحياة (الجارية) وفى المجال التجارى وفى مجال علم النفس .

وفى مجال علم النفس نواجه بتعريفات عديدة للشخصية ، يؤكد عدم تلاقيها صعوبة تعريف هذا المفهوم . ففى علم النفس الكلاسيكى ينظر الى الشخصية من وجهتى نظر . الأولى كما تبدو الشخصية فى مرآة الغير وتعرف بالشخصية الموضوعية أو الخلق ، والثانية وتنظر الى الشخصية كما تبدو فى مرآة الذات وتعرف بالشخصية الذاتية أو الأنية ويرى دكتور يوسف مراد أن الشخصية هى تكامل الأنية مع الشخصية الموضوعية وانعكاسهما فى سلوك متميز للفرد يشعره بتميزه عن الأخرين .

ومع تطور التكنيكات السيكولوجية لدراسة وقياس الشخصية تغيرت تعريفات الشخصية وإتخذت منحنى جديداً تبعاً لتكنيك القياس المستخدم فعالماً مثل جيلفورد - حيث أدخل تكنيكاً جديداً لقياس الشخصية سوف نعرض له فى الأجزاء القادمة - يرى أن الشخصية " طراز فريد من السمات " بينما يعرفها العالم الإنجليزى هانز ايزنك " بأنها ذلك التنظيم من السمات الذى يتفاوت ثباتاً واستمراراً للخلق والمزاج والعقل والبناء الجسمى لأحد الأشخاص والذى يحدد توافقه مع البيئة (Eysenck . H . 1960) بينما يرى العالم العربى مصطفى سويف أن الشخصية تشير إلى النظام الأساسى الذى يؤلف بين الوظائف السلوكية ويجعلها تعمل وفقاً لأساليب متباينة تختلف إختلافاً ملحوظاً من شخص لآخر (سويف ١٩٦٧ ص١٩١)

ومن الواضح مما سبق أنه من الصعب التوصل الى تعريف شبه عيانى متفق عليه للشخصية . وكما أن هذا ليس هدفنا فأنه كذلك أمر ليس مرغوباً . وهذا لا يقلل من إمكانية دراسة الشخصية علمياً . بل العكس هو الأصح . ذلك أن التعريفات الفيزيقية نفسها لا نصل إليها شكل محدد ثابت فهذا أمر غير شائع خاصة فى الفيزياء المعاصرة والميكانيكا التموجية . كما أنه لا يمكن فهم تعريف فيزيائى الا بعد دراسة هذا الموضوع

ومعرفة خصائصة الفيزيائية والكيميائية وغيرها . نفس الشئ فى الشخصية البشرية . من الصعب التعرف عليها من خلال مفهوم ستاتيكى بل لابد من التعرف على وجهات النظر والتوجهات المختلفة التى حاولت تعريف الشخصية وكيف تطورت وملامح تطور هذه التوجهات أو النظريات . فمن خلال ذلك يمكن أن نجمع قدرا كافياً أو معقولاً من المعلومات من خلالها يمكننا وضع تصور لمفهوم الشخصية .

وباستقراء تاريخ العلم فى هذا المجال نجد أنه من الممكن أن نقسم وجهات النظر التى تناولت الشخصية البشرية الى محورين هامين . هما وجهات نظر لم تعتمد على القياس النفسى سواء فلسفية أو نفسية ووجهات نظر إعتمدت على القياس النفسى :

١- <u>مفاهيم *لم* تعتمد على *القياس النفسى*</u> :

ويقصد بها المفاهيم الفلسفية الشائعة خاصة فى الفلسفة اليونانية قبل الميلاد وما تمخضت عنه من نظريات خاصة نظرية الأنماط التى بدأت فلسفية ثم تبناها - بعد تحديدها بعض علماء النفس كما يقصد بها كذلك بعض المفاهيم السيكولوجية التى اعتمدت على الملاحظة الاكلينيكية والتأمل ولم تعتمد على القياس أو التجريب .

أ- مفاهيم اعتمدت على التأمل الفلسفى :

١) عند قدماء اليونان

من الشائع عند غير المتخصصين اذا ما تعرضوا لمثل هذه الموضوعات أن يركزوا على فلاسفة الاغريق الثلاثة سقراط - أفلاطون - أرسطو - خاصة أنه ليس من هدف هذا الجزء عرض لرأى الفلاسفة فى الشخصية بقدر ما هو محاولة للتعرض على ما تولد عن الفلسفة من فكر سيكولوجى يرتبط بالشخصية .

ومن المعروف أن فلسفة سقراط ارتبطت بالارض أو بالانسان حيث أنزل الفلسفة من السماء الى الأرض ، ويرى ان الانسان خير بطبعه وأن الفضيلة معرفة والرذيلة جهل . والمعرفة فطرية فى الانسان بمقولاتها الكلية - ولعل روعة سقراط أنه توصل الى ما يسمى بمنهج التوليد الذاتى وهو أشبه - من حيث الأسلوب على الأقل - بمنهج التداعى الحر أو التحليل النفسى بالطبع مع فروق ترجع الى الزمان والمكان واختلاف الموضوع

بين السواء عند سقراط والمرضى عند فرويد .

جاء بعد ذلك أفلاطون صاحب كتاب الجمهورية المشهور والذى وضع فيه منهجاً لتربية النشأ وأوضح فيه امكانية تربية الشخصية والفروق الفردية بين الأفراد - ثم تكلم عن النفس البشرية فجعل منها الشهوية والعصبية والعاقلة وجاء أرسطو وكان أكثر واقعية ولم يعرض لمفهوم الشخصية وانما حاول أن يضع أسلوباً لتعديل الشخصية والذى أسماه أسلوب الاقناع وكيف يؤثر الخطيب فى مستمعيه .

كانت لهذه الأفكار آثارها فى محاولة البعض فهم الشخصية البشرية فى ضوئها وفى ضوء أفكار فلاسفة سابقين يسمون بالطبيعيين الأوائل والذين ركزوا كل همهم فى التعرف على اصل العالم فأرجعوه الى التراب أو الماء او الهواء أو النار ومن تداخل أفكار سقراط وأفلاطون وأرسطو مع هؤلاء الطبيعيين الأوائل ، وتولدت البذرة الأولى لنظرية الأنماط .

٢) نظرية الأنماط :

هناك نظريات متعددة للأنماط غير أنها تشترك جميعاً فى تقسيم البشر الى ثلاث فئات كل فئة تتميز بخصائص شخصية معينة تميزها عن غيرها ويتماثل أعضاء هذه الفئة أو النمط فى تلك الخصائص المميزة لهم .

وقد ظهر مصطلح " النمط " منذ ما قبل الميلاد وانتقل حاملاً معه غيبيات تلك المرحلة عبر الأجيال حتى وصل إلينا مما جعله مصطلح غير علمى حتى ولو أفادنا فى المجال التطبيقى أحياناً .

وقد قسم قدماء اليونان - قبل الميلاد - الشخصية البشرية الى أنماط أربعة تماثل العناصر الأربعة التى أرجع إليها أصل العالم كما تصوره الفلاسفة الطبيعيون الأوائل وهى : التراب - الماء - الهواء - النار - وقالوا بوجود شخصية ترابية وأخرى مائية وأخرى هوائية وأخرى نارية . وما يسمى عند بعض الدجالين حالياً بالأبراج الأربعة نارى - هوائى - ترابى - مائى - ليس إلا فكراً يرجع لمثل هذا التقسيم القديم .

بعد ذلك ظهرت نظريات أنماط أخرى ترجع أصولها أيضاً الى الفكر اليونانى القديم

خاصه فكر الطبيب اليونانى هيبوقراط وتقسيم هذه النظريه البشريه الى

١ الشخصية الدموية . يتصف صاحبها بقفص صدرى عريض ودافعية مرتفعة وتحفز مع حاجة مرتفعة الى الحركة والانفعالات .

٢ الشخصية البلغمية : يتصف صاحبها بالتبلد وبطء الحركة والجسم المترهل الثقيل - والميل الى كثرة النوم

٣- الصفراوى : يميل الى الطول وله وجه وأطراف طويله ويشبه المريض بالعملقة النخامية .

٤- العصبى : ضخم الجمجمة . له جسم نحيل تسيطر عليه الاستجابات العصبية .

(عن : عبد السلام الشيخ ١٩٨٩ ص ٢٧٨) .

ولقد اخذ بافلوف بهذا التقسيم ، وفسر نتائجه على أساسه أحياناً - كما سنشير إليه حينما نتكلم عن بافلوف فى مجال الفروق الفردية فى الشخصية ثم هناك تصنيف يونج للأفراد ذوى شخصية إنطوائية . وآخر ذوى شخصية إنبساطية (نفس المرجع ص ٢٩٧) كذلك تقسيمات فروق الشخصية إلى أنماط متباينة منها الحوازى - والمازوخى والسادى وهى تقسيمات أصبحت معروفة لدى المثقف العادى وتتضخم بها معظم كتب علم النفس العربية مما يعفينا عن عرضها بشكل مفصل هنا .

وهناك محك آخر لتقسيم الشخصية - هو البناء الجسمانى - وقد أنتج هذا المحك نمطاً آخر من تقسيم الشخصية إلى أنماط مما يفيد معه عرض هذه التقسيمات فى جزء خاص بها .

٣- تقسيم الشخصية على أساس البناء الجسماني :

لعل معظمنا يتذكر ما كان يسمى فى العصور الوسطى وإستمر حتى وقت قريب باسم " علم الفراسة " ونعرفه أنه كان يحاول التعرف على نمط الشخصية من بعض الظواهر الجسمانية - خاصة أبعاد الجمجمة ، ومنه ظهرت المدرسة الإيطالية للجريمة والتى إشتهر فيها فيرى و لمبروزو وضعت هذه المدرسة خصائص جسمانية تميز بها نمط المجرم من غير المجرم خاصة أبعاد الجمجمة وشكل الوجه ثم ظهرت تصنيفات عديدة

أخرى منها تصنيف كرتشمر إستمده من ملاحظة الخصائص الجسمانية لمرضى النفس . وإنتهى مثلاً الى أن العصابيين يتميزون بالجسم النحيل وضيق القفص الصدرى مع إستطالة الأطراف وضعف العظام وصغر الرأس وطول العنق ويطلق كرتشمر على هذا النمط إسم " النحيل " .

بينما المصابون بمرض المانيا والهوس يتميزون بالسمنة والقصر وإستدارة الرأس وعلو الجبين وقصر اليدين ويطلق على هذا النمط إسم " العريض " ثم شخصية لها عظام و عضلات قوية ورأس ضخمة وذقن بارزة ويطلق عليه كرتشمر " النموذج الرياضي"

وقد أعطى كرتشمر لكل نموذج أو نمط من هذه الأنماط سمات سلوكية مميزة . فالنحيل يتأرجح فى إحساساته بين البلادة والجمود والحساسية المفرطة فيبدو لك كأنه قريب منك بعيد عنك فى نفس الوقت . بينما يتأرجح العريض بين الفرح والحزن - ويحاول أن يتلائم مع الواقع ويحب الناس وعلى صلة بالعالم الخارجى وتتصف حياته بالسطحية . فى حين يتأرجح الرياضي بين الهدوء والإندماج ويتميز بالجدية وحب النظام وكره الإرتجال والصديق أو الزوج من هذا النمط يكون صدوقاً وفياً .

ومن أهم التصنيفات الحديثة والتى قامت على أساس إحصائى وصفى جيد نظرية شيلدون والذى صنف الناس الى ثلاث أنماط .

١ - الحشوى Endomoprphic وهو ثمين ثقيل يميل الى كثرة الأكل .

٢ - العظمى أو الوسط Mesomorphic قوى البنية جرئ قادر على المواجهة .

٣ - خارجى عصبي Ectomorphic إنفعالى سريع الغضب .

وبالرغم من دقة نظرية شيلدون وشيوعها إلا أنها غير مقبولة عند معظم علماء النفس المعاصرين لإفتقارها الى المنهج العلمى حالياً فى التجريب السيكولوجى .

ب) الشخصية من خلال مفاهيم سيكولوجية تعتمد على الوصف .

١) من خلال النمو النفسي .

يهتم علم النفس الإرتقائى أو النمو النفسي بدراسة الكيفية التى يرتقى وينمو بها

سلوك الفرد والشروط المشكلة سلباً وإيجابا لهذا النمو خلال المراحل العمرية المختلفة منذ رحلة الجنين فالطفولة والمراهقة والرشد حتى نهاية العمر وتغطى جميع مناحى أو مناطق السلوك سواء معرفية عقلية أو وجدانية أو حركية أو إجتماعية ... إلخ . وفى ضوء ذلك نتتبع نمو الشخصية مع مرور العمر الزمنى والشروط التى تؤثر فى هذا النمو الخصائص المميزة لشخصية الإنسان فى كل مرحلة عمرية . وفى ضوء ذلك يتحدد مفهوم الشخصية بإعتباره دينامياً إرتقائياً نامياً . يكتسب من خلال مواقف التعليم والنمو . ومن رواد هذا الإتجاه إيزكس و بياجيه وسوازانا ميللر . بوهلر ... إلخ . علاوه على علماء معاصرين مثل Craige . Biehler وكتب علماء النفس الإرتقائى من الكتب الشائعة والمنتشرة حاليا خاصة باللغة الإنجليزية ويمكن للقارئ البحث عنها تحت مايسمى Devel apmental Psychology وليس من وظيفة هذا الجزء التعرض لها تفصيلاً وإنما نعرض لبعض وجهات النظر المتفق عليها تقريباً بين أصحاب هذا التوجه بما يفيد فى فهم نظرتهم الى الشخصية.

يذكر الدكتور يوسف مراد أنه بينما نجد للإنسان شخصية بجانب فرديته البيولوجية فليس للحيوان إلا فردية بيولوجية حيث أن الشخصية لا تكتسب إلا من خلال مواقف تعلم معقدة لا يستطيعها إلا الإنسان ولا تتوافر للحيوان ، وتخضع الشخصية فى نموها لقوانين معينة ترتبط بالنمو النفسي وبعملية التطبيع الإجتماعى وشعور الفرد بذاتيته أو آنيته أو شخصيته ليس أمراً نظرياً بل هو وكما أشرنا نتيجة لعمليات تعلم وتطور تدريجي يمكن حصره فى ثلاث مراحل هى .

١- مرحلة اللاتمايز .

وتظهر فى مرحلة الطفولة المبكرة - خاصة فى الأسابيع الأولى من الميلاد حيث لا يستطيع الطفل أن يميز بين جسمة والبيئة المحيطة به بل ولا بين عضو من أعضاء جسمة وعضو آخر وتكون فكرة الطفل عن ذاته فكرة مبهمة غامضة ولا يمكن الإدعاء أن للطفل شخصية فى هذه المرحلة حيث لا يكون معنى عنده . فالكون ليس إلا مجرد مثيرات حية متداخلة يتلقاها الجهاز العصبي على شكل ديمومة لا يميز فيها بين مثيراته .

٢- مرحلة تبطن الأنا الجسمانى:

فى الشهر السادس تقريباً يظهر عند الطفل بوادر الحركات الإرادية ومما يعنى أنه يستطيع التمييز جيداً بين أعضاء جسمه ، ويستطيع الربط بين الإحساسات المختلفة وأن يوجه إدراكاته البصرية خاصة مع تحركات أمه قرباً أو بعداً عنه وقدرته على توجيه بصرة وتحريك أطرافه تسهم هنا فى تنمية إدراكاته لجسمة والتمييز بين أعضاؤه والبيئة المحيطة - ويلعب إحساسه بالإشباع والألم واللذة هنا دوراً هاماً فى تنمية هذا الإدراك - وهنا يحدث ما يسمى بتبطن الأنا الجسمانى ويستمر ينمو مع الطفل حتى ما بعد الرشد .

٣- مرحلى تبطن الأنا النفسي :

يتضمن الأنا النفسي الأنا الإجتماعى وإحساس الطفل بالإنتماء للأسرة ولغيرها والأنا المعنوى وإحساس الطفل بذاتيته وأفكاره ومشاعره الخاصة به وإحساس الطفل بالأنا النفسي يأتى إحساسه بالأنا الجسمانى وتظهر أول بادره له من خلال منازعة الطفل أخ له على لعبة ملك له أو لأخيه حيث يتعلم أنه له ملكية مادية خاصة به وكذلك لأخيه ويتعلم كيف يعتبر الآخر ومع تفاعله من الأب والأم والإخوة يدرك أن له أفكار خاصة يمكن أن يخفيها عن الآخرين وقبل ذلك يظن الطفل أن كل فكرة لديه هى معرفة لدى الأخرين وبالتالى فهى ليست ملكاً خاصاً له بقدر ما هى معروفة وموجودة لدى الأخرين ومع النمو وتفاعله مع أعضاء الأسرة يدرك أنه يمكن أن يكون له فكرة ومشاعر خاصة به يخفيها عن الأخرين وتصبح ملكاً خاصاً به لا يشاركه فيها أحد ومن هنا تنمو ذاته المعنوية وفى الوقت الذى يكتشف أن له إسماً خاصاً به يكتشف كذلك أن إسمه يلحق بإسم أبيه ويشترك جميع إخوته فى ذلك ومن هنا تنمو ذاته الإجتماعية والشعور بالنحن .

بعد ذلك يخرج الطفل الى المدرسة وشلل الصدقاء وتنمو شخصيته لتصبح أكثر تميزاً وتفرداً وفى خلال هذا النمو تتأثر شخصيته فى نموها بشروط عديدة منها فكرته عن ذاته وفكرة الآخرين عنه ومن الملاحظ أن تكامل الشخصية لا تتم إلا من خلال شروط جيدة وليس هنا مجال عرضها وكذلك من خلال ذاكرة جيدة - تساعد على تماسك حلقات الشخصية بين ماضيها وحاضرها وطموحاتها المستقبلة .(يوسف مراد ١٩٧٨ص٣٧٦)

٢- من خلال نظريات التحليل النفسي :

تعتبر نظرية التحليل النفسي - خاصة من حيث معالمها العامة - من أكثر النظريات النفسية التى أصبحت معروفه لدى عامة المثقفين حتى غير المتخصصين - ربما يرجع هذا لبساطتها وكذلك لإرتباطها بالمجال الإكلينيكى ثم مقدرتها على تفسير المتناقضات بمبدأ سيكولوجي واحد .

ومن اجل هذا لن نعرض لها تفصيلاً هنا خاصة وقد عرضنا جزءاً كاملاً فى هذا الكتاب عن فرويد ونظريته - لكننا سنكتفى هنا بالملامح الأساسية التى ترتبط بالشخصية.

ويجب أن نلاحظ أن نظرية التحليل النفسي- بالنسبة لوجهة نظرها الشخصية - أقرب الى نظريات النمو النفسي - غير أنه تتناول نمو الشخصية من حيث الشروط المرضية الإكلينيكية .

بدأ فرويد كطبيب دراسته للعصاب ومن خلاله إكتشف ما أسماه بالحياة النفسية وقسمها الى الشعور فبشعور ، لا شعور ثم إكتشف ما أسماه الجهاز النفسي وهو الهو والأنا - الأنا الأعلى .

وحينما يولد الطفل تكون الهو وهى مستودع الغرائز خاصة الجنسية - هى المسيطره عليه غير أن المجتمع يقبلها حتى سن معين كالثانية يبدأ المجتمع والأسرة فى رفض بعض هذه النزعات التى تكبت لاشعورياً ويتكون منها اللاشعور الذى كما يرى فرويد يكون مسئولاً عن ٧٥٪ من سلوكنا الظاهر فيما بعد ولا يكبت فى اللاشعوور إلا الرغبات الغريزية المرفوضه ، ويحدث هنا عقد مختلفة خاصة عقدة أوديب أو الكترا الخصاء ...إلخ وهذه الرغبات والعقد تتحين الفرص للظهور فترفض فترتدى أقنعه مزيفة تزيف شكلها وتظهر فى أنماط مرضية من السلوك الخارجى أو الهفوات أو الأحلام - ويتخذ فرويد هذه الأنماط دلائل للتوصل الى الأسباب اللاشعورية والمكبوته والمسئولة عنها بواسطة التحليل النفسي . وفى خلال مراحل النمو هذه ، وعمليات الكبت تعمل ميكانيزمات معينة مثل التعيين الذاتى والإعلاء والتبرير والتحويل كما قد يحدث نكوص أو تثبيت وتبعاً لما يحدث هنا تتحدد شخصية الفرد المستقبلية فهناك ما يسمى مثلاً بالشخصية الحوازية وهى شخصية متردده وشكاكه وهذه الشخصية نتيجة لعقد تحدث فى مرحلة يسميها فرويد

بالمرحلة الشرجية فى حوالى عمر ٢-٤ حيث يشعر الطفل باللذة من عملية الإخراج..إلخ ثم هناك الشخصية السادية وهى الشخصية التى لا تتمتع إلا بإيقاع الأذى بمن تحب وهى قريبة من عقد أوديب الذى يود الطفل فيه أن يقتل الأب ليستحوذ على حياة الأم - بينما هو يحب الطرفين : وشخصية مازوخية تحب من يوقع عليها الأذى ولا تشعر باللذة - خاصة الجنسية إلا إذا صاحبها إيقاع ألم جسمانى عليها . وتنمو هذه الشخصية من خلال عقدة أوديب وميكانيزمات التعيين الذاتى والتحويل أى أن الشخصية - فى نظر فرويد - تنمو من خلال تكوين الشعور واللاشعور والكبت والعقد التى يمر بها الطفل ثم مراحل النمو الجنسي المشهورة عند فرويد (الفمية - الشرجية - والقضبية) من خلال الصراع بين غرائز اللذة البهيمية التى تعمل وفقاً لمبدأ اللذة والأنا الذى يعمل وفقا لمبدأ الواقع والأنا الأعلى الذى يمثل القواعد الأخلاقية والإجتماعية الصارمة . ومن خلال وجهة الصراع والطرف الغالب تتكون شخصية الإنسان فى نظر فرويد .

ومن الواضح أن ما سبق لا يعطينا قدرة على التحكم فى الشخصية والتنبؤ بها . خاصة إذا عرفنا أنه يمكن تفسير المتناقضات بمبدأ واحد عند فرويد فعقدة أوديب بإعلاء تخلق شخصية مرغوبة إجتماعياً قد يكون فناناً أو عبقرياً.... إلخ وقد تخلق بالتحويل شخصية عدوانية أى رئيس يأخذ موقف الأب وقد تخلق شخصية عدوانية خاصة ضد الجنس الأخر ..... إلخ (لمزيد من التفصيل يمكن الرجوع الى الجزء الخاص بفرويد) .

٢- مفاهيم اعتمدت على القياس النفسي :

كان لإتباع أساليب القياس النفسى فى دراسة الظواهر النفسية والذى يعتمد أساساً على التعبير الكمى عن هذه الظواهر دوره فى تطوير مفهوم الشخصية وهذا يعنى أنه من الصعب فهم تطور مفهوم الشخصية الا بمعرفة أساليب قياسها السائدة .

أساليب قياس الشخصية :

تتضمن هذه الأساليب أنواع مختلفة منها :-

١- مقاييس تقدير :- وفيها تتطلب من مجموعة من الأفراد تسميهم محكمين أو مقدرين ملاحظة سلوك معين عند عينة من المفحوصين وإعطاء هذا السلوك درجة وفقاً لتقديره .

الذاتى وطبقاً لمحكات موضوعية وكان أول من إتبع هذا الأسلوب هو فرانسيس جالتون كان يطلب من المحكمين تقدير المتغيرات والفروق الفردية فى الذكاء عند عينة من المفحوصين ثم يجمع هذه التقديرات ويحللها إحصائياً كأن يحسب متوسطات وانحرافات التقديرات غير أن هذا التكنيك عرضه للخطأ لأسباب كثيرة منها . أنه حينما نقابل المقدر والمفحوص مثلاً لأول مرة فإن انطباع أول مقابلة يؤثر فى تقديرنا بعضنا لبعض الآخر مما يحيزه عن الموضوعية كثيراً – هناك ما يسمى بأثر الهالة سلباً أو إيجاباً كما أن المقدرين بشر منهم من يتسم بالمرونة ومنهم من يتسم بالتطرف السالب أو الموجب فى تقديراته أو أحكامه .

غير أنه من الممكن التغلب على شكل هذه المعوقات بتدريب الملاحظين وحساب صدق وثبات تقديراتهم (يمكن النظر فى هذا الشأن بحث ماجستير عن الشعور العدوانى د. خالد الفخرانى . إشراف أ.د. عبد السلام الشيخ . كلية آداب طنطا ١٩٨٩) ونلجأ لهذا الأسلوب عادة فى موقف محدد مثلما تريد دراسة السلوك العدوانى التلقائى عند أطفال مدارس أو حضانة . أو سلوك أو وسائل جيدة لقياس الشخصية Guilford , 1959 & Kleinmuntz 1967 .

٢- <u>تكنيكات إسقاطية</u> :

تقوم هذه التكنيكات على مبادئ علم النفس الدينامى خاصة نظرية التحليل النفسى ، حيث ينظر الى السلوك الإنسانى خاصة باعتباره ظاهرة متميزة وكلية من المستحيل تحليله حيث أنه كان متفاعل ودينامى . وأن قياسه بمقاييس كمية موضوعية أو بنائية هو عملية مزيفة للسلوك ولدراسته . وإذا كانت التغيرات التى تعتمد على القياس لا تركز الا على الأعراض الظاهرة باعتباره ان العرض هو المرض فان التغيرات الدينامية ترى ان العرض هو نتائج المرض داخلى من هنا فان الداخل أو الخفى هو ما يجب ان نركز عليه . وهذا الخفى يتماثل مع اللاشعور الى حد كبير وقد قامت هذه النظريات بدراسة السلوك الخفى غير الظاهر وكذلك بدراسة اللاشعور خاصة فرويد وانتهوا الى انه من خلال ميكانيزمات دينامية منها الاسقاط وهو يعنى أن السلوك الخارجى خاصة غير قابل للتفسير عند الرجل العادى – هو اسقاط او نزعات داخلية خفية أو غير شعورية . واننا علينا ألا

ندرس السلوك الخارجى لذاته بل كمؤشر للداخل وللشعور خاصة بناء على مبدأ " الاسقاط" . ويعنى أن كل ما بداخلنا فى اللاشعور يسقطه بشكل تنكرى على السلوك الخارجى .
فالشخص المذنب يرى أن كل الناس تقريباً مذنبين والجائع لا يرى إلا الطعام وفى القرآن الكريم " لا تطع كل حلاف مهين " أى أن كثير الحلف ذلك أنه سيكولوجياً أو فى لا شعوره كاذب ومن هنا يتصور - لا شعورياً - أن الناس كذابين ولن يصدقوه إلا إذا أسرف فى الحلف وكأنه يتصور أن الناس تدرك كذلك ويود أن يذكر لهم أنه غير كاذب - أنه أسقط سوءته - الكذب - على الأخرين .

وعلى هذا المبدأ أقيمت المقاييس الإسقاطية وهى عبارة عن بقع حبر لا معنى لها مرسومة على بطاقات مقتعه - كما فى أخبار " رورشاخ " وهولتزمان ١٩٦١ - ويتضمن إختبار هولتزمان معايير وخطوط قطع تميز إستجابات مرضى الذهان وإستجابات الأسوياء. أو صور غامضة كما فى إختبار التات TAT تقدم للمفحوص على بطاقات ويطلب من المفحوص كتابة قصه حول كل بطاقه - ثم هناك مقاييس لفظية إسقاطية مثل إختبارات تداعى الألفاظ وتقدم فيه قائمه مقننه من الكلمات . ويطلب من المفحوص أن يذكر أول كلمة ترد الى ذهنه بعد سماع الكلمة " الإختبار " ثم يسأل عن الكلمات المتوسطة التى وردت الى ذهنه قبل أن يقول كلمته وتحسب فترات رد فعله للكلمات " الإختبار " وتبعاً لمعايير معينه يمكن التعرف على شخصيته - خاصة من خلال الكلمات الصادمة والإستجابات الشائعة وغير الشائعة .

غير أنه يعاب على هذه التكنيكات عدم موضوعيتها والذى ينعكس فى ذاتيه التصحيح والتقدير . وما هو أخطر من ذلك فى عدم تحديد المتغيرات التى يقيسها فمثلاًماذا تسقط إستجابة مفحوص لبقعه حبر أو صورة هل عكست صراعاته المرتبطة بالصورة أم قدره معرفية بها أم قدره على التخيل وبناء التصورات المختلفة ولم نستطع تحديده مما قلل الى حد كبير من إمكانية الإعتماد على مثل هذه المقاييس - إلا إذا أخذنا نتائجها كفروض فى حاجة الى التحقيق من صدقها أو عدمه .

هناك مقاييس حاولت التغلب على هذه العيوب منها مقياس عبد السلام الشيخ

للتذوق الفنى – وبدلاً من أن يقسي إسقاطات الداخل على الخارج – فهو يقيس شكلاً من أشكال السلوك التعبيرى وهو تفضيلات الأفراد الجمالية لعينة من الصور التى وضعت على شكل موضوعى مقنن ومن خلال تحويل إستجابات المفحوصين الى درجات – تقارن بمعايير للاسوياء إناثاً وذكوراً ومن مستويات عمريه محدده وبمعايير فئات ذهانية . وتحول الدرجات الى درجات موزونه من خلالها يمكن الحصول على درجة موزونه لهذا الشخص تحدد وضعه داخل أى فئة سويه أو مرضية ومن خلالها يمكن التنبؤ بإستجاباته والتحكم فيها وقد وضع هذا المقايس سنة ١٩٧٧ وأعيد تقنيه عدداً من المرات على عينات متعدده كان أخرها سنة ١٩٩٥ .

٣- مناهج سلوكية :

تتضمن تسجيل السلوك المرات دراسته تحت مواقف محدده ومقننه مثل تسجيل سلوك المفحوصين فى مجاراتهم للجماعة داخل المعمل وقياس هذا السلوك ومن الشائع إستخدام تصوير فيديو لدراسة بعض أنماط السلوك فى مواقف طبيعية كما فى دراسة العدوانية عند الأطفال داخل مواقف طبيعية مثلاً ، وهو لا يقتصر على دراسة السلوك الظاهر فقط بل يمتد ليدرس إستجابات داخلية مثل الإستجابات الفيزيولوجية مثل دراسة أثر التعدى على الحيز الشخصي (رسالة ماجستير بآداب طنطا – طارق فوزى – إشراف عبد السلام الشيخ – ١٩٨٩) ومثل دراسة الأمانة عند الأطفال والتى أجراها ماى هارشون Harshon & May حيث وصف سلاسل من إختبارات موقفية طبقت على صورة إمتحانات تحصيل فى فصل منظم حتى لا يشعر الأطفال أنهم يفحصون حول الأمانة . وطبقت مجموعة من الإختبارات منها إختبار لقياس الغش . ويسمح للتلاميذ أن يصححوا إجاباتهم فى الرياضة واللغة بعد أن تقدم لهم نماذج الإجابة . ويسجل المدرسون إستجابات التلاميذ الأصلية بدون معرفتهم – ثم يقارنوا بعد ذلك بين إستجابات التلاميذ التى قدروها وبين إستجاباتهم الأصلية (Minton , H. F & Schneider F. " 1980 . p . 187) .

٤- الإستخبارات :

عبارة عن عدد من البنود اللفظية على شكل عبارات يجاب عنها ✓ أو ✗ . أو

على شكل أسئلة يجاب عنها نعم – أو – لا أو لا أعرف ، ونقيس سمات شخصية معينة نتوصل إليها بعد إجراءات تجريبية وإحصائية متعددة كما سيأتى .

ولابد أن نخضع هذه الإستخبارات لما يسمى بإجراءات التقنين من حيث حساب معاملات صدقها وثباتها وكذلك معايير ودرجات موزونة لها ، علاوه على تحديد ما تقيسة كل فئة من البنود وتحديد ما إذا كان ما تقيسه سمه أو بعداً فى ضوء إجراءات تجريبية وإحصائية معروفة لدى المتخصصين ومن هذه الإستخبارات :-

إستخبار ودورث وهو من أوائل الإستخبارات التى وضعت فى الحرب العالمية الأولى ، حيث طلبت منه الحكومة الأمريكية أن يصمم أداة يمكنها أن تفرز الجنود ذوى إضطرابات ذهانية تجعلهم غير صالحين للتجنيد وغير الملائمين كلينكياً للعمل بالقوات المسلحة فقام بوضع عدد من الأسئلة تصف أعراضاً ذهانية مثل : –

هل تحلم أحلام يقظة بإستمرار ؟ – هل شعرت أنك تصاب بمرض خطير ؟ – ويجيب المفحوص على هذه البنود بنعم أو لا . وقد تطور هذا الإختبار سنة ١٩٢٠ ثم سنة ١٩٣٠ الى إستخبارات شخصية .

ثم ظهر أشهر هذه الإختبارات فى تلك الفترة وطور سنة ١٩٤٠ وهو مقياس مينسوتا المتعددة الأوجه للشخصية MMPI ويقيس متغيرات مرضية أهمها الإكتئاب ، البارانويا ، الهيستيريا وقد قام هاثواى وماكينلي ببناء هذا القياس حيث جمعا عدداً من البنود تصف أعراضاً ذهانيه وطبقت على عينه من الذهانيين والهيستيريا كما طبقت نفس البنود على عدد من زوار المستشفى التابعة لجامعة مينسوتا ، أقيمت المقاييس التى تصف أعراضاً ذاهنية على أساس هذه البنود والتى يمكن أن تميز بشكل جيد جماعات المرضى من الأسوياء أى زوار المستشفى في هذه العينة .

وتحول درجات المفحوص الخام على الإختبار الى درجات تائية متوسطها ٥٠ وإنحرافها المعيارى ١٠ ، ومتوسط الدرجات للجماعات المرضية على معظم المقاييس هو على الأقل إنحراف معيارى واحد (١٠ فقط ، فوق متوسط الدرجات ٥٠ والتى تمثل متوسط الأسوياء .)

غير أن هناك دراسات أخيرة منها دراسة والسن وأخريـن elsh et al . 1960 ودراسة بيتشر Butcher 1969 إنتهت الـى أن المقـاييس الفرديـة علـى MMPT ليس لها قيمة تنبؤية بالنسبة للأعراض الذهانية

(Through : Minton & Schneider 1980 . p .188) .

ومن هذه الإستخبارات ايضاً مقياس كاليفورنيا CPI وهو متعدد الأبعاد ويقيس خصائص الشخصية السوية منها السيطرة الإجتماعية - الضغط ألإجتمـاعى تقبل الذات - ويقيس الحاجة للإنجاز والإستقلالية وقد تم تقنيه سنة ١٩٦٤ وفـى سنة ١٩٥٠ ظهرت مقـاييس لقياس المزاج المرضي مثل الإستخبار النفسي لكاليفورنيـا وإستمارة التفضيل الشخصي لإدوارد .

ثـم ظهـرت مقـاييس أخرى متقدمـة لجيلفـرود وكـاتل وأيزنـك - ولمـا كـانت هذه المقاييس والإستخبارات قد بنيت على أساس ما يسمى بنظرية السمات والأبعاد التـى تقـوم على التحليل العـاملى فسـوف نرجـئ شـرحها حتـى نتعرض لهذه النظرية وكذلك أسلوب التحليلي العاملى .

وأسلوب التحليل العاملى أسلوب إحصائى يفرز التغيرات التى تشكل ظاهرة نفسـية معينة ويميز بينها وقد فرض نفسه على علماء النفس فى العقد الرابع من هذا القرن حينما تأكد أسلوب التجريب والقياس وإستخدام التكميم أى التعبير عن الظـاهرة كميـاً بـدلاً مـن الإقتصار على وصفها كيفياً .

مدخل للتحليل العاملى للشخصية :

لفهم التحليل العاملى يمكن أن نأخذ مثالاً سريعاً كما يلى :-

لنفترض أننا لدينا قائمة من ٢٠٠ بنداً أو سؤالاً لقياس الشخصية - ونفترض أنها تقيس مفهومنا للشخصية - إلا أننا لا ندرى ماذا نقيس بالضبط وهل كل بنـد يقيس متغير معين فى الشخصية يختلف عن المتغير الذى يقيسه البنـد الآخر ومعنى هذا أن كل بنـد مـن الـ ٢٠٠ بند يقيـس متغير خـاص بـه وبالتـالى فـان الـ ٢٠٠ بنـد تقيس ٢٠٠ متغير فـى الشخصية وهذا أمر مستحيل ، إذن يبقى السؤال : هل مجموع هذه البنود تقيس عـدداً أقـل

من المتغيرات وليكن ٥ أو ٦ مثلاً ، واذا كان الوضع كذلك ، فما هى البنود التى تقيس كل متغير ؟ هنا تحسب معاملات إرتباط بين الـ ٢٠٠ بند (فى هذا المثال) أو إختبار فى تجارب أخرى ونرسم مصفوفة ارتباطات لها ثم نخضع هذه المصفوفة لإجراء معروف إحصائياً (التحليل العاملى) فماذا يكون الناتج .

نجد التحليل العاملى قام باختصار الـ ٢٠٠ بند إلى تجمعات ولتكن خمس تجمعات أو ١٣ أو ١٠ .... إلخ ، وتحت كل تجمع عدد من البنود الـ ٢٠٠ التى تقيس هذا التجمع . وهنا نبحث عن تسمية لهذا التجمع وتسميه عاملاً - وليكن عامل الإكتئاب مثلاً أو الانطواء ... إلخ والبنود التى تتجمع تحته تصبح مقياس خاص به ومقنناً .

ما سبق فكرة سريعة جداً عن التحليل العاملى - الهدف منه فقط أعطاء صورة سريعة لوظيفة التحليل العاملى وارتباطه بشكل مباشر بالقياس وكان أول من استخدم التحليل العاملى فى قياس الشخصية العلامة المعروف جيلفورد - بل يعتبر كتابه الذى صدرت منه أول طبعة سنة ١٩٥٤ باسم " Psychomerric - Method " من أهم الكتب التى عرضت بشكل سهل وواضح التحليل العاملى منطقياً واحصائياً ومازال يعتبر من أهم المراجع الهامة للمتخصصين فى هذا المجال .

١- بناء جيلفورد العالمى للمزاج :

كما أشرنا فان جيلفورد قد اهتم بالتحليل العاملى منذ الأربعينات ونشر أهم كتاب فى هذا المجال سنة ١٩٥٤ . الا ان هذا التطبيق للمنهج على الشخصية عنده ابتدأ واقعياً منذ سنة ١٩٥٩ واستمر حوالى ٤٠ عام حتى الآن وتركزت معظم تجاربه على طلاب الجامعة وقد أجرى دراسته الأولى على عامل الانبساطية / الانطوائية ثم امتدت دراسته بعد لذلك للتعرف على عوامل أخرى كالاجتماعية والاستقرار الوجدانى ، الذكورة والأنوثة وقد أخضع معطيات دراساته وتجاربه للتحليل العاملى وانتهى منها الى التعرف على ١٣ تجمعاً أو عاملاً هى :-

العامل الأول : - السرعة والحيوية والنشاط - يسمى عامل عام للحيوية (G)

العامل الثانى :- السيطرة السمو (A)

العامل الثالث : الإجتماعية	(S)
العامل الرابع : الإعتماد على الحظ	R . Restraine V . Rhethymia
العامل الخامس : التفكير والتأمل	(T)
العامل السادس : الوجدانية والقلق	(C)
العامل السابع : الإكتئاب	(D)
العامل الثامن : الهدوء / العصبية	(N)
العامل التاسع : الثقة / الشعور بالنقص	(I)
العامل العاشر : الموضوعية	(O)
العامل الحادي عشر : الصداقة	(F)
العامل الثاني عشر : العلاقات الشخصية المميزة	(P)
العامل الثالث عشر : الذكورة / الأنوثة	(M)

(Through : Menton , Shneider 1980 P . 191)

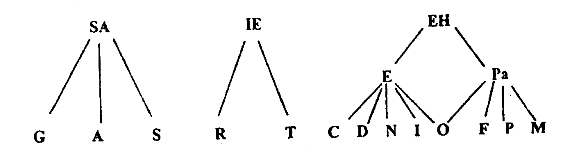
وقد إستخدم جيلفورد فى دراساته إستخباراً وضعه هو و زيكرمان يسمى مقياس جيلفورد وزيكرمان (GZTS) ويتكون من عدد من البنود تقيس أكثر من ١٣ عاملاً وحالياً يتضمن قياس عشر مقاييس بعد أن ظهرت علاقة مرتفعه بين أربع مقاييس من الـ ١٣ مقياس وإندمجت فى مقياس واحد وهذه المقاييس الثلاثة هى :- الوجدانية - الإكتئاب - العصبية - الشعور بالنقص وتدخل هذه المقاييس الفرعية تحت مقياس الوجدانية - الإتزان / Emotional Stabelity وبعد ذلك أجرى جيلفورد تحليلاً عاملياً من الدرجة الثانية على معطيات جمعها من هذا الإختبار وإنتهى الى ثلاثة عوامل هى :-

١- النشاط الإجتماعى S.A ويغطى عوامل السيطرة والإجتماعية وأحياناً الحيوية .

٢- إنبساطية / إنطوائية I.E ويغطى عاملى Restraint (R) Reflectivenes T .

٣- عامل الاتزان الوجدانى يغطى عوامل الموضوعية . والصداقة والتعاون وفى تحليلات عاملية أخرى ظهر عامل رابع مشتق من العامل الثالث يسمى إستعداد بارانويدي ، كما

إفترض جيلفرود عاملاً آخر أسماه " الصحة الوجدانية " ويغطى عاملى البارانويدي والإتزان الوجدانى E , P وتوضح العوامل المتعددة التى إنتهى إليها جيلفورد من تحليلاته المختلفة فى التمثيل التوضيحي التالى .



بارانويدى	= Pa	إنبساطية الإنطواء = IE	
الإستقرار الإنفعالى = E		نشاط إجتماعى	= SA
(Ibid 192)		صحة إنفعالية	= EH

ومراجعة التمثيل السابق نجد أن هذه العوامل تماثل الى حد كبير عوامل أيزنك خاصة الوجدانية والإنبساطية كما أكد ذلك معظم العلماء .

بناء كاتل للمزاج والسمات :

بدأ كاتل دراساته العاملية والتى إستخدم فيها التحليل العاملى فى الثلاثينات فى هذا القرن ، ولم يقتصر على تطبيق الإستخبارات بل طبق منها مقاييس تقدر بواسطة مقدرين مدربين ، وكذلك بواسطة إستخبارات موضوعية يتضمن تسجيل السلوك فى مواقف مقننه ومضبوطة ، وقد وجد تطابقاً كاملاً بين العوامل المنبثقة من الإستخبارات والتقديرات ، ويرى بولى أن دراسات كاتل الحديثة لم تظهر تطابقاً واضحاً فى العوامل التى توصل إليها (Buss & Poley , 1976) كما إستخدم كاتل فى دراساته عن الشخصية قائمة ألبورت وأدبرت التى وضعها سنة ١٩٣٦ وتتضمن ٤٥٠٠ إسماً لسمات ، وقام كاتل

بإستبعاد المترادفات وخفضها الى ٢٠٠ إسماً فقط ، من خلال تقديرات عـدد مـن الراشـدين لتلك القائمة وحساب العلاقات بينهما إنتهى الى ٣٥ تجمعاً ، ثم أجرى تحليلا عامليا مبدئيا على تقديرات عينه أخرى لكل تجمـع مـن التجمعات الـ٣٥ الـى ١٢ عـاملا كمـا ظهر مـن الإستخبار كذلك ٤ عوامل إضافية وبهـذا أوصل إستخبار كـاتل الـى ١٦ عـاملا (16 PF) حساب صدق 16PF فى سنة ١٩٦٨ : قام كاتل وجيبسون Gibson بتحليل معطيات مقياس جيلفورد وكاتل وإنتهيا الى الـ١٤ عـاملاً مـرة أخرى بينهمـا ٨ عوامـل مـن الـ١٥ عـاملا لجيلفورد . وعامة فقد أكدت هذه الدراسـة عوامل كـاتل بينمـا قـام بـراون وهـارث ١٩٧١ Howorth & Broun بتحليل معطيـات مـن بنـود كـاتل وجيلفـورد وإنتهيـا الـى ٨ عوامـل لجيلفـورد وعـاملين فقـط لكـاتل ، كذلـك إنتهـت دراسـات فـرش ١٩٧٣ الـى أربـع عوامـل لكاتـــل فقط .

وبإجراء تحليل عاملى من الدرجـة الثانيـة لكـاتل (16 PF) ظهرت أربع عوامـل أساسية هى :

أ - الإنبساطية E .

ب- القلق Anxiety .

جـ- Cortertias الوعى اللحائى .

د - إستقلالية وقد ظهرت هذه العوامل عند هندلي وكونر Hundleby & Conner ١٩٦٨

ويمكن تلخيص عوامل كاتل فى الجدول التالى :-

الميل للخلاء	A - Outgoing
معتمد على الحظ	F + Happy = Go - Lucky
الميل للمغامرة	H + Venturesome Parmia
مرتبط بالجماعة	Q2 - Group - tied (group adherence)
عاطفى / إنفعالى	C - Emotional

متشكك	F - Suspicious (Protension)
الرهبة القابلية للشعور بالذنب	O + Apprehensive (Guilt - Pronnenes)
التمرد من الرسميات	Q3 - Casual (low integration)
توتر (توتر عقلى)	Q4 + Tense (Ergic tension)
متحفظ	A - Reserved (Sizothymia)
متصلب فكرياً	I - Tough - minded
عملى	M - Practical (Praxernia)
مؤكد لذاته (مسيطر)	E + Assertive (Dominance)
خيالى	M + imaginative
تجريبي	Q + Experimenting (Radicalism)
مستقل بذاته	Q2 + Self - Sufficient

وقد إتضح أن عاملى القلق (العصابية) والإنبساطية وقد اتضح أن مكونات عاملى القلق (العصابية) والإنبساطية عند كاتل لهما ما يماثلهما عند أيزنك وجيلفرود .

عوامل الدرجة الثانية	عوامل الدرجة الأولى
الإنبساطية .	A+ محب للخلاء . F+ معتمد على الحظ . H+ مغامر . Q2 مرتبط بالجماعة .
القلق Anxiety	C - عاطفى . L+ متشكك . O - هياب . Q3 +| Q4 متوتر .
Corteria الحــــذر العقلـــــى	A - متحفظ . I - متصلب فكريا . M - عملي .
الإســـــتقلالية Independence	E - مؤكد لذاته . M+ خيالى . Q1+ تجريبي . Q2+ ذاتى الإكتفاء .

٣- إيزنك ونظرية الأبعاد :-

قبل التعرض لهذه النظرية تفصيلاً لابـد أن نتصرف علـى بعض المفـاهيم خاصـة مفهوم البعد حيث لا يمكن فهم نظرية الأبعاد إلا بعد فهم هذا المفهوم .

أ - مفهوم البعد : يقصد بالبعد هنا نفس الأبعاد الهندسية الرياضية ، بمعنى أن البعد يمثـل بنقطة تسير راسمه متصلاً منذ البداية حتى النهاية ، وهو يمثل المحور فى الرسـم البيـانى يبدأ من اليمين بقطب موجب ويمتد حتى المنتصف لنجد نقطه الصفر ثم يمتد جهـة اليسـار حتى القطب السالب وهو نهاية البعد .

أ – مفهوم البعد : يقصد بالبعد هنا نفس الإبعاد الهندسية الرياضية ، بمعنى أن البعد يمثـل بنقطه تسير راسمه متصلاً منذ البداية حتى النهاية ، وهو يمثل المحور فى الرسم البيـانى يبدأ من اليمين بقطب موجب ويمتد حتىَ المنتصف لنجد نقطه الصفر ثم يمتد جهـة اليسـار حتى القطب السالب وهو نهاية البعد .

ويستخدم المحور أو البعد للتعبير عن المتغيرات الفزيائية

والنفسية التى نود أن نعبر عنها كمياً فطول الإنسان مثلاً يمكن أن يعبر عنه على بعد بـدلاً من أن نقول هذا قصير وهذا طويل ثم ندمج أى فـرد يقابلنـا فـى فئـة قصـار القامـة أو فئـة طوال القامة ونهمل التباين داخل كـل فئـة . بـدلاً مـن هـذا يمكـن أن نتصـور ان أقـل طـول لإنسان راشد هو ٩٠ سم وأكبر طول مثلاً هو ٢٢٠ سم ، هنـا نفترض بعدا يتـوزع عليـه كل البشر تبدأ أدنى نقطة أى بدايته بـ ٩٠سـم وينتهـى آخر أو أعلى نقطـة بـ ٢٢٠ سـم والمتوسط مثلاً ١٥٥ سم فيكون البعد هكذا .

أقل طول ٩٠ سم ←———— ١٥٥سم ————← ٢٢٠سم

هذا الجزء ٦٥ سم   هذا الجزء ٦٥ سم .

وفى ضوء هذا البعد والذى لايصح إلا إذا حصلنا عليه مـن خـلال دراسـا أمبريقيـة لأطـوال عينه ممثلة وكبيرة ، فى ضوء هذا يمكن أن نعرف ما معنى قياس طول شخص ما إذا كان يميل الى الطول أو الى القصر ، وما مدى قصره أو قربـه مـن متوسطى الطول ، وهنـا لا ندرجه فى فئه متماثلة تماماً بل نحدد له موضعاً علـى هذا المتصل يساعدنا على معرفـه الفروق الفردية بينه وبين كل البشر الذين ينتمى إليهم .

وهكذا فى الظواهر الفزيائية الأخرى مثل درجة حرارة مكان ما طوال فترة زمنيـة ولتكن عاماً هجرياً أو ميلاديا ودرجة حرارة الإنسان بإعتبارهـا مثـلاً تمتـد مـن ٣٥ - ٤٢ درجـة ويمكـن أن نمثلهـا ببعد وفـى ضـوء معرفـة الحدود العليـا والدنيـا للبعد ومتوسـطه تستطيع أن تعرف ماذا تعنى درجة حرارة إنسان ما بعد قياسـها ومـا الفـروق الفرديـة بين درجتـه ودرجـات الآخريـن . بـالطبع مـن خـلال معرفـة موضعـه علـى هـذا البعـد

المقياس على الفرد الذى نريد قياس هذا المتغير عنده . لكن المشكلة ماذا نقيس ؟

وهذا السؤال رغم سهولته الظاهرة إلا أنـه يمثل أهم مشكلات علم النفس المعاصر لأنـه يعنى ما هو موضوع علم النفس الذى يمكن قياسه هذا إذا إتفقنا على أن علم النفس ليس علماً إلا باستخدام القياس .

وبالتالى فإن معرفه هذا الموضوع يعرفنا ما يقيسه القياس النفسي . ولكى نتعرف على حقيقة موضوع علم النفس يستحسن أن نبدأ من الواقع العملى الذى نحياه . ولنأخذ مثالاً واقعياً نحلله ثم نرى .

ولنفترض أن لنا صديقاً نسير معه فى الشارع ونريد أن نتناول كوبا من عصير الفاكهة وبعد تناوله أجده يتردد فى دفع الثمن مما يجعلنى أدفع أنا ، ثم فى ركوبنا سياره أجده تردد كذلك فى دفع ثمن التذكرة ودفعت ، ثم فى شراء سلعة ما لى وله تردد كذلك فدفعت ، هذه مواقف سلوكية متنوعه ومتباينة ، ولنفترض أنى رأيته مرة مع إبن له وهو طفل صغير يبكى لشراء الحلوى فيرفض برغم عدم وجود مانع لتناول الطفل الحلوى - وتريد زوجته شراء حذاء لها لأن حذائها قديم ومعه النقود فيرفض ..... إلخ ، مواقف كذلك متباينة ومتعدده ، غير أنها جميعاً - يجمعها خاصة مشتركة وهى تعامل هذا الصديق مع نقوده تعاملاً يؤكد حرصه عليها قبل أى شئ آخر . لا جدال أننا نطلق على مثل هذا الشخص صفه أو سمة معينة تسمى " عادة البخل " ، هذه الخاصة لا ندركها وإنما نستنتجها من إستجابات نوعية وواقعية لهذا الفرد ، إلا أن مجرد إستنتاجها يفيدنا فى التنبؤ بسلوك مثل هذا الشخص فى مثل تلك المواقف فقط ولكنها لا تساعدنا فى التنبؤ بسلوكه فى مواقف أخرى ، مثل طريقة قراءته أو مشيته أو نومه .... الخ .

والبخل هنا يمكن أن نسميه " عادة " ويغطى فئة ضيقة من استجابات الفرد التى تتضمن تعامله مع إنفاق أو عدم إنفاق النقود . ولنفترض أن مثل هذا الشخص يخشى على صحته كذلك ويتعامل مع المواقف بما يعكس خوفه على صحته ، ملابسة وممتلكاته الخاصة المعنوية والمادية .... هنا عادة أخرى بينها وبين العادة السابقة وجه شبه أو

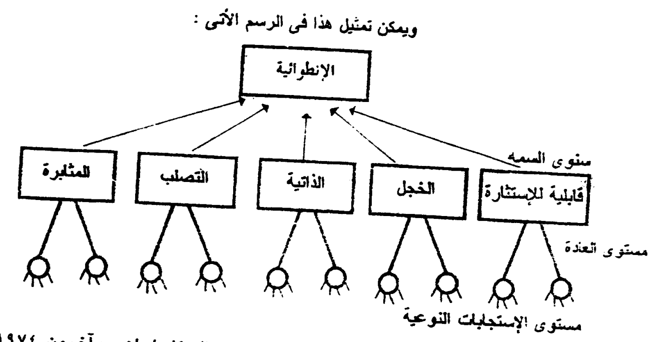
خاصة مشتركة هى خوفه على المال وحرصه عليه ثم حرصه على صحته وممتلكاته الخاصة وحرصه عليها ، وهنا يمكن أن نسمى هذه الخاصة المشتركة " سمة الحرص " مثلاً وهى تجمع عادتين ، وتقاس لا من خلال العادتين وإنما من خلال الإستجابات النوعية التى تندرج تحت العادتين ، فالسمه هنا أعرض من العادة ومعرفه درجة الفرد على سمه تعرفنا بموقعه على العادات المندرجة تحت السمه والتنبؤ باستجابات النوعية المندرجة تحت العادات المكونه لهذه السمة أى أن العادة تمثلها بمتصل ضيق بينما السمة بمتصل أوسع قد يتضمن عدد من العادات وما يندرج تحتها من إستجابات نوعيه ولا نستطيع أن نقيس العادة أو السمات إلا من خلال هذه الإستجابات النوعية .

ولنأخذ مثالاً أكثر دقه ، ولنفترض أن أمامى تلميذاً أشاهده وهو يجلس طوال الحصة الدراسية منتبها ومركزاً إنتباهه مع المدرس ، ثم أجده فى المنزل يحاول حل مسأله هندسية فلا يستطيع فيحاول مرة ومرات وهكذا حتى يصل الى حل ، ثم أطلب منه تنظيم مكتبه معقدة مثلاً فأجده يستمر رغم تعبه فى التنظيم وإعادة التنظيم حتى يصل بالمكتبة الى النظام المرغوب ثم أعطه صورة أو شكلاً خشبياً مفككاً وصعباً يحاول تركيبة ويفشل عشرات المرات ومع ذلك يصر على الإستمرار فى تركيبه حتى يركبه من مشاهدتنا لهذه الإستجابات النوعية نستنتج أن هذا الطفل يتسم بسمة المثابرة ، فهو لديه عادة النظام بدقة وعادة التركيز والإنتباه ، وعادة الإصرار على إكمال العمل ومن هذه العادات تظهر سمة المثابرة وهى خاصة مشتركة بين هذه العادات ومن أجل هذا تسمى سمه .

والسمه هنا لانراها وإنما نستنتجها من خلال الإستجابات النوعية .

ولنفترض أننا إكتشفنا كذلك سمات أخرى مثل الخجل ، الذاتية التصلب ، المثابرة ومن خلال دراستنا للتجارب المعملية السيكولوجية نعرف أن هذه السمات تجتمع أو يجمعها بعد واحد يسمى بعد الإنطوائية . إذن البعد هنا يغطى أكثر من سمه ، والسمه تغطى أكثر من عاده ، وتحت العادة توجد الإستجابات النوعية أو السلوك الظاهرى والقابل للقياس والمشاهدة والتجريب ، ومن هذا السلوك الظاهرى أو الإستجابات النوعية وقياسه ونستنتج وجود العاده ، وكذلك السمه ، وكذلك البعد .

ويمكن تمثيل هذا فى الرسم الآتى :



(عن عبد السلام الشيخ ١٩٨٩ ص ١٦٥) (عن عبد الستار إبراهيم وآخرون ١٩٧٤ ص ١١٣)

معنى هذا أن المتغيرات السلوكية خاصة بالنسبة للشخصية لا تخرج عن كونها إما عادة أو سمة أو بعداً ، وأن أياً منها يمثل بمتصل هندسي السابق ذكره ، فإذا كانت عادة يكون المتصل ضيقاً يغطى فئة ضيقة من الإستجابات ، وإذا كان سمة يمثل بمتصل أكثر إتساعاً ويغطى فئات أوسع من الإستجابات وإذا كان بعداً فإنه يمثل بمتصل عام يمتد فى كل إستجابات الفرد ، أى أنه يشير الى مجموعة من الخصائص السلوكية تمتد وتنعكس فى كل إستجابات الفرد .

ج) *الابعاد والشخصية* :

فى معرفة شخصية الفرد نبدأ بقياس الإستجابات النوعية بالمقياس المناسب ، وهو يقيس الإستجابات النوعية ، ثم من خلال درجة الفرد على هذا المقياس نعرف وضعه على المتغير الذى يقيسه المقياس ونستطيع المقارنه بين موضع الفرد والمتوسط والقطبين السالب والموجب ، وهذا المتغير قد يكون عادة أو سمة أو بعداً وغالباً ما يكون بعداً ، خاصة أن معرفة درجة الفرد على بعد ما تعرفنا وضعه بالنسبة للبعد والعادات المندرجة تحته ، وكلما كانت الشخصية سوية كانت متسقه وكانت الدرجة على البعد مؤشراً جيداً

لفهم الشخصية والتنبؤ بإستجاباتها ، بينما فى حالة إضطراب الشخصية كان الإعتماد على البعد غير جيد إلا كمؤشر لتدهور الشخصية .

فما هى أبعاد الشخصية إذن ؟

إنتهت الدراسات العالمية التى بدأها هانز إيزنك فى الخمسينات من هذا القرن ، وكذلك تلاميذه بإنجلترا وأمريكا ومصر الى وجود ثلاثة أبعاد أساسية للشخصية وهى :-

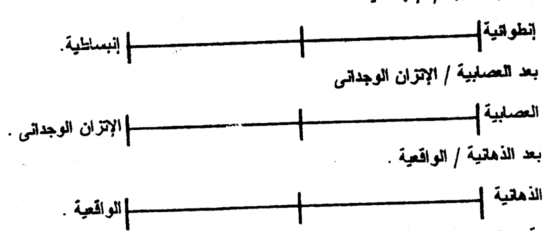
١ - الإنطوائية / الإنبساطية .

٢ - العصابية / الإتزان الوجدانى .

٣ - الذهانية / الواقعيه .

ونعبر عن كل بعد بمتصل يبدأ بالصفـة ويمتد منها حتى المتوسط وينتهى حتى القطب المقابل ويحمل نقيض الصفة كما يلى :-

بعد الإنطوائية / الإنبساطية .



وقد وضع لكل بعد مقياس مقنن تتوافر لـه الشروط السيكومترية المطلوب توافرها فى المقاييس النفسية وهناك بعد رابع إضافه د . مصطفى سويف بمصر وتأكد وجوده فى دراسات عديدة بإنجلترا والسويد والهند وألمانيا وأجريت عليه دراسات عديدة أكدت وجوده ويسمى بعد التطرف .

وقد أوضح د . سويف أن التطرف نوعين تطرف سالب وتطرف موجب يتوسطها التسامح والمرونه .

الخاصة السلوكية	الإنطوائى	الإنبساطى
١- الحث .	مرتفع .	منخفض .
٢- الكف .	منخفض .	مرتفع .
٣- الجهاز العصبي .	قوى الإثارة ، ضعيف الكف.	ضعيف الإثارة،قوى الكف.
٤- جهاز التكوين الفردى .	قوى .	ضعيف .
٥- محددات السلوك .	القيم الذاتية .	القيم والمعايير الإجتماعية .
٦- التدخين .	لزيادة التركيز وخفض الحث يتم التدخين بعمق وإن قل عدد السجائر نسبياً .	لرفع الحث والدافعية يتم التدخين السريع مع زيادة عدد السجائر .
٧- الإدمان .	المخدرات .	المنبهات .
٨- الطلاق .	أقل .	أكثر .
٩- إختراق القوانين .	أقل .	أكثر .
١٠- تغير الأصدقاء .	أقل .	أكثر.
١١- تغير الشريك الجنسي .	أقل .	أكثر .

Through : Lynne , 1981 P . 264 - 273 .

ثانيا :- *بعد العصابية / الإتزان الوجدانى* .

يشير هذا البعد عامـاً الى إرتفـاع أو إنخفـاض القلـق بإعتبـار القلـق هـو الخاصـة المصاحبة بشكل تلازمى لهذا البعد (Lynn. 1981 , p. 266) ويندرج فى إطار هذا البعد جميع الخصائص الوجدانية والإنفعالية من حيث تحقيقها الإتزان الشخصية وتوافقها ، أو من حيث أخلالها بهذا الإتزان أو التوافق . وبقدر زيادة ميل الفرد الى الإعتماد على الآخرين وضيق إهتماماته وإنخفاض حدة الحواس لديه خاصة الإبصار الليلي ، وزيادة ميله الى القلق والتوتر وعدم القدرة على تحمل الاحباط ، بقدر زيادة مثل هذه الخصائص بقدر قربه من قطب العصابية (عن : عبد السلام الشيخ ١٩٨٩ ص ٢٨٦) .

والدرجة العالية على هذا البعد تشير الى شخص قلق متقلب المزاج ، بينما تشير الدرجة المنخفضة الى قدرة الفرد على التحكم فى حاجاته ودوافعه وإنفعالاته (Minton & Schneider , 1980 P . 194)

ويرى جيل أن طاقة التخزين – أى تخزين الخبرات والمعلومات – تكون مضطربه وغير فعاله عند العصابيين مما يحدث خلطاً وتشويهاً لهذه الخبرات كذلك عمليات حفظ المعلومات المختزنة والمدخلة للجهاز العصبي تكون ضيقة ، أى أن التعرف على الخبرات وتحصيلها وتخزينها عمليتين مضطربتين عند العصابيين (Gale , 1981 . p . 302) ويتضح ذلك فى ضعف قدرة العصابي على التركيز فى موضوع ما لمدة طويله ، وعدم القدرة على الإستقرار فى مكان ما وتشوه كثير من الخبرات التى يسترجعها والمختزنة كما يشير هذا البعد الى مدى رضا الفرد عن نفسه أو إختلال هذا الرضا وبقدرته على التحكم فى مشاعره أو بإفلات زمام السيطرة من يده (سويف ١٩٨٣ ، ص ٢٥٢) .

ثالثاً : بعد الذهانية / الواقعية :

وتجدر الإشارة مرة أخرى على سبيل التأكيد ودرءاً للخلط بأن هذه الأبعاد ، الإنطوائية ، العصابية ، والذهانية لا تشير الى الأمراض الوظيفية المعروفه حيث يكون تفكك الشخصية واضحاً تماماً ويحتاج الى علاج وإنما هذه الأبعاد تشير الى مجرد إستعداد للإصابة بهذه الأمراض إذا توافرت الشروط المسببة للمرض .

ظهور الذهانية كبعد :

كان كرتشمر سنة ١٩٢٥ أشار الى الحالات الذهانية باعتبارها تمثل أنواعاً متطرفة من الشخصية السوية وركز على ما أسماه الشيزونيما Schizonymia وتحمل أمراض الفصام فى طرف مقابل لمرض ذهانى أخر أسماه الشيزوثيميا ويحمل أعراض الهوس الإكتئابى حالياً . إلا أنه إعتبر هذه الحالة المرضية منفصلة تماماً عن حالة السواء وليس بينها وبين السواء تداخل أو إستمرارية .

ثم جاء أيزنك وأشار الى الذهانية سنة ١٩٦٠ فى كتابة " Handbook of abnonormal Psychology " ثم أشار إليها مرة أخرى فى كتابه الأسس البيولوجية للشخصية ١٠٦٧ ،

ورأى ايزنك أن الذهان كمرض هو إستمرارية للشخصية السوية وهـو تتدرج من السـواء الى الإضطراب المرضى ، وهى إذن إستمرارية للسواء وليست منفصله عنـه وتصـور بعداً يمتد داخل السواء حتى يتداخل مع مرض الذهان .

وقام أيزنك بإختبار تصوره السابق حيث إستخدم منهجاً جديداً إخترعه سنة ١٩٥٠ يسمى (تحليل المحك) ويشير الى التحليل العاملى لفئات سوية وأخرى مرضية كل على حدة ثم يحدد العلاقات بين عوامل العينتين والبحث عن تشبعات أى عامل من العينتين وكيف يمكن أن تكون مشبعه وقادره على التمييز بين السـواء والمرض وكذلك بين فئـات مرض الذهان .

وتأكد تصور أو فرض أيزنك بوجود متصل بين السواء والذهان ، غير أن هذا المتصـل أو البعد لم يمتد كما رأى كرتشمر من الشيزوفرينا الى الهوس الإكتئابى وهدم تصوراً ونموذج كرتشمر وكان قد سبق لأيزنك وضع مقاييس لقياس الشخصية منها PEN & EPI ثم طورها الى الصورة النهائية للمقياس الحالى المسمى EPQ وبنى منه صورتين الأولى للراشدين والثانية للصغار وأكد أيزنك على الذهانية كبعد أساسى فى الشخصية فى كتاب بعنوان :- Eysenck & Eysenck . Psychoticism dimension of personality , 1976 .

وبالنسبة لمقياس الذاهنية كما يقيسه إستخبار أيزنك EPQ مازال موضع شك فى قياس الذهانية ، حيث أجريت دراسات متعدده عليه ولم يتضح صدقه بقدر مرض ، وفى بحث ماجيستير أشرفنا عليه سنة ١٩٨٩ بآداب طنطا طبق هذا المقياس على مريض نزيـل بمستشفى وفصامى وكان درجته على مقياس الذهانية أ أقل من معايير الأسـوياء عليه . وظهر نفس الشئ فى دراسات أجريت بلندن منها دراسة بيشوب Bishop ودراسات كلاردج وإتضح منها أن هذا المقياس لا يقيس الذهانية بكل مصاحبتها السلوكية بل وجد أن بعض مرضى الذهان ينخفضون عليه عن الأسوياء مما لا شك فى صدق هذا المقياس كما سبق الإشارة ويفسر أيزنك ذلك بأن الذهانية الواقعية أكثر ممـا يظهر منـه حيث يرتفع الذهانى بشكل واضح على مقياس الكذب ، غير انه لا يمكن التسليم كلية بهذا التبرير ، لأنه ماذا عن الذهانى الذى ينخفض على المقياس الذهانة والكذب ؟ وفى دراسـات أيزنك المتعددة وجد

أن توزيع الأفراد عليه كان توزيعاً إلتوائياً وليس إعتدالياً كما يجب أن يكون : Through Claridg . 1981 . P , 84 . ويرى البعض أن إلتواء التوزيع هنا يرجع الى أن هذا المقياس يغطى بعض المصاحبات السلوكية الذهانية ولا يغطى الآخرى ، فهو يغطى الإندفاعية والعدوانية وفقدان الدلالة الإجتماعية السوية للبيئة بمعنى عدم التقييم السوى للمواقف البيئية . ويرى أيزنك أن هذه الخصائص هى خصائص ذهانية . إلا أنه يجب ملاحظة أن الذهان كمرض يتضمن أعراضاً وفئات مرضية متباينة فهناك الإكتئاب ، الفصام ، والبارانويا ..... إلخ . وأن هذه الفئات تحصل على درجات مرتفعه فعلاً على مقياس الذهانية لأيزنك والبعض الآخر يحصل على درجات منخفضة وتتباين هذه الدرجات تتباين الضلالات الموجودة عند المريض - كماً وكيفاً - ففى دراسة أجراها ماكفرسون وآخرون ١٩٧٤ طبقوا EPQ على عينة من مرضى الذهان وقسموا حسب الفئات التقليدية ثم حسب التصنيف الهرمى (Foulds & Bedford , 1975) للإضطراب الذهانى وهذا التصنيف يقسم الذهانيين الى ثلاث مجموعات :-

أ- ذوى ضلالات متكاملة　　　　ب- ذوى ضلالات غير متكاملة .

ج - ليس لديهم ضلالات مطلقاً .

كما تم تقدير المرض حسب الدلالات والعلامات الاكلينيكية ثم اضطراب التفكير مثل اضطراب التفكير وتذبذب الوجدان وقد انتهت الدراسة الى ان المرضى ذوى الضلالات غير المتكاملة وذوى الاضطراب الوجدانى والعقلى يحصلون على درجات مرتفعة على مقياس " أ " مما يوضح ان الذهانية تكون أكثر ارتفاعاً عند ذوى الاضطرابات الحادة .

كما وجد ماكفرسون وزملاؤه ان الذهانيين الذين لم يكن لديهم أية ضلالات حصلوا على درجات اقل من الأسوياء ومن العصابيين على مقياس الذهانية ، كما أن مرض البارانويا والهوس حصلوا على درجات مرتفعة على الذهانية بعكس المكتئبين واذا أضفنا الى ذلك نتائج البحث الذى أجراه عبد السلام الشيخ والذى أوضح فيه ان مرض البارانويا والهوس يحصلون على درجات مرتفعة فى الذكاء النظرى عن الذكاء العملى بعكس الاكتئابيين لاتضح لنا أن ارتفاع الذهانية هنا انما يرجع الى ما لدى البارانويا والهوس من

بقايا ذكاء نظرى ينعكس فى تفكير مفكك انعكس فى ارتفاع الذهانية ، بعكس الاكتئابيين الذين تدهور الذكاء النظرى لديهم بدرجة حادة بانعكاسه فى أعراض الذهانية مما يجعلهم يحصلون على درجات منخفضة على الذهانية (عبد السلام الشيخ ١٩٨٨) .

وتؤكد هذه النتائج إغفال ايزنك لملامح أساسية من الخصائص الذهانية مما يفسر التواء التوزيع على هذا المقياس clarideg . 1981 , p . 87 وعامة فان هذا المقياس يفسر جزءاً هاماً من الخصائص الذهانية وبالتالى فانه يصف السلوك المنحرف اجتماعياً مثل العدوانية والاندفاعية ، ومع هذا يرى ايزنك ان هذا المقياس " أ " يقيس فئات اوسع ويغطى ليس بالضرورة الفصام فقط بل الأنماط الأخرى من الذهان (Ibid . P . 91) أى ان مقياس الذهانية هنا مقياس صادق ، خاصة وأنه قد تأكد من خلال دراسات أخرى عديدة منها دراسة أجراها عبد الخالق وعبد الستار إبراهيم وميخائيل يوديك ١٩٨٦ على عينات مصرية إناث وذكور طبق فيها استخبار كاتل 16 pf واختبار EPQ وانتهى الى ثلاثة عوامل منها عامل الذهانية أ .

رابعاً : بعد التطرف :

يشير هذا البعد أى ابتعاد سلوك الفرد واستجابته بغض النظر عن أهدافها ومحتوياتها عن سلوك الجمهور الذى ينتمى إليه سواء كان الابتعاد موجباً أو سالباً ، كما سنتناوله فيما يلى .

وقد انتهت الى هذا البعد دراسات دكتور سويف وتلاميذه منذ بداية الستينات وحتى الأن (سويف ١٩٦٨ ، ص ١١٩) ويرتبط التطرف بشكل الاستجابة بغض النظر عن محتواها وأهدافها وهو بعد أساسى فى الشخصية ، ويكون تطرف الفرد فى استجاباته عن استجابات ومعايير الجماعة اما تطرفاً نحو قيم الجماعة ويسمى تطرفاً ايجابياً ، مثلا ان يكون أكثر من الملك ، أو ضد قيم الجماعة ويسمى تطرفاً سلبياً . ومن امثلة التطرف الايجابى ان أكون مواطناً فى وطن اشتراكى له معايير وقيم اشتراكية ثم أتمسك أنا بهذه القيم وأتطرف فى تمسكى بها كأن أطالب باعدام كل من هو ليس اشتراكى أو ابعاده ونفيه عن الوطن مثلا ، ولا يقتصر هذا على مواقف سياسية فقط بل يظهر أكثر فى الحياة

الخاصة سواء فى اختيار شريك حياته أو فى مأكله أو ملبسه بينما المتطرف سلبياً هو الذى يتمسك بقيم مخالفة لقيم الجماعة ويتهم الجماعة بالتخلف أو الرجعية أو الفساد .. إلخ . لمجرد أنه يخالف قيم الجماعة وهذا التطرف السلبى ينعكس كذلك فى حياة الفرد الخاصة فى زواجه وملبسه وعلاقاته مع الآخرين وقد أجريت دراسات عديدة فى مصر وألمانيا وانجلترا والهند وتأكد وجود هذا البعد أو المحور واستخدم فى هذه الدراسات مقياس التطرف ، الذى وضعه وقننه د. سويف أعيد تقنينه عشرات المرات (فراج ١٩٧١ ص ١٣٣ ، ١٦٩ - ١٧٠) (الشيخ ١٩٧٨ ص ١٠٠ - ١٢٠) وقد اتضح ان هذا البعد يمتد فيما بين قطبين ، قطب موجب يمثل أقصى درجات التطرف الايجابى ويمضى حتى نقطة الوسط حيث التسامح والمرونة ثم يمضى نحو القطب الاخر السالب حتى أقصى درجة حيث نجد التطرف أو قطب التطرف السالب .

قطب التطرف الموجب . . ______________ . ________ . . قطب التطرف السالب

ويتميز المتطرف بانتمائه الى جماعات هامشية وان علاقته بالمجتمع والجمهور علاقة هامشية والتطرف السلبى يتماثل مع التطرف الموجب فى ارتفاع القلق والتصلب وان أياً منهما اذا تغير فانه يتغير فجأة الى التطرف المقابل ومن الصعب ان يتغير الى التسامح والمرونة ولم يعد أى فرد يقع بالضرورة على نقطة محددة على كل بعد - بل قد يقع على نقطة محورية تقع بين البعدين وتحدد هذه النقطة كذلك موقعه على البعدين الأساسيين وخاصة بعدى القلق ، والانطوائية وبناء على هذه النقطة المحورية تنبأ بسلوكه بشكل أكثر تفصيلاً من خلال

أ- النقطة المحورية التى يقع عليها بين البعدين .

ب- التقاء النقطة بالبعد الأفقى وما تحمله من خصائص سلوكية لهذا البعد .

جـ- التقاء نفس النقطة على البعد الرأسى وما تحمله من خصائص سلوكية لهذا البعد .

على أن تكن زاوية التلاقى بين التقاء النقطة بالبعد على قائمة " ٩٠ درجة "

ويطرح لنا دلزانس عن ايزنك توزيعاً لأنماط هيوقراط الأربعة على المساحات الأربع المنحصرة بين تلاقى بعدى " القلق " والانطواء لأيزنك كما فى الرسم التالى ومن موضع الفرد على نقطة محورية يمكن أن تعرف إلى أى نمط ينتمى أنماطه وسلوكه .

الشروط المسئولة عن الفروق

الفردية للشخصية

أولا شروط بيولوجية

أ) بناء الجهاز العصبي :-

أول من أبرز دور الجهاز العصبي في الفروق الفردية هو إيفان بافلوف وتلاميذه مثل ريكمان وليندا نوفتسن في دراستهم على العصاب التجريبي على الكلاب من ١٩٠٠-١٩٣٦ ، حيث أخضعوا كلاباً لمواقف انعصابية متطابقة مثل أن يأخذ الكلب صدمة كهربائية ولا ترفع عنه الا اذا لعق إناء به طعام كريه ... وهكذا ، أو يوضع الكلب على منصة تهتز به ويظهر شبح مخيف وفي نفس الوقت يسمع صوت فرقعة بارود . وتجارب أخرى مماثلة انتهوا منها الى أنه رغم تماثل المواقف الانعصابية فان الكلاب كانت تصاب باضطرابات عصابية متباينة ، فكلب ينزوى بعيداً ويخاف من أى مثير أو انسان يقترب منه ويقبع في ركن بعيداً داخل المعمل وكأنه أصيب باكتئاب عصابي ، وكلب أخر أخذ يعوى ويدور حول نفسه ويعض ذيله كأنه أصيب بنوبة قلق أو بأعراض الهوس الذهاني . والسؤال لماذا رغم تطابق المواقف تباينت الاضطرابات السلوكية عند الكلاب ؟

استمر بافلوف وتلاميذه في دراساتهم وانتهوا الى ان تباين بناء الجهاز العصبي من كلب لآخر هو المسئول عن تباين أعراضهم حيث هناك جهاز عصبي قوى الكف هو المسئول عن الأعراض الاكتئابية عن كلب آخر ، وجهاز عصبي قوى الأثارة هو المسئول عن ظهور أعراض الهوس عند كلب آخر ، ومن هنا قسم بافلوف الأجهزة العصبية حسب مستويات الكف والإثارة كما يلي :-

١- جهاز عصبي قوى الكف :-

فيه مستوى الكف قوى ، بينما مستوى الأثارة ضعيف .

٢- جهاز عصبي قوى التوازن :-

وفيه مستوى الكف ومستوى الأثارة قويان

٣- جهاز عصبي ضعيف الكف :-

وفيه مستوى الكف ضعيف ، ومستوى الاثارة قوى .

٤- جهاز عصبى ضعيف التوازن :-

وفيه مستوى الكف ومستوى الاثارة ضعيفان . أو ايقاف الاستجابة وعدم اصدارها أو على الأقل تحوير الاستجابة وترشيحها حتى تخرج ضعيفة غير عنيفة ، بينما يشير مصطلح الاثارة الى وجود استعداد فى الجهاز العصبى يجعله يصدر استجابة بقوة ويضعف لديه عملية الترشيح ويجعل صاحبه فى حالة استثارة زائدة . ويجب أن نلاحظ أن الكف والإثارة عمليتان متلازمتان طبقاً لقانون التصور الذى يرى أنه بمجرد اثارة استجابة ما تظهر فى نفس الوقت طاقة مضادة تعمل على كف هذه الاستجابة تعادلها فى القوة وتقابلها فى الاتجاه ، فاذا كان الجهاز العصبى الذى اثار هذه الاستجابة من الأجهزة قوية الاثارة نجد أن قوة الكف المقابلة لها أضعف منها مما يجعل الاستجابة تصدر بدون ترشيح وتكون غالباً عنيفة واندفاعية والعكس اذا كان جهاز عصبى قوى الكف ، فان أى استجابة تثار سرعان ما تظهر طاقة كف ، أقوى توقف وتعطل الاستجابة حتى يمكن ترشيحها واصدارها أو تعطيلها .

والجهاز العصبى قوى الاثارة يجعل صاحبه عادة فى حالة استنفار ، ويكون من الصعب عليه أن يكف استجابة مستثارة ، بينما من السهل إثارة استجابة ما .

من هنا يحتاج صاحب الجهاز قوى الاثارة أن يحيط جهازه بسياج يمنع عنه مصادر الاستثارة ويميل بالتالى الى الانطواء على نفسه وبذلك يكون انطوائياً . بينما يحتاج صاحب الجهاز قوى الكف الى مصادر اثارة بحيث تعادل قوة الكف هذه ليصبح الجهاز متوازن . ومن هنا يميل الى البحث المستمر عن مصادر الاستثارة ويجدها عامة فى الأخرين وفى مصادر الاستثارة والجديد البسيط وليس الغامض حيث أن الغامض يوقفه عنده ويمنعه من مصادر استثارة أخرى أو لا يرسل إليه إثارة لعدم فهمه مما يجعله يتحاشاه ومما يجعل من هذا الشخص غير متقبل للغموض . ومن هنا يكون انبساطياً وقد حاول بافلوف تفسير التقسيم التقليدى للشخصية الى (١) دموى . (٢) بلغمى صفراوى . (٤) عصبى واكتئابى .

وقد سبق الاشارة إليها فى ضوء بناء الجهاز العصبى هذا ونظريته فى الكف والاثارة .وفى سنة ١٩٦٤ حاول هانز ايزنك توظيف نتائج بافلوف فى تفسير أبعاده للشخصية على أساس نيوروفسيولوجى . ورأى أن الجهاز قوى الكف يخلق شخصية انبساطية بكل خصائص السلوك الانبساطى السابق شرحها . والجهاز العصبى قوى الاثارة يخلق شخصية انطوائية بكل خصائص السلوك الانطوائى ولما كان بافلوف قد ركز نظريته فى الجهاز العصبى والكف والاثارة على تصور بعدى يمتد ما بين جهاز قوى التوازن ضعيف التوازن . تتوزع عليه الأجهزة العصبية حسب مستويات الكف والاثارة وتغلب احداها على الأخرى او توازنهما فقد استفاد ايزنك من هذا حيث وجده يطابق تصوره لتصور ايزنك لمفهوم البعد .

ومن هنا كان قوله بوجود بعد الانبساطية / الانطوائية وتدعيمه بدراسات تجريبية واحصائية - كما سبق القول وكذلك بقية ابعاد الشخصية السابق الاشارة إليها .

ومن هنا يرى دافيد روبنسون ان الأبعاد الأساسية لنظرية ايزنك فى الشخصية ترتبط بشكل منظم ودقيق بالفروق الفيزيوكيميائية للأجهزة العصبية . وكما تظهر من دراسات فى بافلوف ثم دراسات أخرى عديدة مباشرة على هذه الأبعاد . (Robinson . o . 1987 . p . 159)

ب- نظرية الحث وجهاز التكوين الشبكى :

اذا نظرنا وسط المخ الأسفل نجد تجمعات نيورونية او عصبية تمتد من اسفل المخ صاعدة مع ساق المخ تسمى جهاز الحث الشبكى بساق المخ (Bsrf) أو (R.F.S)

حتى أعلى المخ المتوسط فتتشعب على شكل شبكة من النوبات العصبية تسمى جهاز الحث أو التكوين الشبكى - وتغطى الجهاز الثلاموس فى أعلى المخ المتوسط بحيث تتداخل وظائف الجهازين فيما يسمى بالاثارة أو الدافعية أو الحث والتحفز .

وجميع المنبهات الحسية التى ترد من البيئة مارة بالأعصبة الحسية على شكل نبضات حسية تسير فى هذه الأعصبة ثم تمتد فى حزم عصبية صاعدة الى المخ وتمضى صاعدة فى المخ الى الأجهزة المتخصصة خاصة لحاء المخ . وهو اعلى جزء فى المخ

ولكى نصل إليه لابد أن تمر من خلال التكوين الشبكى العصبى هذا ، وهو الذى يسمح أو لايسمح لها بالمرور الى اللحاء ، فاذا كان يعمل فانه يسمح لها بالمرور من خلال قنوات عصبية واذا كان لا يعمل فان قنواته تغلق ولا يسمح لها بالصعود . واذا صعد التنبيه الحسى الى لحاء المخ فان اللحاء يحوله الى تنبيه حركى يهبط فى العصبة المتخصصة ، ويمر هابطاً من خلال التكوين الشبكى كذلك ، والذى يسمح أو لا يسمح بمرور هذا التنبيه حسب ما اذا كان يعمل او لا يعمل كما فى حالة النوم والأحلام .

ومن المعروف أن هذا الجهاز اذا كان يعمل بقوة فانه يسمح بمرور التنبيهات بسهولة الى لحاء المخ مما يجعل الفرد فى حالة حث مرتفعة ، بينما كلما ضعف الجهاز وقل عمله كلما قل مستوى الحث عند الفرد حتى يصل الى مرحلة النوم .

ومن خلال تأثير هذا الجهاز على مستوى الحث تبرز الفروق الفردية خاصة على بعد الانبساطية والانطوائية . ويقرر هانز ايزنك من خلال ما انتهى إليه من دراساته المتعددة إلى أن امكانيات الكف تكون أكبر عند الانبساطية ، بينما امكانيات الاثارة تكون أكبر لدى الانطوائية ، ويقرر أن الأساس الفسيولوجى لهذا البعد هو جهاز التكوين الشبكى - (ايزنك ، ١٩٦٩ . ص ص ٧٣ - ٨٧) ويختلف جهاز التكوين الشبكى من فرد لآخر ، فهناك جهاز قوى يعمل بقوة حيث تكون مساراته العصبية الصاعدة والهابطة الى ومن لحاء المخ مفتوحة وتسمح بمرور التنبيهات بسهولة مما يضع الفرد فى حالة حث واستثارة مرتفعة ويكون - كما اشرنا - أقرب الى الانطوائية . بينما إذا ضعف هذا الجهاز تضعف قدرة التنبيهات العصبية على الصعود أو الهبوط الى ومن لحاء المخ . مما يزيد من الكف ويضعف مستوى الاثارة ويزيد من درجة ازاحة الفرد نحو قطاب الانبساطية .

ومن هنا يرى جيل Gale ١٩٨١ أن الانبساطيين أقل حثاً من الانطوائيين ، كما أن لكل فرد مستوى أمثل من الحث ينبنى على اساسه استراتيجيات يتبنى فيها مستويات من الحث تتسق مع هذا المستوى الأمثل الذى يحدد فى ضوء بناء جهاز التكوين الشبكى - ومن هنا وبناء على هذه الاستراتيجيات تحدد أنماط السلوك نحو الانطوائية أو الانبساطية . Through : Werre , P . F , 1987 , p . 59

وبالرغم من أن هذا الاستنتاج قد قال به ايزنك . الا أن ايزنك اعطى خطوة أخرى أكثر تقدماً حينما حاول تقسيم الأفراد الى فئات شخصية في ضوء جهاز الحث الشبكي والتلاموس . ومن تفسير ايزنك لعمل هذين الجهازين سوياً وبشكل متوازٍ او نوعي محدد خاصة بالنسبة للتلاموس وكذلك من خلال تفسير ايزنك لأبعاده فإنه يرى امكانية العثور على فئات شخصية مثل :

أ - انطوائي عصابي .   ب- انبساطي عصابي .

جـ- ذهاني انبساطي .   د- ذهاني / انطوائي

وفي ضوء ذلك نستطيع أن نميز بين انبساطي وانبساطي وانطوائي وآخر انطوائي ... إلخ . (Through : Robinson , D , 1987 , P . 167) .

ولاهمية بعد الانبساطية الانطوائيه . وثباته عبر عدد كبير من البحوث . قدم روبنسون نموذجا فسيولوجيا يفسر به الفروق الفردية على هذا البعد ويقوم هذا النموذج او يعتمد اساسا على جهاز التكوين الشبكي وما يرتبط به من ساق المخ والتلاموس (BSRF) ويرى أنه نتيجة لإتساع حجم هذا الجهاز تختلف قابلية عينة من خلاياه للإثارة والحث عن قابلية عينة او مساحة أخرى مما يزيد من الفروق الفردية بالنسبة للإثارة والكف وبالتالي بالنسبة لأبعاد الشخصية . ولذا كان ايزنك على حق حينما قال بأن الفروق الفردية بين الأفراد على الانبساط والانطواء تحدد أساساً بالقابلية للحث في نحاء التلاموس وهو جزء من التكوين الشبكي كذلك بالكف الناتج من التكوين الشبكي بساق المخ (BSRF) .

وقد حاول ايزنك أن يفسر بعض أنماط السلوك الخارجي المميزة للإنطوائية والانبساطية في ضوء هذا التكوين . ولنأخذ مثلاً تدخين السجائر - وقد سبق أن أشرنا إلى أن التدخين يفرق بين الانبساطي والانطوائي حيث يدخن الانطوائي لخفض الحث بينما يدخن الانبساطي لرفعه ولما كان التدخين يرفع الحث بالجرعات الصغيرة كان تدخين الانبساطي سريعاً وسطحياً بحيث لا يتبقى داخله الا نسبة قليلة من النيكوتين ، بينما اذا زادت الجرعة انخفض الحث كان تدخين الانطوائي عميقاً لما فيه من جرعة كبيرة من النيكوتين ورغم أن

الانبساطى يدخن عدداً أكبر من السجائر الا أن نسبة النيكوتين التى يحصل عليها من السجائر تكون أقل من نسبة النيكوتين التى يحصل عليها الانطوائى ، وهنا يفسر ما قاهل أوكنر Ocnner ١٩٨١ بأن الانطوائى يدخن لزيادة قدرته على التركيز أو حينما يشعر أن هناك رغبات وأفكار غير مقبولة ربما تصدر منه يوزنها التدخين أو بأنماط سلوكية أخرى تقلل من ارتفاع الحث وتشعره بالهدوء .

ويفسر بنلسون التدخين هنا من خلال تأثير النيكوتين على جهازى التكوين الشبككى والليمباوى Lembic system وتأثير النيكوتين على التكوين الشبكى غير محدد بمعنى أنه يرفع الاستثارة أو يخفضها بشكل عام غير نوعى تبعاً لمقدار جرعة النيكوتين بينما تأثيره على الجهاز الليمباوى يكون نوعياً وانتقائياً نحو هدف معين ، ويختلف تأثير النيكوتين على هذين الجهازين تبعاً لإختلاف بنائها عند الأفراد ، ومن هنا اختلاف تأثيره على الانطوائى عنه على الانبساطى (Werre , 1987 , p . 68) .

ونعلل تأثير الجهاز العصبى وخاصة التكوين الشبكى وهو أساساً المسئول عن امكانية التعلم عند البشر - على ابعاد الشخصية ، ربط هذه الأبعاد بالبناء المعرفى للفرد . مما يؤكد وجهة نظرنا لمفهوم المكون الأدائى والتعبيرى للإستجابة وقد تأكدت هذه الرابطة بين الشخصية والبناء المعرفى . ففى دراسات متعددة اتضح منها وجود بروفيلات (مبيان نفسى) على مقياس وكسلر للذكاء WAIS للإنبساطيين تختلف عن تلك الخاصة بالانطوائية على نفس المقياس (Through : Robinson , 1987 , P . 164 - 165)

وأكدت الدراسات الحديثة أهمية المكون المعرفى فى تحديد الفروق الفردية على أبعاد الشخصية خاصة بعد الانبساطية ، ومنها دراسة وكرها روبنسون طبق فيها اختبار وكسلر WAIS لقياس ذكاء الراشدين مع EPQ وبعض المقاييس الأخرى ، وخضعت النتائج لتحليل عاملى انتهى الى أربع عوامل منها تطابق عوامل الذكاء العاملية لوكسلر منها العامل اللفظى والعامل الأدائى ، كما ظهر عاملى (التركيز والانتباه) مما أكد العلاقة بين الشخصية والقدرات المعرفية خاصة الذكاء (ibid , p . 159) .

ويرى جبل ١٩٨٧ وفينلبز ١٩٨٤ ان هناك أنواعاً مختلفة من الحث ظهرت فى دراسات عاملية .

وأن كل أنواع الحث لها علاقة بالذكاء ، كما الفرد والتعبير عن حاجته وإرادته .

د-جهاز الضبط : وهو المسئول عن الاشراف عن الأجهزة الثلاث السابقة وتنظيم عملها والعلاقات بينها وبين بعضها البعض .

وفى ضوء هذا القصور البنائى يرى جيل ان الانبساطى يكون جهاز التحصيل لديه شديداً ويجمع من مصادر أكثر تنوعاً ، بينما يكون عند الانطوائى ضعيفاً ووظائفه محدده . وينعكس ذلك فى ميل الانطوائى الى زيادة التركيز على مصادر الإستثارة .

وهنا يرتفع جهاز الضبط عند الإنطوائى فى إشرافه على جهاز التحصيل أو المدخلات من خلاله بينما يركز جهاز الضبط عند الإنبساطى على التعبير ، أى يركز على المخرجات ، بينما يركز عند الإنطوائى على المدخلات ومن هنا يكون تنظيم المدخلات يكون هاماً للإنطوائى بينما يكون تنظيم المخرجات هاماً للإنبساطى .

كما يختل جهاز التخزين عند العصابى وتقل كفائته وفاعليته حيث يسمح للمخزون من الخبرات بالمرور بشكل غير منظم وغير متضبط .

بينما يركز الإضطراب الأساس عند مرض الفصام فى ضعف جهاز الضبط حيث لا يستطيع أحداث التكامل بين أجهزة التحصيل أو حتى ضبط نشاط أى منها علاوة على أن إتساع جهاز المدخلات لمثيرات البيئة دون ضبط يسهم فى إدخال مثيرات دون تجديد دلالاتها مما ينعكس فى فقدان الذهانى عامة للدلالات الإجتماعية للمثيرات .

بينما يتميز المكتئب بجهاز تحصيل منخفض وأيضاً جهاز تعبير منخفض ، ويتأكد هذا من إنخفاض معدلات الإنصن بشكل واضح عند الإكتئابيين (معدل الإيص فيتمثل فى مقدار الأكسجين المستهلك والذى يعكس نشاط أو عدم نشاط الجهاز العصبى)

ويقدم لنا جيل وجهه نظره هذه فى الجدول التالى :

الفروق الفردية على الشخصية	جهـز التحصيز	جهاز التخزين	جهاز التعبير	جهاز الضبط
الإنبساطية	كفء . نقطة مرتفعه .	كفء.	كفء . نقطة إستعداد مرتفعه	كفء على التعبير
الإنطوائية	كفء – نقطه إستعداد منخفضة	كفء .	كفء . نقطة إستعداد منخفضة .	كفء فى التحصيل .
العصابية	----	غير كفء. نقطه إستعداد مرتفعه.	----	غير كفء فى التخزين والتعبير .
لكتئاب	غير كفء . نقطة إستعداد منخفضة.	غير كفء . نقطه إستعداد منخفضة	غير كفء . نقطه إستعداد منخفضه .	غير كفء فى التحصيل والتعبير.
القلق	غير كفء . نقطة إستعداد مرتفعه .	غير كفء . نقطة إستعداد مرتفعه .	-----	غير كفء فى التحصيل والتخزين
الهوس	--------	غير كفء نقطة إستعداد مرتفعه .	غير كفء نقطة إستعداد مرتفعه	غير كفء فى التخزين والتعبير .
الفصام	غير كفء نقطة إستعداد مرتفعه .	غير كفء نقطة إستعداد مرتفعه .	غير كفء نقطة إستعداد بطيئة .	غير كفء فى التحصيل والتخزين والتعبير .

الجهاز العصبي التصورى على أساس ميكانيزم إنتقال الطاقة .

Through : Gale . A 1987 . P . 302 .

أن الحث المرتفع عند قمة معينة يرفع الذكاء (Gal , 1987 , P . 274)

الجهاز العصبي *التصوري والفروق الفردية على الشخصية* :-

فى نهاية هذا الجزء يحق أن نشير الى وجهة نظر جديدة لباحث أمريكي هو جيل Gale حول تصور نظرى لبناء الجهاز العصبي وكيف يفسر الفروق الفردية من خلاله على أبعاد الشخصية .

وترى هذه النظرية - كما طرحها جيل - أن لدى الكائن الحى أربع أجهزة متكاملة ترتبط بالجهاز العصبي وهى :-

أ) جهاز تحصيل الخبرات والمعلومات Acquisition ويقوم بجمع المعلومات والخبرات من البيئة المحيطة .

ب) جهاز التخزين : ويقوم بتخزين هذه المعلومات فى الجهاز العصبي وهو المسؤل عن تدهورها أو عدم تدهورها .

ج) جهاز التعبير : وهو المسؤل عن تشكيل الإستجابات .

د) جهاز الضبط : منظم وضبط السلوك .

د : *الجينات والفروق الفردية على أبعاد الشخصية* :

يوجد بالخلية الحيوانية ٢٣ زوج كروموزوم ، وكل كروموزوم يحمل عدداً من الجينات أو الصفات أو المورثات حيث تحمل الخصائص الوراثية لسلسلة الأم وسلسلة الأب ويرى البعض أن الجينات لا تحمل الخصائص الفيزيقية فقط للإنسان بل تحمل كذلك السمات السلوكية ، وأن العادة السلوكية التى يكتسبها فرد ما وتنتقل منه عبر مواقف التعلم الإجتماعى الى الأبناء ومن هؤلاء إلى الأحفاد عبر أجيال طويلة يقال أن العادة السلوكية تسجل فى الجينات لتنتقل عبرها من جيل لآخر ويرى البعض أن خصائصها السلوكية ترجع إذن الى ما تحمله الجينات ، وإنها هى التى تحدد خصائصنا وأبعاد شخصياتنا - بل أن هذه الجينات هى التى تحدد إختيارنا لأصدقائنا وأكثر من هذا بأنها تحدد إختيارنا لشريك حياتنا فى الزواج .

ففى ضوء ما يحمله الشاب من جينات قد تحدد سماته ويختار شريك حياته الذى ..امل معه من حيث الجينات والسمات الناتجة عنها ، ويتأتى الأطفال طبقاً لخطة تكامل

جينات الزوجية - الأم والأب - بدون أن يشعر أى منهما .

وربمـا مـا أسـماه جـالتون بمعادلـة الإنحدار والتـى تعنـى أن الطبيعـة تمثـل الـى الإستقرار والثبات كما يحدث عندما نجد أن الآبـاء مرتفعى الطول عـادة مـا ينجبـون أبنـاء أكثر وأن الآباء قصار القامة ينجبون أبناء أطول مما يحدث توازناً وإستقراراً فى الطبيعة ، ولو كان الوضع غير هذا لظل الأب الطويل ينتج سلسلة أطول وأطول والقصير ينتج سلسلة أقصر وأقصر . وتكون الفروق شاسعة وغير مستقرة .

والتماثل الذى نلاحظه بين الأزواج - كما يـرى فيشر Fisher ١٩١٨ - ليس إلا نتيجة ثانوية لتماثل الجينات عند كل منهما . وهذا الزواج الجيني ليس أمـراً غريبـاً - فـى نظر البعض - ذلك أن بداية الجنين هـى تـزاوج الحيـوان المنـوى (يحتـوى علـى ٢٣ كرومـوزوم) والبويضـة (تحتـوى علـى ٢٣ كرومـزوم) ثـم يـتزاوج كـل كرومـوزوم مـن الحيوان المنوى للرجل بكروموزوم مماثل له من كروموزومات بويضة المـرأة بشكل ثابت ومحدد . وبعد ذلك تبدأ حياة الجنين .

ورغم ذلك فإنه نظرية الزواج الجينى لم تزل مجرد وجهة نظر رغم ظهورهـا منـذ ١٩١٨ تقريباً . ويرجع البعض تماثل الأزواج - الـذى تسـتند عليـه - الـى تمـاثل السـمات القائمة بينها حتى لو كان هذا التماثل يرجع فى جزء منه الى تماثل جيني .

وقيل أن تماثل الأزواج إنما يرجع الى عوامل إجتماعية أكثر منهـا جينيـة حيث لا يتزاوج إلا الأفراد المتماثلون فى سمات شخصياتهم (Eaves et al , 1981 , P . 132) .

وقد شارك أيزنك فى محاولات لحسم هـذا الموقـف فـأجرى سلسـلة من الدراسـات بدأهـا ١٩٥٦ حيث درس عدداً مـن التوائـم مـن جنـس واحـد مـن مواليد لنـدن ١٩٣٥ - ١٩٣٧ وإستخلص من هذه الدراسة عامل الإنبساطية ، ووجد علاقة بين التوائم المتطابقـة (+ ٥ر) ، وبين التوائم الإخوة - غير المتطابقة - (- ٣٣ر) ولكى يفسر أيزنك العلاقة السالبة هذه بين التوائم الإخوة قال بمبدأ الإسـتقطاب Polarization حيث قـال أن كل منهـا يمثل أحد قطبى مستطيل ، فإذا كان أحدهما مسيطراً أصبح الآخر خاضعاً ، غير أن أيزنك لم يفسر لنا لماذا لا يظهر هذا الأمر فى التوائم المتطابقة ، ثم أجرى أيزنك سلسلة أخـرى مـن الدراسات بالنسبة للعصابيين (Through : Mincon & Schneider , 1980 . P . 201) .

وفى سنة ١٩٧٤ أجرى دراسات على ٢٤١ زوجاً ودرس التماثل الجيني بين الأزواج ووجده (+ ١٤ر) فقط (Eaves , et al , 1981 . P 139) .

وفى سنة ١٩٧٥ أجرى نياس Nias دراسة على ٥٨٦ زوجاً ودرس مدى التماثل الجيني بينهما ووصل الى معامل إرتباط (+ ١٩ر) ومع أن معاملات الإرتباط عند أيزنك ونياس دالة إلا أنها منخفضة ، علاوة على ذلك فإن أيزنك يؤكد أنه لم يستطع الحصول على أى دليل لوجود آثار جينية وراء الذهانية (Ibid , P . 139)

وفى سنة ١٩٦٦ أجرى جوتسمان دراسة على ١٤٧ زوجاً من التوائم المتماثلة وقد طبق مقياس كاليفورنيا CPL ، وإنتهى الى وجود آثار للجينات وراء ٦ مقاييس من ١٨ مقياساً على CPL ووجد أن الـ٦ مقاييس ترتبط بالإجتماعية ، الإنبساطية ، وهكذا تتسق نتائجه مع أيزنك .

وفى سنة ١٩٧٦ أجرى جوتسمان Gottesman دراسة أخرى مستخدماً CPI على ٤٢ زوجاً من التوائم المتطابقة و ١٧ زوجاً من التوائم الإخوة ، وإنتهى الى ما يؤكد أثر الوراثة على أبعاد الشخصية .

وفى سنة ١٩٦٩ أجرى سكار Scarr دراسة على الإنبساطية على توائم إناث بمتوسط عمر زمنى ٩٧ شهراً وإنتهت الى علاقة مرتفعه عند التوائم المتماثلة تبدأ من ٥٦ر الى ٩٣ر . أكثر منها عند التوائم الأخوة حيث تبدأ من ٠٣ر الى ٨٣ر (Through : Minton & Schneider , 1980 . P . 201) .

وتؤكد هذه الدراسات على الأثر الجيني أو الوراثى وراء أبعاد الشخصية ومن هنا يرى أيزنك أن العوامل أو أبعاد الشخصية لديه تعكس فروقاً فردية فى الوظائف الفسيولوجية ، فمثلاً يتميز الإنطوائية بحث مرتفع فى اللحاء بذلك فإن الإنطوائى يشرط ويتعلم بسهوله عن الإنبساطى (Ibid , P. 194) .

وفى دراسة أجراها جاتاز Gattaz على عينه من فصام البارانويا وجد أن المرتفعين على مقياس الذهانية كانوا مختلفين بدرجة دالة عن المنخفض عليه بالنسبة لمولدات الأجسام المضادة (وهى خاصة بتجديد فصائل الدم) . وفى دراسات جاتاز بألمانيا حول الأثر

الجيني وراء الذهانية أشار الى أن الذهانية ترتبط بنوع معين من مولدات مضادات الأجسام تسمى HLA ، والذى يوجد فى الكروموزوم رقم ٦ ، إلا أنه أشار الى أن لهذا الكروموزوم دوراً أساسياً ليس وراء الذهانية فقط بل وراء الكثير من الأمراض الأخرى مما يجعله غير محدد وبالتالى لا يستطاع الإعتماد عليه ما دام لا يعطينا قدره على التحكم فى هذا المرض وفى دراسة شالنج Schalling بنهاية الثمانينات إستخدم فيها مقياس أيزنك EPO بمعهد كاروليسكا بالسويد ، وإنتهى الى علاقة واضحة بين درجات الأفراد على الذهانية وعمليات الأيض خاصة مادة السيروتيين Serotonin ويؤكد شاليخ أنه بالرغم من أن بيوكيميائية الذهان ثم تزل موضوع لجادلة كبيرة غير أن تأثير مادة السيروتون أمر اضح خاصة وأن هذه المادة تمثل خلايا ضمن نا يسمى بالمخ الناقلات النيورونية Neuro-transmitter

(Through : Claridge , 1987 , P . 106)

إلا أنه لا يمكن التسليم بالأثر الجينى من خلال مثل هذه الدراسات السابقة .

ذلك أن تماثل أبعاد الشخصية بين التوائم المتماثلة ربما لايرجع الى تشكل الأبعاد بجينات معينة متماثلة وإنما يرجع الى إدراك التوائم المتطابقة للمثيرات بشكل وبالتالى فمهما إختلفت مواقف التعلم الإجتماعى بينها قد يدركها إدراكنا متماثلاً مما يشكل لديها تماثلاً فى أبعاد الشخصية هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد ظهرت دراسات أخرى تشير الى أن أثر الوراثة يتغير مع العمر الزمنى ، فمثلاً إتضح أن المقاييس المرتبطة بلإجتماعية عند تحليل نتائجها وحساب العلاقات عليها بين أخوة وتوائم متطابقة فى أعمار زمنية مختلفة أن للوراثة دوراً واضحاً فى مرحلة البلوغ أو المراهقة بينما ينخفض هذا الأثر فى مرحلة الرشد ، بين المقاييس المرتبطة بالعصابية والإستقرار الوجدانى والثقة فى الذات أوضحه أن للوراثة أثر فى مرحلة الرشد وأن هذا الأثر يظهر عند المراهقة ، وقد تأكد ذلك فى دراسات عديدة مما يشكك فى الأثر الجينى والوراثى كشروط ومن وراء الفروق الفردية على أبعاد الشخصية ، وأن كان البعض قدم حلول تقديم تفسير لإختلاف أثر الوراثة بإختلاف العمر الزمنى مثل دوركن Dworkin ١٩٧٦ ، فيرى أن تغيرات العمر ترجع الى فروق فى معدل النمو ، وتكون الآثار الجينية أكبر فى فترات النمو الفيزيقى السريع كالمراهقة وعلى هذا علينا أن نضع - كما يقول دوركن - العمر الزمنى كمتغير هام موضع إعتبار عند دراسة أثر الجينات على الشخصية (Ibid , P. 202) .

وفى مقابل هذا نجد أن هناك دراسات عديدة أكدت أثر البيئة ، مما يجعلنا لا نسلم تماماً بالأثر الجينى فقط ومن هذه الدراسات ما أجراها كاتل ١٩٥٧ وكريستى Kresty وقد أكدت جميعاً أثر البيئة على الفروق الفردية بأبعاد الشخصية (ibid , p . 202 0) .

وفى دراسة يونج Young حول الذهانية انتهى الى ان للبيئة دوراً وكذلك للوراثة وراء الذهانية ، ومن هنا انتهى معظم علماء النفس الى القول بالأثر البيئى وكذلك الجينى فيما يسمى بنظرية GXE باعتبار ان G = النمط الجينى ، E تمثل البيئة
(Throuh : Eaves & Young , 1981 , p . 133 -)

لكن لم تزل المشكلة قائمة حول البحث عن مقدار أثر البيئة ومقدار الأثر الجينى أو الوراثى على الفروق الفردية ويستلزم هذا أن ننظر فى الأثارالبيئية والثقافية على الفروق الفردية فى أبعاد الشخصية .

ثانيا : *بعض الشروط الديموجرافية والشخصية المسئولة عن الفروق الفردية* :

سنتناول ثلاثة من هذه الشروط التى يتوافر لدينا معلومات عنها باعتبارها من أهم تلك الشروط المحتمل أن تؤثر فى توزيع الفروق الفردية على أبعاد الشخصية :-

أ) *العمر الزمنى* :

سبق أن أشرنا الى بعض الدراسات مثل دراسة دوركن والتى انتهت الى أهمية العمر الزمنى ودوره فى تشكيل تأثير الجينات والوراثة على أبعاد الشخصية ولم يعد يقتصر دور العمر الزمنى على هذا بل أن هناك دراسات عديدة فيما سيعرض حالياً - أكدت أن للعمر الزمنى دوراً مباشراً فى تشكيل الفروق الفردية على أبعاد الشخصية - وعامة فقد انتهت غالبية البحوث فى هذا المجال الى أن تقدم العمر الزمنى يرتبط سلبياً بدرجات الفرد على الانبساطية بمعنى أنه كلما تقدم العمر الزمنى بالفرد خاصة بعد الستين - انخفضت الانبساطية لديه وإرتفعت الانطوائية . ومن أوائل الدراسات فى هذا المجال دراسة أجراها جراى Gray ١٩٤٧ على ١٠٠٠ مفحوصاً مدى عمرهم الزمنى من ١٠- ٨٠ عاماً واتضح ان الانبساطية تقل بدرجة دالة عند كبار السن وتأكدت هذه النتيجة سنة ١٩٦٤ فى دراسة كريك Craik على ٢٤٠٠ مفحوص طبق عليهم استخبار هورن وتقيس التوافق الاجتماعية والتى اتضح منها أن هناك علاقة بين التوافق - الاجتماعية - غير أن هذه

العلاقة تقل بعد الستين وفى العام ١٩٦٤ طبق كاميرون استخبار E . P . I لايزنك ، ومقياس آخر لقياس التمركز حول الذات على ٣ مجموعات فوق ٥٩ سنة ومجموعة واحدة من ١٨ – ٤٠ سنة اناثاً وذكوراً .

وحلل استجابات كل من الذكور والاناث كلاً على حدة ومن أهم نتائجه بالنسبة للاناث :-

أ- أن كبار السن منهن اللاتى عشن فى منازلهن بعد الستين - أكثر انطوائية عن صغار السن المقابلين لهن .

ب- كبار السن من الاناث اللاتى عشن فى مساكن مشتركة مع أسر أخرى كن مماثلات فى الانبساطية للاناث صغار السن .

جـ- كبار السن من الاناث اللاتى عشن فى مؤسسات داخلية علاجية كن الأكثر انطوائية مما يعنى أن حرمان كبير السن من الاتصال يسهم فى زيادة الانطوائية وخفض الانبساطية خاصة بالنسبة للاناث .

فى ١٩٦٦ تأكد تأثير العمر على الانبساطية من دراسة جوتمان على ١٤١٩ كندى تتراوح أعمارهم من ١٧- ٩٤ سنة طبق عليهم استخبار الموذزلى M.P.I. واتضح أن أنماط السلوك تصبح أكثر انطوائية مع زيادة العمر الزمنى خاصة بعد الستين . (Through : Savoge R . p . 1981 p . 338)

ومع أن زيادة الانبساطية مع زيادة العمر الزمنى خاصة بعد الستين أصبح حقيقة مسلم بها تقريباً غير أن التدهور الذى يقال أنه يصاحب شخصية المسن لا يرجع الى مجرد العمر الزمنى وانما قد يرجع الى الاحالة المعاشة وفقدان الأحباء والأصدقاء بالزواج أو بالموت – وقد انتهت الدراسات الأخيرة من سنة ١٩٧٥ كدراسة بيرى ودراسات كتاب ص١ سنة ١٩٨٨ كدراسات عبد السلام الشيخ ودراسات حسين سعد الدين تحت إشراف عبد السلام الشيخ وكتابات د. عبد المنعم عاشور بمجلة علم النفس المصرية سنة ١٩٨٨ – الى أن التدهور المصاحب لكبر السن ليس نتيجة مباشرة لكبر السن بقدر ما هو نتيجة لعدم الإشباع ومواقف الانعصابات وان كان يزيد من الشعور به، تدهور الجهاز العصبى والبناء الفسيولوجى .

وعلى هذا فان اندماج المسن . كما يرى لاين فى العمل والحياة هو المسئول عن توافقه الشخصى والاجتماعى ، على أن يتلائم هذا الاندماج مع بناء شخصيته (savage . R . P. 1981 p . 339)

وفى دراسة أجراها عبد السلام الشيخ ١٩٨٨ على ١٤٨ من المسنين ٦٠ - ٨١ سنة طبق عليهم بطارية اختبارات منها E P Q وقسمهم الى اناث وذكور وصغار المسنين أقل من ٦٤ سنة ، وكبار المسنين فوق ٧٢ سنة .

وفى عينات من الراشدين قسمهم الى مستويات تعليمية أنيسن ، يقرأ ويكتب وتعلم متوسط ، ثم تعليم جامعى وما فوق - واتضح ان أبعاد الشخصية التى يقيسها E.P.Q لا تتغير مع العمر الزمنى ما بين ٦٠-٨١ سنة وان كانت العصابية تزيد مع تقدم العمر الزمنى خاصة عند الاناث .

كذلك تنخفض الانبساطية بينما تكاد الذهانية تكون ثابتة وكذلك الميل للكذب غير أنه من خلال دراسات متعددة (عبد السلام الشيخ ١٩٨٨- ص ٣٩-٤١) يتضح أن مستويات التعليم تساعد على ابراز أثر العمر الزمنى على أبعاد الشخصية بما يستلزم معه النظر فى هذا المتغير (التعليم) فمثلاً اتضح أن الانبساطية تزيد مع الكف المرتفع فى لحاء المخ أو فى ساق المخ وجهاز التكوين الشبكى Bsrf غير أن هذا الكف يزداد مع زيادة التعليم - ومعنى هذا فان التعليم وزيادة الخبرة تزيد قدرة BSRF على الكف مما يزيد من الانبساطية وكذلك الكذب الذى يهدف منه المفحوص الى مجرد تقديم صورة مرغوبة لذاته كما أن افتراضنا ان الاناث أكبر عليه هو افتراض أقرب للواقع الا ان هذا م يثبت بعد من خلال الدراسات .

وعامة من خلال بحثنا المشار إليه فأن الجنس لم يكن مسئولاً عن الفروق الفردية على أبعاد الشخصية فيما عدا على العصابية والميل للجريمة .

ثالثاً - *الفروق الثقافية والقومية* .

يقصد بها اختلاف الثقافات بشكلها العام ما تتضمنه من أنشطة اجتماعية وسياسية ...الخ كما تحدد من خلال تحديد التباين بين الأمم أو الدول . وأثرها على أبعاد الشخصية .

ومن خلال دراسة تباين أبعاد الشخصية بين الدول فى وقت واحد .. وكذلك تباينها داخل الدولة الواحدة فى أوقات مختلفة كالحروب والاحتلال العسكرى والتسلط السياسى والانعصابات المختلفة خاصة الاقتصادية يمكن أن نستنتج وكما ظهر فى بحوث عديدة أهم الشروط الثقافية المشكلة للفروق على ابعاد الشخصية .

ولكن كيف نتعرف على أبعاد الشخصية فى دولة ما ؟

أ- إما أن نستخدم أحد مقاييس الشخصية مثل E.P.Q وتطبيقها على عينة ممثلة للجمهور الأصلى لهذه الدولة ثم تصحح الاختبارات ونحللها احصائياً .

ب- أو نتعرف على المؤشرات الديموجرافية داخل هذه الدولة والتى تشير الى ارتفاع بعد ما أو انخفاضه . مثل أن نتخذ ارتفاع الطلاق . التدخين والمخالفات القانونية كمؤشر لارتفاع الانبساطية . كذلك الهجرة والتعليم .... الخ ، فبينما انخفاض هذه المؤشرات مع انتشار المخدرات كمؤشر لانتشار الانطوائية علاوة على ارتفاع نسبة بعض فصائل الدم B والتى ترتفع بشكل واضح مع ارتفاع الانطوائية فى اليابان . (Lynn R. 1981 p. 280) .

كذلك بالنسبة للأبعاد الأخرى – فالعصابية تقيسها من خلال ارتفاع عدد المتعاطين والانتحار ، الأمراض السيكوسوماتية ... الخ وهكذا .

ومنذ سنة ١٩٥٠ وحتى الآن أجريت بحوث كثيرة فى دول وأمم مختلفة حولأبعاد ايزنك وانتهت الى وجود فروق قومية وثقافية على الأبعاد الثلاثة لأيزنك (Lynn 1981 p. 263) وقد نشر أيزنك نتائج دراسته الأولى فى الستينات من خلال هذا القرن حول دور الفروق القومية والثقافية وكذلك الدخل القومى علىأبعاد الشخصية الثلاثة لأيزنك وقد أجريت هذه الدراسات على ٢٤ دولة وتم حويل درجات كل دولة الى درجات تائية محولة بالرجوع الى متوسطات وانحرافات المعيارية للعينة الانجليزية ولأهمية هذه الدراسات خاصة أنها تتضمن بعضاً من الدول العربية ننشر نتائجها هنا فيما سيأتى من صفحات :-

أ) الفروق القومية والثقافية وأثرها على العصابية / الاتزان الوجدانى .

من أوائل الدراسات فى هذا المجال دراسات أجراها شاهبر وكاتل سنة ١٩٦١ طبق فيها

اختبار كاتل على طلاب من ٦ دول وقد وجد أنها يمكن ـن تترتب تنازليا حسب متوسط العصابية فى كل منها من الأكثر ارتفاعاً الى الأكثر انخفاضا حسب الترتيب التالى

١- بولندا ٢- الهند ٣- فرنسا ٤- ايطاليا

٥- بريطانيا ٦- الولايات المتحدة الأمريكية . وقد فسر ارتفاع العصابية فى بولندا نتيجة للتسلطية السياسية . وارتفاعها فى الهند نتيجة للفقر وقد تم الحصول على هذا الترتيب باستخدام مقياس ايزنك كذلك .

وكما يستنتج كاتل وزميله من هذا فان تسلط الدولة ومستوى المعيشة المنخفض يولدان قلقاً مرتفعاً وعصابية . (Cattell , R . B , & Saheir I.H 1961 " Measurement " of . Nand Anxiety New York . Ronald Press .

والتسلطية سواء من الدولة أو من احتلال عسكرى من الشروط التى ترفع العصابية عند مواطنى هذه الدول . وتأكد ذلك فى دراسات عديدة أخرى منها دراسة أجراها Lyvn على ١٨ دولة غربية متقدمة قسمت الى مجموعة من ٩ دول لم يمروا بمرارة الحرب العالمية الثانية ، ومجموعة من ٩ دول مرت بهذه الحرب . ومن خلال المؤشرات الديموجرافية للعصابية قاس الباحث العصابية فى السنوات ١٩٣٥- ١٩٥٠- ١٩٥٥- ١٩٦٠ -١٩٦٥ - ١٩٧٠ وكان من أهم هذه المؤشرات نسبة استهلاك الخمور والانتحار ووجد أن الفرق بين المجموعتين كان دالاً عند ٠٠١ر٠ لصالح الدول التى عانت من الحرب . كما يتضح من النتائج أن العصابية ارتفعت فى الدول التى حدث لها احتلال عسكرى (٩ دول التى اشترك فى الحرب) خاصة فى السنوات التى تلت الحرب والاحتلال وبعد ذلك تأخذ فى الانخفاض (Through Lyun 1981 p.p -275-276) .

كما اتضح فى دراسات أخرى أن العصابية لم تكن مرتفعة فى بعض الدول الفقيرة بمقارنتها بدول غنية مثل باكستان ونيجيريا وغانا مما يوضح أن الفقر لا يشكل سبباً أساسياً وراء العصابية بقدر الحروب والهزائم العسكرية ، غير أن هذا لا يقلل من الأثر الاقتصادى وادراك الأفراد لإنخفاض مستوى معيشتهم وفى دراسة مقارنة بين بعض الدول العربية ودول غرب أوربا أجراها ايزنك انتهى الى ان العصابية أكثر ارتفاعاً فى الدول العربية عنها فى دول أوربا المتقدمة كما يتضح من الجدول التالى :-

الدول الغربية المتقدمة	العصابية	الدول العربية	العصابية
أستراليا	٥٠ر٥٦	مصـــر	٦٢ر٩٦
كندا	٥٠ر٧٣	إيران	٥٥ر٢٢
فرنسا	٥٤ر١١	الأردن	٥٦ر٢٧
ألمانيا	٥١ر٨٤	الكويت	٦٠ر٨١
إيطاليا	٥٠ر٤٦	لبنان	٥٤ر٥٨
اليابان	٥٣ر٨٥	سوريا	٥٧ر٧٤
السويد	٤١ر٧١		
انجلترا	٥٠ر٠٠		
الولايات المتحدة الأمريكية	٥٠ر١٣		

(Through Lyvn 1981 p. 273)

وفـى مقارنـة أخرى بين دول متقدمـة ودول متخلفـة وأثر التقدم والتخلف علـى العصابية قام هوفسليد Hofsleds سنة ١٩٧٦ بدراسـة العصابيـة فـى ١٥ دولـة مـن الدول الديمقراطية المتقدمة وقارنها بالعصابية عند ٦ دول من دول العالم الثالث بأمريكا اللاتينية – وتأكد أن العصابية ترتفع مع تخلف الدول وتنخفض مع تقدمها كما فى الجدول التالى :–

الدول الغربية الديمقراطية	العصابية	دول أمريكا اللاتينية	العصابية
إيطاليا	١٠١	الأرجنتين	١٢٥
فرنسا	٩٨	بيرو	١١٨
سويسرا	٩٢	شيلى	١١٦
ألمانيا الغربية	٨٦	كولومبيا	١١٥
كندا	٧٩	المكسيك	١٠٥
النمسا	٧٨	فنزويلا	١٠٤
فنلندا	٧٨	البرازيل	٩١
هولندا	٧٧		
أستراليا	٦٩		
الولايات المتحدة الأمريكية	٦٩		
أيرلندا	٦٨		
بريطانيا	٦٧		
النرويج	٥٢		
السويد	٥٠		
الدنمارك	٣٢		

حسب دلالة الفروق بين المجموعتين كانت قيمة ت=٩١ر٤ وهى دالة تحت مستوى ٠٠١ر٠ (Through . Lyvn 1981 p .274)

ويغض النظر عن الدخول فى مجادلات لفظية لتفسير هذه النتائج - فإنه مما لا شك فيه فى حدود الدراسات يتضح أن الدوله كلما كانت أكثر تقدماً وديمقراطية كلما إنخفضت فيها العصابية وما يرتبط بها من سلوك عصابى بعكس كلما كانت أكثر تسلطيه وأكثر تخلفاً .

ب- الفروق الثقافية وأثرها على الإنبساطية / الإنطوائية .

إنتهت معظمك الدراسات فى هذا المجال إلى أن التباين القوى والثقافى وما يرتبط

به من مؤشرات معينة كالدخل والتعليم والهجرة لها علاقـة وثيقـة ببعد الإنبسـاطية ويمكن التعرف على الإنبساطية من خلال المقاييس العالمية المتعارف عليها مثل قياس كاتل 16 pf أو مقياس أيزنك مثل E.P.Q كما يمكن التعرف عليها من خلال المؤشرات الديموجرافية فى دوله ما مثل . معدل الجريمـة والمخالفـات القانونيـة ومعدل الطـلاق . إستهلاك السـجائر والمنبهات والتى كلمـا زادت كـانت مؤشـراً لإرتفـاع الإنبسـاطية داخـل هـذا المجتمـع أو الجمهور وفى دراسة أجراها أيزنك بهدف المقارنة بين بعض الـدول علـى بعد الإنبسـاطية الإنطوائية أخذ عينات مماثلة من هذه الدول ٩ دول متقدمة وهى :-

إستراليا ، كنـدا ، فرنسـا ، إيطاليـا ، ألمانيـا ، السـويد ، أمريكـا ، اليابـان . وأخذ إنجلترا كمحك لمقارنة مدى إرتفاع الدولة من هذه الدول على بعـد الإنبسـاطية بمقارنتهـا بـالمجتمع الإنجليزى وقد إتضح أن أمريكا كانت أكثر هذه الدول إنبساطية بينما اليابان أكثرها إنطوائية وتـأكدت نتـائج هذه الدراسـة فـى دراسـات أخـرى عديـدة كذلك إعتمـدت علـى المؤشـرات الديموجرافية للإنبساطية خاصة فى ما يتصل بـأن أمريكـا أكـثر الـدول إنبسـاطية وقد فسر أيزنك هذا الوضع بأن الإنبساطيين أكثر من الإنطوائيين إستمتاعاً بكـل مـا هـو جديـد وأنهـم بالتالى أميل للبحث عن الجديد من خلال الهجرة ولما كان المجتمع الأمريكى أساساً مجتمـع مهاجرين من هنا يزداد على الإنبساطية ، ومن الممكن أن تنتقل الإنبساطية من جيل مهاجر قديم الى آخر من أبناء المهاجرين ويتطلب هذا إجـراء دراسـات مباشـرة حـول أثـر الهجـرة على الإنبساطية بإعتبار الهجرة سمة من سمات مجتمع ليس بإعتبارها مجـرد سـمة فرديـة مثل هذه المجتمعات كندا ، جنوب أفريقيا ، أمريكا يكون معظم سـكانها مـن مهـاجرين جـدد وقورنت الإبسـاطية داخل دول قديمـة ومستقرة هـى فرنسـا ، ألمانيـا الغربيـة ، السـويد ، إنجلترا وروعى فى المجموعتين أن تكون متماثلتين فى مستوى التقدم وكـانت النتـائج كمـا فى الجدول التالى :-

دول مستقرة وقديمة		دول مهاجرة	
الدولة	متوسط الإنبساطية	الدولة	متوسط الإنبساطية
فرنسا	٤٨ر٠٨	إسترليا .	٥١ر٣٥
ألمانيا الغربية	٤٩ر١٠	كندا .	٥٣ر٨١
السويد	٥٠ر٨٠	جنوب أفريقيا .	٥١ر٦٦
بريطانيا	٥٠ر٠٠	الولايات المتحدة الأمريكية .	٥٦ر٥٦

(Through : Lyun 1981 P . 279)

وتم حساب دلالة الفروق بين مجموعه الدول المهاجرة ، ومجموعة الدول المستقرة على الإنبساطية فإتضح أن الفروق بينهما دالة وجوهرية حيث بلغت قيمة ت ٢ر٩٥ وهى درجة دالة عند ٠ر٠٠٥ (Ibid p . 279) وبالنظر فى الجدول السابق يتضح أن الولايات المتحدة الأمريكية هى أكثر الدول إنبساطية عامة خاصة أن بحوثاً عديدة سبق ذكرها إنتهت الى هذه الحقيقة ولكن السؤال لماذا كانت هى أكثر إنبساطية حتى من الدول المستقلة المتقدمة؟ ولا يمكن أن يكون السبب وراء ذلك هو مجرد سمة الهجرة عند مواطنيها إذ لابد من شروط أخرى تتوافر فى المجتمع الأمريكى وترفع الإنبساطية ويمكن إعتبار هذه الشروط حينما نعرفها من بين الشروط الثقافية الأخرى التى تشكل بعد الإنبساطية وبالنظر فى المجتمع الأمريكى - فعلاوه على أنه مجتمع من مهاجرين فهو كذلك يتسم بالغنى والسعة المادية .

معنى هذا أن مستويات مرتفعه من الدخل ومن الثراء تساعد على رفع درجات الإنبساطية فى هذا المجتمع من خلال تتبع إرتباط الإنبساطية من للدخل فى مجموعة من دول أوربا الغربية التى إشتركت فى الحرب الثانية منذ سنة ١٩٣٧ الى - ١٩٧٠ إتضح أن هناك تزايداً من معدل دخول هذه الدول وأن الإنبساطية تتزايد بمعدل متماثل تقريباً لتزايد هذه الدخول منذ سنة ١٩٣٥ - سنة ١٩٧٠ . وللتأكد من صدق هذا الغرض تم دراسة الإنبساطيين فى ١٨ دولة وعلاقتها بالداخل وإتضح أن العلاقة بينها وبين الدخل

= ٦٥ر وهى علاقة جوهرية تفسر حوالى ٤ر من تباين الإنبساطية من القوميات وهى نسبة كبيرة تدل على دور الدخل القومى فى الإنبساطية .

وقد إتضح أن أكثر الدول إنبساطية كانت أمريكا U.S.A النمسا ، السويد .... إلخ وأخيراً هولندا ثم اليابان وغير أنه لا يمكن الإدعاء بأن هذا الترتيب لهذه الدول على أساس الإنبساطية فيطبق على أساس الدخل . اليابان أكبر كثيرا من دخل دول أخرى سابقة عليها . وهذا لا يلغى الأثر الإيجابى للدخل على الإنبساطية وإنما يجعلنا حذيرين فى تعميم هذا الشرط حيث لابد أن نضع فى إعتبارنا إحتمال وجود شروط أخرى كثيرة بجانب الدخل .

جـ) الفروق القومية والثقافية على الذهانية :-

يرى أيزنك أن الظواهر الملاحظة - إنخفاض الذهانية فى الدول الأوربية المتقدمة والديمقراطية بمقارنتها بدول نامية حيث إتضح أن العلاقة بين الدخل القومى والذهانية هى علاقة سلبية (سالب ٦٢ر) وهى علاقة بلغت السلبية (-٦٢ر) وهى علاقة جوهرية كما يجدر الإشارة الى أن التباين بين القوميات المختلفة على الذهانية أكثر إرتفاعاً ووضوحاً من التباين بين القوميات على بعدى الإنبساطية والعصابية فمتوسط الذهانية فى بريطانيا فيما يصل الى ٥٠ (١٥ إنحراف معيارى) بينما يرتفع فى اليونان الى ٩٤ ، ٦٥ وفى ألمانيا الى ١٢ر٦٦ وفى يوغسلافيا الى ٩٦ر١٦ (بإنحراف معيارى واحد أعلى من العينة البريطانية) بينما يصل هذا المتوسط فى اليابان الي ٠١ر٧٣ بإنحراف معيارى ونصف مما يوضح أن اليابان أكثر إرتفاعاً على الذهانية من الدول الأخرى إننا يجب أن نضع فى إعتبارنا أن المقياس الذهانية - كما نقيسها من إختبارات أيزنك أو كاتل أو جيلفورد - إنما هى مقاييس غربية وربما تكون متحيزة نحو ثقافة الغرب إلا أنه مما يؤكد صدق النتائج السابقة أنه حتى داخل دول أوربا نجد ان الذهانية تنخفض مع زيادة الإستقرار والتقدم ذلك أن المقياس الذهانية يرتبط بقوة بعامل النضج والحساسية لمشاعر وإعتبار الأخرين وإنهم من المحتمل كما يرى ريتشارد لاين أن هذه الحساسية الأخلاقية قد زاد فى الشعوب الاوربية فى الأوقات الأخيرة مما خفض الذهانية بينما لم تزل هذه الحساسية الأخلاقية أى القدرة على إعتبار الأخرين غير ناضجة فى الشعوب النامية مما يرفع مستوى الذهانية

(Through : Lyvn 1981 . P. 280)

كما يؤكد هذا إتساق دراسات عديدة حول تباين القوميات على بعد الذاهنية وكيف أن توزيع الذهانية بين هذه القوميات يرتبط ويسير بشكل متسق وسلبي مع مدى تقدم هذه الدول - كما أن الذكور في كل هذه الدول يرتفعون بشكل متسق عن الإناث كما في الجدول التالي :-

		الذهانية	
		متوسط م	إنحراف معيارى ع
إستراليا	M	٥ر٨٩	٣ر٧٦
	F	٣ر٨٥	٢ر٧٥
كندا	M	٣ر٤٧	٢ر٢٨
	F	٢ر٠٨	١ر٧٦
فرنسا	M	٤ر٤	٢ر٩٩
	F	٥ر٩	٢ر٩
ألمانيا	M	٥ر٨	٣ر١٣
	F	٤ر٣	٢ر٧٥
الهند	M	٦ر٥	٣ر١
	F	٦ر١	٢ر٢٦
تركيا	M	٤ر٨٧	٢ر٣
	F	٤ر٣	٢ر٣٦
يوغسلافيا	M	٦ر٦٧	٥ر٩
	F	٥ر٧٦	٥ر٧

(Through : Lynn , R , 1981 P . 282)

M : ذكر

F : أنثى

يشير مفهوم الشخصية إلى أنماط أساليب سمات سلوكيه تكاد تكون ثابته مع المواقف، وينعكس هذا الثبات فى إدراك الفرد والخارجيه والداخليه، وفى أساليب تفكيره وعلاقاته بالأشياء بالأشخاص وكذلك في علاقاته بذاته .

وعندما تتجمع سمات معينه مثل المحافظة على النظام، والمثابره التصلب صرامة الضمير.. وتتجمع مثل هذه السمات فى كل يجمعها فإنها هنا تشير إلى نوع من الشخصيه وأنماطها أو أسلوبها عندما لايكون هناك تكاملاً مثل هذه السمات تنعكس فى صعوبة التوافق وفي عجز اجتماعى أو شفهى أو فى انعصابات عندما يظهر هذا فإننا نأخذ أياً منها مؤشراً لاضطرابات الشخص الذى تتعامل معه .

وتتجمع السلوكيات التى تعكس اضطراباً فى الشخصية على شكل سمات عامة تعكسها وتساعد على التنبؤ بها. وعادة تكون هذه السمات المضطربه مصاحبه للفرد علي أكبر مدى من حياته بمعنى أنها عادة تظهر فى الطفولة وتمتد مع العمر الزمنى للشخصية وتكون كامنه فى فترة زمنية معينة متوسطة الحده فى فتره أخرى عنيفه واضحه الاضطرابات فى فترات أخرى، ولذلك فإن التعبيرات الحديثة على سلوك الشخص تعتبر اضطراباً موقفياً وليس جزء من اضطرابات الشخصية .

هذه الاستمرارية وهذا الثبات لاضطرابات الشخصيه دفع كثيراً من العلماء إلى البحث عن الأسباب المسئولة عن هذا الثبات - وانتهى آرون لازار من دراساته علي هذه الظاهرة إلى أن الشخصية تتكون من مجموعة من الأمزجه والطباع لها أساس وراثى وجينى تتطور من خلال مواقف تعلم اجتماعى طويله وعميقه وأن الموقف الراهن مثل مواقف الانعصابات والشدة هو استثارة حاضره للاضطراب وليس سبباً له .

كما انتهى كرنشفيلد والنشرة الطبية المعروفة باسم Dsmiiir إلى أن اضطرابات الشخصيه تتسم بما يلى:

أ - تمثل حالات مزمنه وطويله المدى بعكس الأعراض المرضيه .

ب - تمثل اختلالا وظيفياً أساسياً أكثر مما تمثل عرضاً أو زملة أعراض يصاب بها الشخص .

جـ - اضطرابات الشخصيه مقاومه للتغير أكثر من الأعراض المرضيه، تبعاً لذلك فإن العلاج يكون أطول وأكثر صعوبة .

د - اضطرابات الشخصيه مقاومه للتغير أكثر من الأعراض المرضيه، تبعاً لذلك فإن العلاج يكون أطول وأكثر صعوبة .

د - تكون اضطرابات الشخصيه متناسقه مع بناء الذات بل وعادة مع معتقداتها الذاتية، مما يجعل المرضى متوافقين نسبياً مع سلوكهم وعادة لايريدون التغيير - مثلاً الرجل الذى يميل إلى صفات الإناث فإنه يقلدهم وتتميز شخصيته بأنماط سلوكيه أنثويه تنعكس فى صوته بل وربما في شكله وانسحاباته فى خضوعه بل ربما انعكست في تسريحه شعره.. بالطبع كل هذا يجعل من الصعب عليه التوافق مع الآخرين خاصة فى مجتمع مثل مجتمعنا. لكننا ربما نجد أفكاره وتوجهاته تعتقد بعدم وجود فروق بين الإناث والذكور وضرورة المساواة الكامله إلخ... ومايبسر له تقليد المرأة بما يجعل بين اضطرابه وشخصية توافقاً Lozare. P. 455

أهمية قياس الشخصية :

هناك أسباب عديده تدفع الأخصائى الأكلينيكى للاهتمام بقياس الشخصية هى :

١ - المعاناه العميقه لمرضى اضطرابات الشخصية. يزيد من أهمية قياس وفهم الشخصية

٢ - وجود اضطراب مافي الشخصية يرتبط بشكل دال بوجود اضطرابات أخرى وربما تكون غير واضحه. ممايستلزم معه القياس لاكتشاف كل هذه الاضطرابات حتى الكامنه منها بما ييسر خطة العلاج .

٣ - قد تؤثر سمات الشخصيه في قابلية الأشخاص أو استجاباتهم لانعصابات البيئه .

٤ - كما تؤثر هذه السمات في استخلاص تاريخ الحاله وتقبل خطه العلاج كذلك شخصية المعالج تحدد أسلوب تعامله مع المريض .

غير أننا يجب أن نلاحظ أن المعلومات المجمعه حول الشخصيه واضطراباتها لم تزل قليلة خاصة إذا قصدنا المعلومات العلمية - كما أن كثيراً من سمات واضطرابات الشخصية تغيرت في العقود الأخيره وعامة سنحاول أن نركز علي اضطرابات الشخصية الإحدي عشر (١١) والتى ذكرتها النشرة الطبية النفسية DSM. III. R والتى تكررت تكررت بصفاتها تقريباً في النشرة DSM IV

اضطرابات الشخصية فى DSM II R

تجمع هذه الاضطرابات الـ١١ فى ثلاث تجمعات عامة) هى :

المجموعة الأولى: يطلق عليها الشخصية الشاذه أو غريبة الأطوار وتتضمن اضطرابات الشخصية البارنويدية، شبه الفصامية، الفصامية الطابع .

المجموعة الثانية: ويطلق عليها الشخصية العاطفية أو المسرحية وتتضمن الشخصية المضادة للمجتمع والشخصية الحدية النرجسيه والهستيريه .

المجموعة الثالثة: ويطلق عليها الشخصية الخائفه القلقه وتتضمن الشخصية المتشائمه والاعتمادية والوسواسيه القهرية .

ويرى لازار Lozare أن التقسيمات الثلاث السابقة هي تقسيمات حدسيه تصوريه ولايوجد وراءها أساس امبريقى أو تجريبي .

المجموعة الرابعة: تغطى اضطرابات الشخصيه التى لاتتفق مع أى من المحكات الخاصة بـ ١١ فئة ولكنها تعكس خللاً فى التوافق المهنى أو الاجتماعى ... إلخ .

وهناك قدر من التداخل بين اضطرابات الشخصية خاصة بين الشخصية الحدية وكل من الهستريه وفصامية الطابع والنرجسيه: - وقد أوضحت الدراسات الوبائيه أن معدل انتشار اضطرابات الشخصية بين مختلف الأعمار يتراوح مابين ٦٪ إلى ٩٫٨٪ ومعدل انتشار اضطرابات الشخصية المضاده للمجتمع يكاد يكون ثابتاً في كل المجتمعات عند معدل ٣٪ كما أن نسبه الاضطرابات المزاجيه بين مضطربى الشخصية تتراوح مابين ٢٥٪-٦٠٪.

والشخصية الفصامية تمثل عامة شكلاً حقيقياً من أشكال الفصام واضطراب الشخصية النرجسية قد يؤدى إلى خبرات حياتيه تثير الاكتئاب والذى بدوره يؤدى إلى المبالغة فى النرجسيه كما سجلت دراسات كثيرة تداخلاً بين الشخصية المضاده للمجتمع وبين الاكتئاب والتعاطى، ونعرض فيما يلى لأهم اضطرابات الشخصية .

تجمع الأعراض الشاذه أو غريبة الأطوار :

هناك اضطرابات ثلاث للتجمع الشاذ ارتبطت تاريخياً وظاهرياً مع الفصام كما أن كل من الاضطراب الفصامى والنمط الفصامى يتميز بالشك والميل لجنون العظمة ومشاعر الاضطهاد أى يتميز بأعراض بارانويديه ويتجمع تحت هذا التجمع .

١ - اضطرابات الشخصية البارانويديه :

يعتبر المظهر البارانويدى من أكثر الاضطرابات انتشاراً في الشخصية غريبة الأطوار وقد ساهم شايبر فى تحديد هذه الأعراض وكذلك كولباى سنة ١٩٧٧ Colbay الذى قدم أربع وجهات نظر لتفسير اليه البارانويا كما قدم الزمان وبولارد اجراءات علاجيه لعلاج مثل هؤلاء المرضى .

٢ - الشخصية شبه فصاميه Schizoid:

أول من استخدم هذا المصطلح هو بلويلر Bleulerأشار به أولاً إلى المرضى الذين هم يتم تشخيصهم عى أنهم فصامين أولهم نمط فصامى أو متجانسين وينظر إليهم السيكودناميين على أنهم يمثلون الشخصية الحديه أ. كما أشارت نشرة DSM. III. R.

٣ - الشخصية فصامية الطابع :

تشخيص هذه الشخصية علي دراسات رادو Rado ١٩٦٢ في وصف الأفراد الذين لديهم استعداداً جينياً للفصامية لكنهم ليسوا فصامين وقد استفاد العاملون فى DSM فى وضع محكات فاصله بين الشخصية شبه الفصامية والفصامى من دراسات رادو وبين الشخصية شبه الفصاميه. وبين الشخصية الحدية التى تتميز بعدم الاستقرار .

مجموعة الاضطرابات الوجدانية والشاذة :

١ - اضطرابات الشخصية المضاده للمجتمع :

يشار له عادة علي أنه سيكوباتى أو سوسيوباتى، وكان يظن أنه يرتبط بمرض عقلي في القرن ١٨، واعراض هذا الاضطراب معروفة ومتفق عليه وأكثر ثباتاً، وهناك دلائل واضحة علي جو أثار جينية وراء هذا الاضطراب .

٢ - اضطراب الشخصية الحديه :

من سنة ١٩٦٠ وهناك كتابات، كثيره حول الشخصية الحديه. وأحياناً تضمنت شبه الفصاميه والمتماشيه الهستيريه ويستخدم الديناميون اصطلاح الحديه للإشاره إلى مجموعة الميكانيزمات النفسية المميزه لمرض معين ولم تزل فى حاجة إلي مزيد من الدراسات .

٣ - اضطرابات الشخصية الهستيرية:

لها مظاهر سلوكيه متماثله مع الشخصيه المسرحية وإن كانت خطورتها أقل وهناك بالطبع تداخل بين أعراضها وإعراض الشخصية الحدية النرجسية .

٤ - الشخصية النرجسيه :

أشار إليها فرويد فى كتاباته نسبة إلى نرجسى اليونانى الذى أعجب بجماله حتى أنه ظل ينظر إلى صورته فى الماء ثم سقط وراءها وتوفي - نعنى التمركز حول الذات والاعجاب الزائدة بها، وقد اسهم ميلون صاحب التوجه النفسى التحليلى كثيراً فى نقد أراء فرويد حول النرجسيه وفى وضع محكات واضحة للشخصية النرجسيه وكان أقرب للمحكات التى وضعها نشرة DSM III-R .

مجموعة اضطرابات الخوف والقلق تتضمن :

١ - الشخصية المتحاشية :

ويتميز بحساسيه زائدة مواقف الرفض والإحراج بعكس الاضطراب شبه الفصامي الذى يكون الشخص ملتحماً إجتماعياً وتنقصه الحاسة الاجتماعية والرغبة في العلاقات الاجتماعية .

٢ - الشخصية الاعتمادية :

وهى شخصية تهرب من المسئولية ويعتمد على الآخر لاتستطيع المبادأة ومتردده من الصعب أن تتخذ قراراً بدرجة تعوق الشخص عن تحقيق أهدافه .

٣ - الشخصية الوسواسيه أو القهرية :

أعراضها معروفة ومتفق عليها منذ فرويد سنة ١٩٠٨ تتسم بالمحافظة المتطرفه على النظام وصرامة الأنا الأعلى والتصلب وقد تجمعت كل هذه الصفات، فى دراسات عاملية - تحت أسم - شخصية وسواسيه .

٤ - الشخصية العدوانية السلبية :

أقل الاضطرابات، وضوحاً، أكثرها إثارة للجدل، يرجع هذا إلى أن الاضطراب يعتمد على ميكانيزمات محدده ومنفرده فى علاقات الشخص .

تعليق سريع :

من مراجعة الاضطرابات الـ١١ السابق ذكرها للشخصية نجد أنه من الممكن تصنيفها في ثلاث فئات أخرى طبقاً لقاعدة المعلومات المتاحة والفائدة الاكلينيكية :

أ - توجد ثلاث اضطرابات تقوم على تقليد تاريخى طويل هى: البارانويدى - المضاد للمجتمع - الوسواسى القهرى .

ب - توجد خمسة اضطرابات مفيده كلينيكيا - لكنها تسبب خلطاً كبيراً بسبب تداخل الأسماء، والمفاهيم ومحكات التعريف خلال تاريخ كل منها وهى: الحدية النرجسيه - المتماشيه - الهستيريه - المعتمده .

جـ - توجد ثلاث اضطرابات تمثل قيمة اشكالية. العدوانى السلبى الذى ربما يكون أقرب إلى السمة شبه الفصاميه والنمط الفصامى.

السوكيه واضطرابات الشخصيه :

خضعت اضطرابات الشخصية لدراسات سيكوديناميه عديده ولكنها تنظر - لهذه الاضطرابات نظره شامله ديناميه قد تداخلت فيها الأعراض بشكل زادها غموضاً واعتمدت على التفسير الفرويدى وميكانيزمات ودفاع الأنا كالإعلاء والعقد والتقمص والتعيين الذاتى... إلخ كما خضعت لدراسات بيولوجيه تعتمد على بعض الناقلات العصبية والترشيح العصبى والجينات مثل دراسات سنة ١٩٨١ (Kendleretal throogh tazar 19) .

غير أن السلوكيين لم يهتموا بدراسة اضطرابات الشخصية إلا قريباً جداً خاصة وأنهم يعتبرون أن بناء الشخصية ليس له فائده كبير وأخيراً اهتموا بدراسة الشخصيه بشكل علمى ومقنن وانتهوا إلى تفسيرات علميه ممتازه عن الشخصيه. أيزنك كاتل - وجيلفورد - كذلك قوبله وياندورا...؟

المحكات التشخيصية لاضطرابات الشخصية :

فيما يلى نعرض بعجاله للمحكات أو الأعراض المميزه لاضطرابات الشخصيه كما عرضت فى DSM III. R سنة ١٩٨٧. وهى لاتختلف كثيراً عما عرضته الشره التاليه لها DSM IV.

١ - أعراض الشخصية البارانويديه :

ميل عام إلى التهور وعدم الحذر يبدأ بوضوح فى مرحلة البلوغ ويظهر فى مواقف بينيه متنوعه - كما ينعكس فى تفسير تصرفات الأفراد

العادين على أنها أفعالاً مهدده. ويمكن تحديد هذه الأعراض فى العناصر الآتية :

١ - توقعات بدون أساس كافى بالاستغلال والأذى بواسطة الآخرين .

٢ - أسئلة بدون مبرر عن الإخلاص أو القدره على الاعتماد بالنسبة للأصدقاء أو الزملاء .

٣ - فهم العلاقات أو الأحداث المعتدله على أنها تصرفات متخفيه أو معانى بالتوعدات مثال ذلك: الشكوك فى أن الجار يضع القمامه مبكراً كى يضايق .

٤ - حمل الضغائن أو عدم التسامح لأى إهانه أو أشياء تافهه .

٥ - يقاوم الشقه الآخرين بسبب الخوف الذى لامبرر له من أن المعلومات ستستخدم ضده أو ضدها .

٦ - يتفاعل مع الغضب أو الهجوم المعاكس بسرعة وبسهولة بالغة .

٧ - أسئله لامبرر لها عن اخلاص (الزوج أو الزوجة) أو الشريك الجنسى .

- أن حدوث ذلك ليس مقصوراً خلال دوره الفصام أو سيطرة الضلالات المحك التشخيص الاضطراب .

الشخصية شبه الفصاميه :

أ - هو النمط السائد للمبالاء في العلاقات الاجتماعية والمعدل المحدود في التعبير والخبره العاطفيه ويبدأ هذا النمط فى بداية مرحلة البلوغ ويظهر فى محيطات بيئيه متنوعه وكمؤشر فعلى لذلك النمط يوجد ٤ من النقاط التاليه :

١ - ليس هناك رغبات أو استمتاع بالعلاقات القريبه ويتضمن ذلك كونه جزء من الأسرة .

٢ - على وجه التقريب فإنه دائماً يختار نشاطات منعزلة .

٣ - نادراً ماتظهر أو يدعى خبره عاطفيه قويه مثل الغضب أو الفرح الشديد.

٤ - مؤشرات قليله إلى وجود أى رغبة فى خبرات جنسيه مع شخص آخر .

٥ - لامبلاه بالاطراء والنقد في الآخرين .

٦ - لايمتلك أصدقاء مقربين أو أشخاص يوثق بهم (أو واحد فقط) غير الأقارب من الدرجة الأولى .

٧ - إظهار محدود للعاطفه مثال أنه: منعزل، بارد، نادراً مايتبادل الإيحاءات أو التعبيرات الوجهيه مثل الابتسامات أو الإيماءات .

ب - ظهور ذلك ليس مقصوراً خلال دوره الفصام أو سيطره الضلالات .

المحك التشخيصي لاضطرابات الشخصية الفصاميه الطابع :

أ - هو النمط السائد للعجز فى العلاقات الشخصيه بالأقرباء التخيلات الغريبه والمظهر والسلوك ويبدأ ذلك فى بداية مرحلة البلوغ ويظهر ذلك النمط في محيطات بيئيه متنوعه وكمؤشر على الأقل ينعكس فى النقاط التاليه : -

١ - أفكار مرجعيه (.....)

٢ - قلق اجتماعى مفرط مثل الانزعاج الشديد فى المواقف الاجتماعيه التى تتضمن أناساً غرباء .

٣ - اعتقادات شاذه أو تفكير خيالى وسلوك مؤثر غير متسق مع المعايير الثقافية مثل: الإيمان بالخرافات والاعتقاد فى الاستبصار أو (حده الأدراك) في التخاطر أو الحاسة السادسة «الآخرون يستطيعون الاحساس بشاعرى. (في الأطفال والمراهقين: - الخيال الشاذ والانشغال الكامل)

٤ - خبرات ادراكيه حسيه غير عاديه مثل التوهم، الاحساس بوجود قوة أو شخص غير واقعي مثل: «أنا أشعر كأن أمي المتوفيه كانت في الحجره معي.

٥ - سلوك أو مظهر شاذ وغريب الأطوار مثل «أشعث - طريقه مميزه في الكلام والسلوك غير عاديه، التكلم مع النفس» .

٦ - لايوجد أصدقاء مقربون أو جديرون بالثقه (أو واحد فقط) غير الأقرباء من الدرجة الأولى .

٧ - كلام شاذ (بدون تفكك في الربط أو تشوش) مثل الحديث عن ان هناك من يسلبه القوه، والغموض «تجريد غير ملائم .

٨ - تأثير محدود أو غير ملائم مثل (أبله، منعزل، نادرا مايتناول الإيماءات أو التعبيرات الوجهيه مثل الابتسامات أو الإيماءات .

٩ - أفكار تتسم بالشك أو البارانويديه .

ب - حدوث ذلك ليس مقصوراً خلال دورة الفصام أو سيطرة الضلالات .

المحك التشخيصي لاضطراب الشخصيه المضاده للمجتمع :

أ - العمر السائد على الأقل ١٨ عام .

ب - علامة اضطراب السلوك تبدأ قبل سن ١٥ وكمؤشر لذلك وجود تاريخ مرضي لثلاثة أو أكثر من النقاط التاليه :

١ - يكون غالباً مهمل لواجبه .

٢ - نهرب من المنزل طوال الليل على الأقل مرتين وذلك أثناء معيشته في بيت والديه أو بيت والديه بالتبني (أو يهرب مره واحده بلا عوده) .

٣ - عاده مايبتدأ المعارك بالبدنية .

٤ - يستخدم سلاح في أكثر من معركة واحده .

٥ - يجبر شخصاً ما على النشاط الجنس معه أو معها .

٦ - يقسو علي الحيوانات بدنياً .

٧ - يقسو على الناس الآخرين بدنياً .

٨ - يدمر وملكيات الآخرين بتعمد .

٩ - يتورط بتعمد فى إحداث الحرائق .

١٠- غالباً مايضاجع الجنس الآخر (إلا أنه يتجنب الإيذاء الجسدى أو الجنسى).

١١- يسرق بدون مواجهة الضحيه في أكثر من مناسبة يتضمن ذلك التزوير .

١٢- يسرق بمواجهة الضحية مثال (المهاجمة بقصد السلب، سلب (انتزاع) المال، والابتزاز، والسرق المسلحة) .

جـ - نمط السلوك اللامسئول والمضاد للمجتمع يظهر منذ سن ١٥ وكمؤشر لذلك النمط وجود ٤ على الأقل من النقاط التاليه :

١ - يكون الشخص عاجزاً عن أن يبقى على سلوك متسق فى عمله وكمؤشر لذلك وجود أى من النقاط التالية «ويتضمن ذلك السلوك المشابه فى المحيط الأكاديمى إذا كان الشخص طالباً» .

أ - بطاله تامه لمدة ٦ أشهر أو أكثر خلال خمس سنوات عندما يكون من المتوقع أن يعمل يكون العمل متوفراً .

ب - تكرار التغيب من العمل بدون عذر مرض للشخص نفسه أو أحد من الأسره .

جـ - ترك عده وظائف بدون تخطيط واقعى لوظائف أخرى .

٢ - يخفق فى أن يتكيف مع المعايير الاجتماعيه وفى احترام السلوك القانونى وكمؤشر لذلك: القيام بالأفعال المضاده للمجتمع تكرار والتى تجعله معرض للقبض (سواء قبض عليه أم لا) مثال ذلك تحطيم ملكيات الآخرين، ازعاج الآخرين باستمرار، السرق، السعى إلى الأعمال الغير قانونيه .

٣ - يكون الشخص سريع الغضب وعدوانى ويدل علي ذلك تكرار المشاجرات البدنيه أو الاعتداءات (لايطلب فى وظيفة أو لكى يحمى شخصاً ما أو نفساً ما) ويتضمن ذلك ضرب الزوجه (أو الزوج) أو ضرب الطفل.

٤ - يفشل بصورة متكرره فى احترام الالتزامات الماليه ويدل على ذلك تخلفه فى سداد الديون أو فشله فى إعانة الأطفال أو مساعده الآخرين ممن يعتمدون عليه كمبدأ أساسى منتظم .

أ - السفر من مكان لآخر بدون ترتيب سابق الوظيفة أو هدف واضح لفترة السفر أو فكره واضحة عن حين انتهاء مدة السفر .

ب - عدم وجود عنوان ثابت لمدة ستة أشهر أو أكثر .

٦ - لايحترم الحقيقة ويدل على ذلك الكذب بصورة متكرره واستخدامه لاسم مستعار أو «توجيه» الآخرين إلى فائدة شخصية له أو أليماً يمتعه شخصياً .

٧ - لاينظر بعين الاعتبار إلى ملكيه (هوا وهى) أو فيما يتعلق بأمن الآخرين ويدل على ذلك القيادة وهو ثمل أو رجوعه بالسياره بسرعة .

٨ - إذا كات هذا الشخص والد أو وصى فإنه تنقصه القدرة الوظيفية للقيام بمسئوليات الوالد ويدل على ذلك وجود واحد أو أكثر من النقاط التاليه.

أ - سوء تغذيه الطفل .

ب - ينتج مرض الطفل من نقص الحد الأدنى من النظافه الصحيه .

جـ - الفشل في إحراز العنايه الطبيه لمرض الطفل الخطير .

د - اعتماد الطفل على الجيران أو الأقارب غير المقيمين معهم فى الطعام أو الحمايه .

و - الفشل فى رعاية الطفل الصغير عندما يكون والد الطفل خارج المنزل.

هـ - تكرار تبذير الأموال الخاصة بضروريات الأسره على الموضوعات الشخصيه .

٩ - لايبقى على الإطلاق فى علاقة الزواج الأحادى لمدة أكثر من عام واحد .

١٠- يفتقر إلى الشعور بالندم (المشاعر تتوافق مع الإيذاء)، سوء المعامله أو السرقه من الآخر) .

١١ -لايقتصر ظهور السلوك المضاد للمجتمع خلال دورة الفصام أو عرض الضلالات .

المحك التشخيصى لإضطراب الشخصيه الحديه :

- أن النمط السائد لعدم استقرار المزاج، والعلاقات الشخصية وصوره الذات يبدأ فى بداية مرحلة البلوغ وتظهر في مواقف متنوعه وكمؤشر لذلك وجود على الأقل النقاط التاليه :

١ - نمط العلاقات الشخصية غير المستقرة والانفعاليه يوصف بالتناوب بين الحد الأقصى للمثاليه وبين انخفاضها .

٢ - الاندفاع في مجالين على لأقل من المجالات التى يتمثل فيها إيذاء النفس مثال ذلك: تبديد الأموال، والجنس، واستعمال الماده، سرقة المعروضات القيادة الطائشه، (ولايتضمن ذلك السلوك الانتحارى أو تشويه النفس وتغطى تلك النقطة فى رقم ٥)

٣ - عدم الاستقرار العاطفي يلاحظ ذلك بالتغير فى الخط الأساسى للمزاج في الاكتئاب، حدة الطبع أو القلق عادة يدوم ذلك لعدد من الساعات نادراً مايدوم ذلك لعدد قليل من الساعات ونادراً مايدوم ذلك أكثر من قله من الأيام .

٤ - الغضب الشديد أو عدم القدره على التحكم فى الغضب بطريقه غير ملائمه مثال ذلك: الإيذاء المتكرر للأفعال، الغضب المستمر، تكرر المشاجرات البدنيه .

٥ - تكرار التهديدات الانتحارية أو الإيماءات بذلك أو السلوك الانتحاريه أو سلوك تشويه النفس .

٦ - يظهر اضطراب متماثل منفصل واضح عن الشك فى اثنين علي الأقل من النقاط التاليه: فى تصور الذاتى التكيف الجنسى، وذات المدى الطويل، اختيار مجال المهنه، أنواع الأصدقاء المرغوبين، القيم المفضله .

٧ - الاحساسات المزمنه بالفراغ أو السأم .

٨ - الجهود شديده الاحتياج لكى يتجنب الاستسلام الواقعى أو التخيلى (ولا يتضمن ذلك السلوك الانتحارى أو تشويه النفس الذى تضمنه رقم٥).

المحك التشخيصى لاضطراب الشخصيه الهستيريه :

- هو نمط سائد للعاطفه المفرطه والسعى لجذب الانتباه ويبدأ في بدايه مرحلة البلوغ وتظهر في مواقف متنوعه وكمؤشر لذلك يوجد ٤ نقاط على الأقل من التالي :

١ - يسعى باستمرار أو يطلب إعادة الطمأنه والاستحسان أو الاطراء

٢ - يكون نرجسياً بطريق غير ملائمه فى المظهر أو السلوك .

٣ - يهتم بطريق واضحه بالجاذبية الجسميه .

٤ - تكون له تعبيرات انفعاليه بطريقة غير ملائمه ومبالغ فيها مثال ذلك: معانقة الأشخاص الذين يعرفهم معرفة شخصيه عارضه بحماسة زائده البكاء بتشنج فى مناسبات وجدانيه ثانويه، تملكه نوبات غضب انفعاليه.

٥ - لايكون مستريح فى المواقف التى لايكون هو وهى مركز الانتباه فيها .

٦ - يبدى التغيرات الانفعاليه سريعاً أو التعبيرات الانفعالية السطحيه.

٧ - يكون متمركز حول ذاته الأفعال تكون مباشره تجاه الحصول العاجل على الاشباع، وليس لديه قدرة على احتمال الاحباط الناتج عن تأجيل الإشباع .

٨ - له أسلوب انطباعى بدرجة مفرطة فى الكلام ويفتقر إلى التفصيل ومثال ذلك أنه عندما يسأل ليصف أمر لايستطيع أن يكون محدداً أكثرمن أن يقول «إنها كانت امرأه جميله» .

المحك التشخيصى لاضطراب الشخصيه النرجسيه :

- هو النمط السائد لتكلف العظمة (فى الخيال أو السلوك)، فى التقمص العاطفى وفرط الحساسيه من تقييم الآخرين ويبدأ فى بداية مرحلة البلوغ يظهر فى مواقف بينيه متنوعه وكمؤشر لذلك النمط يوجد ٥ على الأقل من النقاط التالية :

١ - يتفاعل مع النقد بشاعر من الغضب الشديد، الخجل الخزى (حتى ولو كان النقد لايرمز لشئ) .

٢ - استكشافى علاقاته الشخصية: يأخذ المصلحة لكى يحقق بها غايته هو أو هى .

٣ - لديه شعور بالعظمه لأهميته الذاتيه مثال ذلك أنه يبالغ في انجازاته ومواهبه ويتوقع أن يلاحظ الآخرون كفرد متميز بدون انجاز ملائمه .

٤ - يعتقد أن مشاكله هو أو هى متفرده ويمكن أن تفهم فقط لدى الناس المتميزين .

٥ - باله مشغول بالخيالات الجامعه، والنجاح بلا حدود، القسوة، التألق الجمال أو الحب المثالى .

٦ - لديه شعور بأنه مؤهل لـ توقعات غير منطقيه لمعامله خاصة اطرائيه مثال ذلك أن يفترض أن هو أو هى لايجب أن ينتظر فى مسار ما عندما يلزم على الآخرين ذلك .

٧ - يتطلب أن يكون موضع للانتباه المتواصل والاعجاب مثال ذلك أن يظل يلتمس الاطراء .

٨ - نقص في التقمص العاطفي: غير قادر على أن يتعرف أو يكتشف كيف يشعر الآخرون مثال ذلك أن ينزعج ويندهش عندما يقوم صديق مريض جداً بالغاء ميعاد بينهم .

٩ - يكون مشغول البال بمشاعر الحسد .

المحك التشخيصي لاضطراب الشخصية المتحاشية :

- هو النمط السائد لعدم الارتياح الاجتماعى: الخوف من التقييم السلبى الجبن ويبدأ هذا النمط بداية مرحلة البلوغ يظهر فى محيطات بيئية وكمؤشر لذلك يوجد ٤ على الأقل من النقاط الآتية :

١ - أن من السهل له أن يشعر بالأذى من النقد أو الاستنكار .

٢ - ليس له أصدقاء مقربون أو جديرون بالثقة (أو واحد فقط) غير الأقرب من الدرجة الأولى .

٣ - يكره أن يستغرق مع الناس إذا لم يكن من المؤكد أنه محبوباً .

٤ - يتجنب النشاطات أو المشغوليات الاجتماعية التى ترتبط بالعلاقات الشخصية الدالة مثال أن يرفض الترقية التى تزيد من المطالب الاجتماعية .

٥ - يكون قليل الكلام في المواقف الاجتماعية بسبب الخوف من قول شئ غير مناسب أحمق أو من أن يكون غير قادر على إجابة سؤال .

٦ - يخشى أن يتحرج بسبب احمرار الوجه خجلاً أو البكاء أو ظهور علامات قلق أمام الآخرين من الناس .

٧ - يبالغ فى الصعوبات المحتملة، الاخطار البدنية أو المخاطرة التى يتضمنها عمل شئ عادى ولكنه خارج عن روتينه (هو أو هى) المعتاد مثال ذلك أنه قد يلغى خططه الاجتماعية لأنها تكون سياقة في كونها منهكة بالجهد الذى تبذله للوصول هناك .

المحك التشخيصى لاضطراب الشخصية الاعتمادية :

هو النمط السائد للسلوك الاعتمادى الخاضع يبدأ فى بداية مرحلة البلوغ ويظهر فى مواقف بيئية متنوعة كمؤشر لذلك النمط يوجد ٥ على الأقل من النقاط التالية :

١ - غير قادرأن يتخذ القرارات اليومية بدون كم منقد من النصيحة إعادة توكيد من الآخرين .

٢ - يسمح للآخرين أن يتخذوا معظم القرارات الهامة له أولها مثال ذلك أين يعيش، أى وظيفة يقبلها .

٣ - لاتفاق مع الناس حتى عندما يكن هو أو هى يعتقد أنهم على خطأ بسبب الخوف من كونه منبوذ

٤ - يجد صعوبة في بدء المشروعات أو عمل الأشياء الخاصة به هو أو هى .

٥ - يتطوع لعمل أشياء غير سارة أو عديمة المعى بالنسبه له لكن يحصل علي حب الناس الآخرين هو أو هى .

٦ - يشعر بعدم الراحة لاعون له عندما يكون وحيداً ويذهب إلى مسافات كبيرة لكى يتجنب أن يكون وحيداً .

٧ - يشعر بالدمار أو العجز عما تنتهى علاقات الصداقة القريبة .

٨ - يكون مشغول ابال بالخوف بطريقة متكررة أن يكون مهجور من الآخرين.

٩ - من السهولة أن يشعر بالأذى من النقد أو الاستنكار .

المحك التشخيصى لاضطراب الشخصية الوسواسية القهرية :

هو النمط السائد للصفات الكمالية والتصلب (أو عدم المرونه) ويبدأ في بداية مرحلة البلوغ ويظهر فى مواقف بيئية متنوعة كمؤشر لذلك النمط توجد ٥ علي الأقل من النقاط التالية :

١ - الكمالية التى تتعارض مع اتمام الراجب مثال ذلك عدم القدرة علي اكمال مشروع بسبب معاييره المفرطة الصرامة والتى تكن غير ملائمة.

٢ - يشغل باله بالتفاصيل، العادات، القوائم، النظام، التنظيم أو جدارل الأعمال للمدى الذى يفقد معه معظم الهدف من أنشطته .

٣ - اصرار غير منطقى على أن يسلم الآخرون تماماً على طريقة فعله للأشياء هو أو هى أو معارضه غير منطقيه للسماح للآخرين بفعل الأشياء بسبب اقتناعه أنهم لن يفعلوها بطريقه صحيحه .

٤ - حب شديد للعمل الانتاجيه لدرجة منع أنشطة وقت الفراغ وعلاقات الصداقة (لايفسر ذلك من أجل الضروره الاقتصادية الواضحة) .

٥ - متردد: يتجنب أيضاً صنع القرار ويؤخره أو يؤجله ومثال ذلك أن الشخص لايستطيع أن يقوم بمهمة محدده فى وقتها بسبب التأمل في الأولويات (لايتضمن ذلك إذا كان التردد يرجع إلى الحاجة الشديده للنصيحة أو إعادة الطمأنة من الآخرين .

٦ - ضميرة صارم، كثير الشكوك وغير مرن بالنسبه للموضوعات الأخلاقيه والأخلاق أو القيم (ولايفسر ذلك بسبب تحقيق الذاتية الثقافيه أو الدينية) .

٧ - يفيد التعبيرات العاطفيه .

٨ - يفتقر إلي السخاء في إعطاء الوقت، النقود أو الهدايا عندما لايتحقق مكسب شخصى كان من المحتل أن يتحقق .

٩ - عدم القدرة على طرح الموضوعات المبتذله أو عديمة القيمه حتى عندما تكون ليس لها قيمه وجدانيه .

المحك التشخيصى لاضطراب الشخصيه العدوانيه السلبيه :

هو نمط السائد للمقاومة السلبية لمطالب الأداء الاجتماعى الكافى أو المهنى الكافي ويبدأ فى بداية مرحلة البلوغ ويظهر فى مواقف بيئيه متنوعه وكمؤشر لذلك النمط يوجده على الأقل من النقاط التالية :

١ - يماطل مثل تأجيل الأشياء التى يحتاج إلى عملها لكى تنتهى أو حتى تصل إلى خط الموت وهذا غير ملائم .

٢ - يصبح متجهم الوجه وسريع الغضب أو مجادل عندما يطلب منه أحد عمل شئ لايرغب هو أو هى حقيقه فى عمله .

٣ - يبدو أنه يعمل ببطء متعمد أو يبدو أن يقوم بعمل شئ فى القيام بواجباته التى لايرغب هو أو هى حقيقة فى القيام بها .

٤ - يحتج بدون مبرر على أن الآخرين يتطلبون هو أو هى مطالب غير منطقيه.

٥ - يتجنب الالتزامات مدعياً أنه «ينسى» .

٦ - يعتقد أنه هو أو هى يقوم بعمل وظيفه أفضل بكثير مما يعتقد الآخرين أنه يقوم به .

٧ - يستاء من الاقتراحات المفيده من الآخرين حول كيفيه استطاعته هو أو هى أن يكون أكثر انتاجيه .

٨ - يعوق جهود الآخرين عن طريق اخفاقه هو أو هى فى عمل الجزء المشارك فيه فى العمل .

٩ - ينتقد بطريقه غير منطقيه أو يحتقر الناس الذين هم فى موضع ثقه .

الإيقاع الشخصي

الوجهة الاداتية والوجهة التعبيرية للسلوك :

أى إستجابة تصدر عن الكائن الحى تحمل فى ثناياها متغيرات عديدة متفاعلة يمكن تقسيمها الى قسمين : القسم الأول : ويرتبط بخصائص تلك الإستجابة من حيث أنها تهدف الى حل مشكلة . والقسم الثانى : يرتبط بخصائص نفس الإستجابة من حيث أنها تعبر عن بناء شخصية صاحبها .

بالنسبة للقسم الأول نجد أنه يتغير بتغير المشكلة المرغوب حلها ، أو الهدف المطلوب الحصول عليه – وهذه الأهداف أو المشكلات غالباً ما توجد خارج الكائن الحى ، كما أنها متعددة ومتباينه الى حد كبير . ولو تصورنا إنساناً تصدر عنه عدة إستجابات فى فترة زمنية قصيرة ولتكن ساعة من الزمن – سنجده مثلاً يريد أن يتكلم مع آخر وقد تخرج منه مئات الإستجابات اللفظية ربما كل إستجابة منها تهدف الى التعبير وحل مشكلة معينة ، وبالتالى تختلف تلك الإستجابات من حيث تعبيرها عن هذه المشاكل – بإختلاف وتباين هذه المشكلات . كما قد تصدر عن نفس الفرد إستجابات حركية عديدة كل إستجابه منها تهدف الى حل مشكلة تختلف عن المشاكل الآخرى التى تهدف بقية هذه الإستجابات الى حلها . وهكذا فى حالة الإستجابات الإدراكية والوجدانية .... إلخ .

أى أنه فى مجرد ساعة واحدة من الزمن يتضح لنا إلى أى مدى تتغير المشاكل التى يواجهها الإنسان ويريد أن يتعامل معها – وبالطبع يزداد هذا الإختلاف ويتعقدج مع زيادة الفترة الزمنية التى نلاحظ فيها الإنسان ، ومع سرعة تغير المشكلات بل تغير نفس المشكلة من مكان الى أخر ومن وقت الى آخر . نجد أن خصائص الإستجابة الخاصة بحل هذه المشكلات – أى خصائص القسم الأول – تتغير فى خط متوازى مع تغير وتعدد هذه المشكلات ومن هنا نجد أن هذا القسم من خصائص الإستجابة سريع التغير والتعديل بطبيعته وطبيعة المشكلات التى يهدف الى حلها .

وقد إتفق على تسمية هذه الوجهة من الإستجابة – أى خصائص الإستجابة من

حيث أنها تهدف الى حل مشكلة معينة – إتفق على تسميتها بالوجهة الآدائية للإستجابة من حيث أننا نظر الى الإستجابة كآداة لحل مشكلة .

ولما كانت هذه الوجهة ترتبط أساساً بالمشكلة المطلوب حلها ، فإنها تحدد لا بمجرد شخصية صاحبها وإنما تتشكل أساساً بطبيعة المشكلة الخارجية والقدرات المتوافرة لدى الإنسان والخاصة بالتعامل مع هذه المشكلة وحلها . أى أن هذه الوجهة الآدائية تتأثر أساساً بالمشكلات كمثيرات خارجية للسلوك وبخصائص تلك المشكلات أو المثيرات – اكثر من تأثرها بشخصية صاحبها ، كما أنها أكثر تغيراً وأقل ثباتاً وفى نفس للوقت فإنها أكثر خضوعاً للوعى وللإرادة . ومن هنا تشبعها بقدرات الإنسان .

بينما القسم الثانى من خصائص الإستجابة – نجد أن إرتباطه بخصائص المثير الخارجى أقل من إرتباطه بشخصية صاحب الإستجابة – حيث أنه يتشكل بهذه الشخصية أكثر من تشكله بالمثير الخارجى أو المشكلة المرغوب حلها . وعلى ذلك يكون أكثر ثباتاً نتيجة لعدم تأثره بالمشكلات بالقدر الذى يتأثر به بالشخصية فهو إذن أقل قابلية للغش والتزييف وأكثر تعبيراً عن بناء وطبيعة الشخصية – ومن هنا يسمى بالوجهة التعبيرية للسلوك .

ومن أمثلة الوجهة التعبيرية للسلوك – إننا نجد فرداً معيناً – مهما تعدد مواقف إستجاباته اللفظية وتغيرات – إلا أن له " نبره " صوت معينه – ومعدل سرعه معين لكلامه – ومهما تعددت إستجاباته الحركية إلا أننا نلمس فيها سرعه معينه أو بطئاً معيناً ولها شكل معين من التآزر أو عدم التآزر يكون أكثر ثباتاً – حتى أننا نستطيع التعرف على الشخص من مجرد مشيته . كذلك شخص ما يكتب فهو هنا يود أن يعبر عن مشكلات عديدة بالكتابة أو التعبير تحريرياً عنها وبالرغم من تعدد هذه المشكلات – إلا أننا نجد له خطاً معيناً ثابتاً من حيث الشكل – فقد يكون صاعداً او هابطاً – حاداً أو مفرطحاً – به تناسق بين الكلمات أو ليس به تناسق . كل هذه الأمثلة أكثر ثباتاً – تمثل الوجهة التعبيرية للسلوك ، والإيقاع الشخصى يمثل أهم عناصر الوجهة التعبيرية للسلوك وأكثر عمومية .

مكونات الايقاع الشخصي :

يتمثل الإيقاع الشخصي في معدل سرعة أداءات الفرد التلقائية - أو ما يسمى بوحدات الحركة والسكون في الاستجابة - فالكلام مثلاً يتكون من وحدات حركة تتخللها وحدات سكون - وكذلك الاستجابات الحركية (الشيخ ١٩٧١) .

فأنا حينما أمشى أرفع أحد القدمين وهذا الرفع يمثل حركة ثم أضعه على الأرض ليكون السكون ، وأرفع قدمى الثانية وهكذا . والعلاقة بين وحدات الحركة والسكون هذه تمثل إيقاعاً شخصياً . ويمكن أن تدخل الحركات الأخرى المصاحبة للآستجابة الأساسية مثل حركة الذراعين خلال المشى .

مقدمة عن مفهوم وطبيعة الايقاع الشخصي :

يرى هيلسون Helson ان الايقاع ظاهرة عامة فى الكائنات وتتضح فى التغيرات الايقاعية فى النبات والحيوان كالميكانيزمات فكيف تعمل على وضع الكائن فى علاقة مثلى (Optimal) مع التموجات الايقاعية فى الكون ، مثلاً تغيرات شددة الضوء والحرارة ، الرطوبة ، مستوى الاشعاع - وما يحدث من تغيرات فى لون بعض الحيوانات لتتلائم مع الايقاعات الخارجية - وعمليات النوم ليلاً واليقظة نهاراً هى مثال لإيقاعات الجسم عند الانسان .

بينما يرى بول فريس Fraiss . p فى كتابه سيكولوجية الزمن أن هناك ثلاث ايقاعات داخلية فى الانسان لها أهميتها هى :- ايقاعات دقات القلب ، التنفس والنشاط الكهربائى فى المخ ، وهذه الايقاعات العصبية تحدث فى وقت واحد داخل أى كائن حى . وقد وجد بافلوف أن الحمام الذى كان يجرى عليه تجاربه لم يكن يرتبط فى سلوكه بفترات زمنية دورية ومحدده فقط ، بل كان نمطياً فى هذا السلوك بشكل واضح ، حيث كان يتناول غذائه فى أوقات منتظمة وبشكل تلقائى . ومن خبراتنا العادية - كما يذكر فريس نجد أن أى تغير واضح فى ايقاع سلوكنا يحدث درجة مرتفعة من التعب والتوتر - حتى أن الفرد الذى يضطر الى تغير إيقاع عمله ، قد يضطر بالتالى الى التخلى عن عمله بعد فترة وجيزة - قد لاحظ الأطباء وعلماء الاجتماع الصعوبة التى تواجه عدداً من العمال يغيرون ايقاع

عملهم من الليل الى النهار أو العكس مثلاً .

هذه المواقف تؤدى الى اتساق أداءات الفرد - خاصة الراشد - ومن هنا نجد كما يرى ستاجنر - أن عدداً من الدراسات اكتشف درجة مرتفعة من الاتساق - والثبات داخل الفرد وأن هذا الاتساق يمثل ايقاع الحركة عند هذا الفرد (Stagner p . 184) ويرى فيرنون Vernon ان التحليل المهنى يوضح لنا امكانية وجود عامل عام للسرعة ، يكون أكثر وضوحاً فى الاختبارات اليدوية التى لا تحتاج الى دقة مرتفعة .

وفيرنون بذلك - يشير الى السرعة المفضلة أو التلقائية والسهلة باعتبارها تشير الى معنى الايقاع - وهذه الحقيقة تتأكد عند كل دارسى الايقاع فاستاجنر مثلاً افترض ان سرعة الحركة ربما تمثل سمة ، بمعنى أن الفرد يميل الى ان يحرك إصبعه وذراعه وساقه .... إلخ ، بنفس الايقاع النسبى ، غير أنه يعود فيقول الا أن هذا ليس أمراً مؤكداً حيث لا توجد تجارب تؤكد ذلك (Stagner p . 160) .

فالايقاع الشخصى اذن حتى ذلك الوقت كان يشير الى السرعة التلقائية اساساً ووحدات الحركة والسكون كما ينعكس فى اتساق سرعات أداءات الانسان - وبالرغم من أن معظم العلماء كانوا يميلون الى سمة أو بعداً عاماً غير أن التجارب التى أجريت فى ذلك الوقت لم تؤكد اعتقادهم هذا مما يجعلهم يتخلون عنهم أو يؤجلونه لحين التحقق منه تجريبياً وهنا يقول جيلفورد - هناك ظاهرة شائعة بأن هناك أفراداً يميلون الى السرعة فى سلوكهم وآخرون يميلون الى البطء - وأن هذه الفكرة توحى بسمات عامة جداً للإيقاع الشخصى .

ولما كان ما سبق لا يقدم لنا توضيحاً كافياً لمفهوم الايقاع الشخصى ، كان لابد من النظر فى امثلة من البحوث السابقة عن هذه السمة محاولين من خلال عرضها إضافة المزيد من محددات هذا المفهوم .

<u>تطور بحوث ودراسات الايقاع الشخصى</u> :

من أهم الدراسات الأولى التى أجريت عن الايقاع الشخصى ، دراسة أجرتها الباحثة الألمانية ف كوهلر F. Kohler سنة ١٩٣٣ وكانت تدور أساساً عن سـ عة أو

إيقاع رد الفعل - أوضحت في هذه الدراسة أن الايقاع يرتبط بعناصر جينية - أي له أساس وراثي بيولوجي يرجع الى الجينات . وقد استخدمت كوهلر أداءات حركية كحركة اليد وحركة القدم وحركة الاصبع عند مستوى معدل السرعة المفضلة وقست تلك الأداءات عند مجموعات من التوائم المتماثلة MZ وغير المتماثلة DZ .

وكانت أهم النتائج أن سرعة التوائم المتماثلة كانت أكثر من التوائم غير المتماثلة وأن التوائم المتماثلة تميل الى البطء عن غير المتماثلة .

وفي سنة ١٩٣٩ قام كارتر Carter بدراسة أوضح فيها وجود اتساق في سرعات تداعي الكلمات . وكان معامل الارتباط - أي العلاقة الاحصائية بين تداعي الكلمات عند التوائم المتماثلة ٥٣ر٠٠ - وعند التوائم غير المتماثلة ٤٤ر٠٠ .

ومن الذين درسوا سرعة الأداء كموشر للإيقاع الشخصي - هاريسون Harrison 1941 وقد أجرى تجربته على ٥٠ طالبا - الا انه لم ينته الى وجود عامل عام للإيقاع الشخصي يمكن اعتباره بعد أساسياً من أبعاد الشخصية ، ومن أهم نتائجه أنه وجد أن الفرد يكون غالبا على معرفة بمعدل سرعة ايقاعه حيث حسب العلاقة بين درجاتهم على مقاييس سرعة الايقاع - وبين تقديرهم الذاتي لمعدل سرعاتهم . فكانت العلاقة + ٥١ر٠ وهي علاقة مرتفعة وموجبة ويؤكد ايزنك - العالم الانجليزي المعاصر - أن دراسة هاريسون أكدت وجود عوامل متعددة للإيقاع الشخصي - وأنه لا يمثل بعداً أو سمة عامة . وقد أعاد هاريسون تجربته السابقة مع باحث آخر وهو دوركوس وانتهيا - كما يذكر ايزنك - الى أن سرعة استجابات الأفراد لم تبين أي خاصة أو سمة واحدة لسرعة الايقاع - وقد أعاد هاريسون مع دوركوس Dorcus هذه التجربة عدة مرات أخرى - ويرى ايزنك أنهما استطاعا أن يثبتا وجود عامل عام لسرعة الاستجابات الحركية فقط - وان هذا العامل يختلف الى حد كبير عن الايقاعات الشخصية الأخرى - وليس له علاقة بـ :

(١) زمن رد الفعل . (٢) الطلاقة . (٣) ولا بالذكاء .

ومن البحوث التي أجريت في الخارج في هذا النطاق بحث أجراه مشيماجيرو M. Jiro باليابان على ايقاع الصم والعميات - الا أنه لم ينته الى وجود عامل عام - بل أوضح وجود عوامل متعددة ، وأن إيقاع الصم يكون أكثر اضطراباً من ايقاع العميات .

أولا الايقاع الشخصي - خصائصة وتعريفه :-

ليس من الطبيعي في كثير من الدراسات أن يبدأ الكاتب بتعريف مصطلحات دراسته قبل أن يعطي فكرة معقولة عن مشكلة الدراسة ، غير أن الأمر هنا جد مختلف . ذلك أن المتغير الأساسي لهذه الدراسة - الايقاع الشخصي - يحمل مفهوماً لم يزل جديداً تماماً على كل التراث السيكولوجي خاصة العربي ، وليس فقط من حيث معاني الألفاظ التي منها يتركب المصطلح بل من حيث محتوى المفهوم وطبيعة المدلول اللغوي لهذا المتغير باعتباره متغيراً سيكولوجياً .

كل هذا فرض علينا أن نبدأ بتقديم تعريف لهذا المصطلح وبعض خصائصه ، مما يضمن لنا وجود حد أدنى من لغة مشتركة ومفهومة بيننا وبين القارئ .

أ- الايقاع والكون :-

حياتنا كلها غارقة في بحر من الايقاع لا ينقطع ، دوران الفلك - توالي الليل والنهار وفصول السنة في شكل منتظم ثابت - مراحل الجنين - مراحل حياة الانسان ... ايقاع ثابت منظم أى خلل فيه يدمر صاحبه ، حتى أرجع فلاسفة اليونان القدماء - مثل فيثاغورس - الكون الى عدد ونغم ، وأكد فنان مشهور هو " ليونارد دافنش " أن كل صور الطبيعة إيقاعية .

(زكريا إبراهيم - بدون تاريخ - ص ٤٩)

بل يمتد الايقاع الى أصغر جزء مثل الذرة ومكوناتها وحركة الالكترونات حول النواة ، والى حياتنا البيولوجية كنبض القلب والتنفس ، كما ينعكس في ايقاعاتنا البيولوجية التي سوف نتناولها تفصيلاً فيما بعد ، وقد أشار القدماء والمحدثين لهذه الايقاعات الكونية وحاول البعض تطبيقها على الحياة الاجتماعية مثل " جبرائيل تارد " - J-Tarde " في بداية هذا القرن وفي كتابه " المحاكاة " والتي طابق فيها بين المحاكاة والايقاع وأوضح كيف أن الطبيعة تحاكي نفسها وان الانسان يحاكي الآخرين .

(أنظر : مصطفى سويف ، ١٩٧٥ ، ص ٢٩)

بل أن الكون لكى يستمر لابد له أن يستقر على ايقاع ثابت . أو يكون به قدر من المحاكاة واذا خرج عن الايقاع يكون الانفجار .

(مجلة العلوم الكويتية ، ١٩٩٥ ، عدد (٨) ، ص ٢٨-٢٩)

وما دمنا غارقين فى ايقاع كونى ، علاوة على ايقاعنا البيولوجى بشكل لا خروج لنا منه إلا بترك الحياة ، فإن هناك (احتمالات بامتداد خاصية الايقاع الى سلوكنا بما ينعكس فى اتساق يغطى كل مظاهر السلوك الصادرة من فرد ما وما يوحى باحتمال التوصل الى عامل عام .

ب- *الايقاع والفن* :

حينما نسمع كلمة الايقاع يتجه ذهن المستمع الى الفنون ، ذلك أن كلمة الايقاع مرتبطة فى أذهاننا جميعاً بالظواهر الفنية سواء حركية كالرقص أو سمعية كالموسيقى والشعر غير أن مفهوم الايقاع فى الشعر والموسيقى أكثر شيوعاً وتحديداً ، وتستمد فروع المعرفة الأخرى مفهومها للإيقاع من خلال الشعر والموسيقى ، ومن هنا أهمية التعرف على مفهومه من مصدره الأساسى نقصد الشعر ثم الموسيقى .

ولقد سبق لكاتب هذه الدراسة ان تناول هذا المصطلح فى الشعر والموسيقى بشكل مفصل ووضع مقياساً كمياً نقيس به سرعة أى ايقاع سمعى خاصة ايقاع الشعر ، وطبق هذا المقياس فعلاً (عبد السلام الشيخ ، ١٩٧١ ، مواضع متفرقة خاصة ص ص ٤٠ - ٤٧ ، ١٥٠-١٥٤) .

وبالتالى فسوف نعرض فقط لما يفيدنا من مفهوم الايقاع فى البحث مع بساطة غير مخلة بالمعنى . ويتفق جميع الذين لهم علاقة بالشعر على أن ايقاع الشعر يرتبط فى العربية بالتفعيلات وفى الانجليزية بالمقاطع وما يرتبط بها مثل الذى يقاس بعدد المقاطع المتدرجة تحته ودرجة التشديد على المقطع ويسمى باللغة الانجليزية Stress .

ومع أن قراءة الشعر بصرياً غير سماعة من صوت يحمل خصائص الموجة الصوتية الشد والسعة والتردد .... إلخ . الا ان ايقاع الشعر يظل مرتبطاً بتوالى حركات

وسكنات المقاطع الصوتية بها بحيث لا تتصور امكانية سماع حركتين فى آن واحد أو ساكنين أو أكثر داخل قصيدة واحدة ، بل لابد من توالى حركات منفردة وراء سكنات منفردة فى شكل تسلسلى ومنظم لتكوين إيقاع الشعر وما يسمى بالتمبو tempo ونفس الايقاع قد نجده فى الموسيقى حينما نسمع آله واحدة تعطينا نغمات من حركة وسكون وتتوالى بشكل أفقى بسيط مكونة التمبو أو سرعة الايقاع (أنظر فؤاد زكريا ١٩٦٨ ص٥٧) .

غير أن فى الموسيقى ما هو أكثر تعقيداً حينما تستخدم آله أو آلات معقدة أو أكثر من آله كما فى الفرقة الموسيقية ، هنا نفاجأ بحركات متعددة تحدث فى آن واحد يليها سكنات متعددة ، ويصبح لدينا مجموعة أو مجموعات من الحركات الصوتية يليها مجموعة أو مجموعات من السكنات ، ومن تواليها فى شكل منتظم يكون لدينا الايقاع الموسيقى العادى ومن الممكن أن نطلق عليه كلمة ريتم rhythm .

ولمزيد من التفصيل أرجع الى (عبد السلام الشيخ ، ١٩٧١ ص ٤٣) (فؤاد زكريا ، نفس المرجع ، ص ٥١ - ٦٦) .

جـ - الايقاع والشخصية أو الايقاع الشخصى :

يرى سويف أن الايقاع الشخصى سمة تكشف عن نفسها فى وجود ميل ثابت لدى كل شخص الى أن تصدر منه مظاهر نشاطه الحركى أو الحسى (كالمشى أو الكلام أو الادراك ... الخ) أقرب الى البطئ أو الى السرعة (سويف ١٩٨٣ ص ٢٥٧)

(أنظر عبد السلام الشيخ ١٩٧١ ، ص ١٦٢) (محمود الشونى ، ١٩٩٢ ص ٣) (انصاف نايه ١٩٩٤ ص ١٥) واذا نظرنا الى مفهوم الايقاع كما عرضنا له داخل اطار الفن نجد له مفهومين :-

١ - الذى نشير به الى سرعة توالى الحركة والسكون المكونة لأداءات الفرد أياً كان هذا الأداء وهو المقصود بكلمة tempo ونعنى بها هنا السرعة التلقائية لأداءات الفرد أى سرعة أداء الفرد العادية التى تؤدى به أعماله بدون أن تكون وراء دافع خارجى أو داخلى يدفعه الى الاسراع أو الى الابطاء . من مظاهر هذا السلوك حينما نوقع اسمنا على

ورقة أو نمشى فى نزهة عادية أو نتكلم فى جلسة سمر مع أصدقائنا ...

كما ترى ف .كوهلر ١٩٣٣ فان لكل فعل ايقاعه الخاص به المناظر للإيقاع الموسيقى ، ونطلق عليه هنا ايقاع فردى ، واذا امتد الى أداءات أخرى نطلق عليه إيقاع للشخصية (F. Kohler , 1933 , p. 301 - 313) أى أن الايقاع الشخصى تنظيم زمنى يتبناه الفرد تلقائياً وبدون وعى واضح لأداء نشاطاته المختلفة .

أو تلك السمة العامة والعريضة – كما يرى جيلفورد – التى تكشف عن نفسها فى السرعة التلقائية التى يؤدى بها الأفراد أنشطتهم العادية (Guillford , 1959, p. 525)

٢– مفهوم نشير به الى الهارمونى أو الريتم كما فى الموسيقى الصادرة من آلات معقدة ويشير الايقاع الشخصى الى السرعة التلقائية التى تنتج من توالى وحدات حركة وما يتخلل هذه الوحدات المتحركة من فترات صمت فى سلوك الفرد (عبد السلام الشيخ ، ١٩٧١ ، ص ١٦٤) والايقاع الشخصى بهذا المعنى الأخير لم يزل بعيداً عن البحث التجريبى السيكولوجى ربما لحداثة الموضوع ، نقص التقدم التكنولوجى فى مجال السيكومترى ، وضعف العائد منه فى هذا النطاق ، وربما لصعوبة الموضوع وعدم انتشاره على مستوى المتخصصين والمستفيدين .

واذا كان علماء النفس اتبعوا كما يرى " لازاراس " مدخلين لدرجة الشخصية هما

١) مدخل يهتم ويؤكد على القوانين العامة للشخصية .

٢) مدخل آخر يؤكد على التنظيم المتفرد لشخص معين .

(Lazarus , 1976 , p . 22)

فان دراسة الايقاع الشخصى اتبعت مدخلين ، مما يجعلها أكثر ثراء فى فهم الشخصية ، حيث نتناول متغير الايقاع كسمة عريضة أو ضيقة أو كعامل عام أو عوامل طائفية ثم فى نفس الوقت ندرسه كسمة متفردة نميزها من بين ملايين البشر مثل بصمة الاصبع خاصة اذا نظرنا للإيقاع كسمة ثابتة فى أداءات الفرد توضح لنا أسلوب أو نسق توالى الحركات والسكنات داخل وعبر اداءات الفرد التلقائية سواء معرفية أو حركية أو ادراكية وما يتضمنه هذا النسق من خصائص الحركة والسكون كالسعة والشدة والتردد

ويمكن تصور هذا النسق في اداء المشى كالعلاقة بين حركات وسكنات الدراعين والساقين وشدة وسعة وتردد كل حركة من حركات العضلات المشتركة في إخراج سلوك المشى .

ثانياً : المشكلة وتساؤلاتها :

واذا كان الايقاع كما عرضنا سابقا ظاهرة كونية بل أن أى خلل فى ايقاع الكون مثل دوران الأرض وتوالى الليل والنهار ....الخ قد يؤدى الى تدمير الكون وأى خلل فى ايقاعات الفرد البيولوجية مثل نبضات القلب قد يؤدى الى موت الانسان كل هذا يعنى أننا نولد ونحيا وننشأ فى كون ايقاعى بل يبدأ تعلمنا وعشقنا الايقاع داخل رحم الأم ، حيث تشرط تغذية الجنين واشباعاته كاملة داخل رحم الأم باتساق ايقاعات الأم البيولوجية واتساق السائل الرحمى - الأرضية المسئولة عن سحر الايقاع وارتباطه بالأداء الحركى كالرقص والترنم على نغمات الموسيقى . كل هذا يؤكد خضوعنا لإيقاع عام يستغرقنا ومن هنا تتحدد مشكلة البحث .

مشكلة الدراسة :

هل هناك سمة صغرى ضيقة أو عامة عريضة يمكن أن نطلق عليها الايقاع الشخصى سواء بمفهوم التمبو أو مفهوم الريتم ، هل هذه السمة يمكن أن تفيدنا كمؤشر من خلال التعرف عليه يمكن أن نتعرف على شخصية صاحبه كما يلى :-

أ- أنه اذا كان - كما يحدث حالياً فى علم النفس العلمى - يمكن التعرف على متغيرات معينة كالتحصيل من خلال معرفتنا بالذكاء ، أو الطلاق ، والأصدقاء وتعاطى العقاقير من خلال معرفتنا بالانبساطية ، اذا كان الأمر كذلك فهل يمكن أن نتعرف على متغيرات وأنماط سلوك معينة فى شخص ما اذا عرفنا إيقاعه الشخصى ؟

ب- هل اضطرابات الفرد السلوكية - يمكن أن تنعكس فى اضطرابات ايقاعه - أو بالأحرى هل معرفتنا بالاضطراب الحادث فى ايقاع الشخص يمكن أن تعرفنا الاضطراب الحاصل فى شخصيته ؟؟

جـ- من خلال معرفتنا بايقاع قطاع واحد من سلوك فرد ما ، مثل الكتابة هل يمكن

ان نتعرف على ايقاع قطاعات أخرى من سلوكه مثل ايقاع مشيته أو ايقاع كلامه ... الخ .

د - وهو الجديد فى هذا المقال أننا اذا أمكن أن نتعرف على أثار ايقاع ما لسلوك فرد معين مثل بصمات مشيته مثلاً ، هل يمكن أن نتعرف على صاحب الايقاع كما نتعرف على الشخص من بصمة إصبعه وبصمة صوته ؟ ويقتضى هذا بالطبع ان يكون للإيقاع الشخصى نواتج بيئية خارجية يمكن تصويرها ورفعها كما هو الحال فى بصمة الاصبع .

ثالثا الفروض :

هذا ويمكن صياغة التساؤلات السابقة فى الفروض التالية :-

١- أن هناك عاملاً عاماً للإيقاع الشخخصى بمعنى التمبو يفسر لنا اتساق أداءات الفرد المختلفة فى اطار زمنى يرتبط بالسرعة التلقائية . ويدعمالفرض كل ما كتب وأكد وجود اتساق فى أداءات الفرد سواء سلوكية أو بيولوجية وخضوعها جميعاً لجهاز عصبى واحد يرفع من احتمال تماثل ايقاعات جميع القطاعات السلوكية مهما اختلفت أعضائها ما دامت تخضع لجهاز عصبى واحد .

٢- أن هناك احتمال أن يظهر عامل عام للإيقاع الشخصى - بمعنى الريتم - أى بمعنى اتساق وثبات نسبة الحركة والسكون فى جميع أداءات الفرد لنفس الأسباب السابق عرضها فى الفرض السابق .

٣- أنه يمكن التوصل الى مقاييس من خلالها نحصل على بروفيل شخص يحدد لنا ايقاعات الشخص ، بمعنى أنه يمكن أن نحدد لكل شخص بروفيلاً لإيقاعه الشخصى يتفرد به عن غيره ويمكن من خلاله التعرف على صاحبه .

٤- ويتفرع من الفرض السابق أنه من خلال بروفيل الايقاع الشخصى يمكن التعرف على بعض الاضطرابات السلوكية أو البيولوجية للفرد .

خطة الدراسة وتناول المشكلة :

فى ضوء المعلومات السابق عرضها حول مفهوم الايقاع الشخصى وثباته عبر أداءات مختلفة واتساق أداءات الفرد وما يوحى به من احتمال وجود متغير او سمة

شخصية تفسر هذا الاتساق . اجريت دراسات محدوده تجريبيه او معمليه حاول اصحابها إماطة اللثام عن حقيقة الايقاع وما اذا كانت اداءات الإنسان المتباينة ينظمها إيقاع عام أم عدة ايقاعات أم لا تخضع لأى ايقاع واذا كانت تخضع لإيقاع معين . فما هى طبيعته وما هى مكوناته ؟ وهل هو عامل عام يغطى كل استجابات الفرد أم عوامل طائفية بمعنى أن فئة الاستجابات الحركية للفرد ينظمها ايقاع معين يختلف عن الايقاع الخاص والاستجابات الادراكية يختلف عن ايقاع فئة الاستجابات المعرفية ...الخ . وكيف تتوزع الفروق الفردية على متغير الايقاع الشخصى ، والى أى مدى يكون الايقاع الشخصى ثابتاً مقاوماً للتذبذبات ومؤشر للتعرف على شخصية صاحبه ؟ وهل يرتبط باتساق الشخصية والسلوك ؟ وهل وراءه أسس بيولوجية تفسر ثباته واتساقه ؟ كل هذه أسئلة تتشابه الى حد كبير مع مشكلة وفروض البحث الحالى والتى عرضها ، وبالتالى حاولت دراسات سابقة تناولها وتفسيرها . وعامة سوف نتبع فى خطة دراسة مشكلة وفروض هذا البحث ما يلى

١- أن نعرض لأهم الدراسات العربية وغير العربية ، بحيث نعرض للدراسات الخاصة بالإيقاع الشخصي وإتساق السلوك وأيدت أو نفت الفرض المرتبط بإتساق السلوك وبإحتمالية وجود عامل علم أو عوامل طائفية ، ننتقل بعد ذلك لبحوث الإيقاع الشخصي التى حاولت تفسير إضطرابات السلوك من خلاله والتى تؤيد أو تنفى الفروض السابق طرحها حول إمكانية إستخدام الإيقاع الشخصي كمؤشر لإضطراب السلوك ومحك حاسم للتعرف على شخصية صاحبة .

٢- بعد ذلك ننتقل الى مرحلة أرقى فى تناول الفروض - بعد تدعيم بعضها من خلال الدراسات السابقة ومناقشتها ، نؤكد صدقها أو نفيها من خلال مناقشتها فى صور نتائج بحوث ووجهات نظر علمية سواء فى إطار علم النفس أو النيوروسيكولوجى . وكذلك من خلال مشاهدات واقعية على أن نتناول هذه الفروض فرضاً فرضاً كل فرض على حده ثم نطرح فى النهاية الإمكانيات التطبيقية خاصة فى مجال التشخيصي والأمن لكل فرض من هذه الفروض .

الدراسات السابقة ومناقشه الفروض على ضوءها :

دراسات أكدت إتساق الأداء وإحتمال وجود عامل عام للإيقاع الشخصي :

١- دراسة كوهلر ١٩٣٣ :

حول إتساق الآداء والبحث عن الإيقاع وما إذا كان أساس وراثى .

بقدر علمنا فإن هذه الدراسة تمثل البداية الحقيقية لميلاد دراسات الإيقاع الشخصي بشكل مباشر تحت مسمى tempo إستخدم فيها عدد من إختبارات النقر طبقت على ١٠٠ مفحوص بالسرعة المفضلة ثم واصلت تجربتها على ١٠٨ مفحوصاً منهم توائم متطابقة وغير متطابقة أخوه ثم على (٨٥) زوجاً أب وأم ، ٣١٨ إبناً وإنتهت لوجود إتساق مرتفع فى أداءات الفرد التلقائية وأن أثر البيئة خفيف جداً وأن هناك أساس وراثى للإيقاع. (عن : عبد السلام الشيخ ، ١٩٧١ ص ١٨ -) .

٢- بحث هاريسون ١٩٤١ عن *السرعة والدقة* :

حول دقة الفرد والسرعة على ٥٠ طالباً وطالبه طبق عليهم ١٢ إختبارات السرعة المفضلة والقصوى وإنتهت الى أن السرعة تتناقص مع الدقة والأسرع هم الأكثر دقة (Eysenck H , 1973 , P . 143) .

٣- *دراسة ريمولدى* Rimoldi 1951 بعنوان *" الإيقاع الشخصي "* :

حتى الدراسات الرائدة والمنهجية فى هذا المجال وكانت تهدف اى محاولة التعرف على ما إذا كان هناك عامل عام للإيقاع الشخى أم لا ؟

أعد ٥٩ إختبارات طبقتها على ٩١ طالباً وإنتهت الى أن الأسوياء المتكاملين لديهم درجة أفضل من الثبات وإتساق الإيقاع . وإنتهت الى تسع عوامل فى التحليل العاملى من الدرجة الأولى وفى التحليل فى الدرجة الثانية إنتهت الى أربع عوامل هى ش I . C . B . A .
(Rimodli , 1951 , P 285 -)

وكلتا الدراستين السابقتين أكدتا إتساق السلوك وإمكانية قياس الإيقاع الشخصي عن (عبدالسلام الشيخ ١٩٧١ ص ٣٣ - ٣٧ ، الشونى ١٩٩٢ ص ٦٣ -)

(٤)دراسة محمود الشونى ١٩٢٢ حول الإيقاع الشخصي وعلاقته ببعدى الانبساط

والعصابية ، وكان هدف الدراسة

١- تصميم بطارية مقياس للإيقاع الشخصي

٢- تحديد خصائص الإيقاع سيكومتريا .

٣- العلاقة بينه وبين متغيرات الشخصية .

بنى الباحث بإشراف كاتب على المقال - بطارية من ١٢ مقياس مقنن لقياس الإيقاع الشخصي - وإستطاع إستبعاد أثر الزمن الذى يستغرقه الباحث حينما يضبط على ساعة إيقاف لقياس سرعة آداء المفحوصين : طبق البطاريات على ٧٣ جامعياً + ١٢٧ جامعية وأخضع نتائج بحثه لتحليلات احصائية متعدده منها التحليل العاملى - وإنتهى الى وجود إتساق زمنى فى الآداء على المهام المتشابهة ، وكذلك الى عامل نوعى يعبر عن الإيقاع الإدراكى الذهنى وآخر عن الإيقاع الحركى - كما فى الجدول التالى (١) :

م	المقياس / العوامل	العامل الأول	العامل الثانى	العامل الثالث	العامل الرابع
١	النقر	٠ر٠٠٦	٠ر٦٨٨*	٠ر٢٨٣	٠ر٠٢٩
٢	المشى	-٠ر٠٤١	٠ر١٧٥	-٠ر٠٠١	٠ر٩١٨*
٣	التسطير	٠ر٠٧١	-٠ر٢٨٨	٠ر٦٧١*	٠ر٢٨٩
٤	الدائرة	٠ر٠٠٧	٠ر٢٧١	٠ر٧٨٢*	-٠ر١٦٦
٥	القراءة	٠ر١١٥	٠ر٧٣٨*	-٠ر١٨٩	٠ر٢٧٥
٦	الأشكال	٠ر٦٦٢*	٠ر٢٨١	-٠ر١٧٩	-٠ر١١٤
٧	الألوان	٠ر٧١٧*	٠ر٢٧٥	٠ر٠٢٢	٠ر٠١٨
٨	الساعة	٠ر٧٥٤*	-٠ر٧٦	-٠ر٠٤٥	٠ر١٧٣
٩	التعويض	٠ر٦٤٨*	-٠ر١٠٣	-٠ر٠٠٢	-٠ر١٢٤
١٠	الإضافة	٠ر٦٨٤*	-٠ر٢٧٨	٠ر١٢٢	٠ر٢٥٥
١١	المضاهاة	٠ر٧٩٠*	-٠ر٠٦١	٠ر٠٥١	-٠ر١٠٤
١٢	تمييز الأرقام	٠ر٧١٢*	٠ر٢٢٤	٠ر٠٨٥	٠ر٠٥٨
	الجذر الكامن	٣ر٦٠٥	١ر٥٠٢	١ر٢٣٧	١ر١٥٤
	النسبة المئوية للتباين	٢٩ر٦٦٤	١٢ر٥١٤	١٠ر٣٠٧	٩ر٦١٤

النمط العاملى لمصفوفة مقاييس الإيقاع الشخصي بعد التدوير المائل بالاوبليمين

(عن محمود النشوتى : ١٩٩٢ . ص ١٠٩)

٥- دراسة عبد السلام الشيخ عن الإيقاع الشخصي والإيقاع فى الشعر المفضل :

وكانت عن الإيقاع الشخصي وإيقاع الشعر المفضل ، تعتبر أول دراسة عربية حول هذا المتغير ، قام الباحث فيها بمراجعة التراث السيكولوجى حول مفهوم الإيقاع الشخصي وناقش الدراسات السابقة وعدم قدرتها على إكتشاف العامل العام رغم أن وراءه أرضية نظرية أرضية تدعم وتوحى به ولم تظهر دراسات تستبعده ، وإستطاع الباحث أن يضع بطارية مقياس تقيس السرعة التلقائية لأداء الفرد فى مهام متعددة منها المعرفى والذهنى والإدراكى والكلامى والحركى ..... إلخ . وطبق بطارية بحثه داخل معمل علم النفس بآداب القاهرة فى جلسات فردية ثم أخضع معطيات التجربة للتحليل العاملى وإنتهى لعامل عام الإيقاع الشخصي إستخلصة بواسطة الطريقة المركزية لثرستون وباستخدام التدوير المتعامد لثلاثة أبعاد ، ويوضح هذا العامل إمتداد وإتساق سرعة الآداءات داخل مهمة متماثلة وعبر مها متباينه - وإنتهى البحث الىعوامل أخرى لا يفيد عرضها هذا المقال . (عبد السلام الشيخ ١٩٧١ ص.ص ٢٥٠ - ٢٧٢) .

هكذا يتضح من تتبع البحوث السابقة أنها جميعاً تؤكد إتساق سرعة الآداءات وإن هذا الإتساق مما يدعم صدق الفروض السابق طرحها والتى تقول بإتساق سلوك أو سرعات أداءات الفرد داخل مهمه متماثلة وعبر مهام متباينة وصدق وجود عامل يفسر هذا الإتساق الذى يعطى السرعات التلقائية لكل أشكال سلوك الفرد سواء معرفية أو إدراكية أو حركية أو صوتية ..... إلخ .

ننتقل الى المجموعة أخرى من بحوث الإيقاع الشخصي . تلاقت فى أن هذا المتغير يمكن أن نستعان به كمؤشر للتنبؤ بإضطرابات السلوك ، وللتعرف على صاحبه كشخصيه متفردة .

من هذه البحوث الى إنتهت الى أن السرعات التلقائية للأداءات او الإيقاع الشخصي بمفهوم Tempo تميز بوضوح بين المرضى الأسوياء ما يلى :

١- بحث بترى Petrie ١٩٤٥ حول سرعة الطلاقة اللفظية عند الهستيرية و الديسميين على ٧٥ مريضاً نفسياً طبق عليهم ٨ إختبارات تقيس السرعة التلقائية لأداءات

سهله أو ردود أفعال تتضمن تذكر أسماء طيور غيرها ومن اهم نتائج وجود عامل عام للطلاقة اللفظية . وتباين سرعة الأداء بين المرضى الهستيريين والديسمنيين (القلق مع الإكتئاب) .

٢- دراسة إيزنك مع هيملويت ١٩٤٠ عن السرعة والدقة عند الهستيريين والديسميين إجريت الدراسة على ١٠٠ هستيري وديسميين (قلق مع إكتئاب) ركزت على السرعة القصوى والآداءات السهلة مثل شطب الحروف وجدت أن الهستيريين أسرع من الديمسنيين وأعاد أيزنك نفس الدراسة تقريباً على ٦٠ هستيرى وديمستين وإنتهى الى نفس النتيجة وأن السريع فى أداء مهمة ما يكون سريعاً فى أداء غيرها (عن :عبد السلام الشيخ ١٩٧١ ص ٢٧) .

كما إتضح أن العصابيين أبطأ فى إيقاعهم الشخصي عن الأسوياء فى دراسات عديدة منها دراسة البورت وفيرفون وآخرون ١٩٥٥ . (Through : Stagner , 1961 , P.148)

٣- كما وجدت ريم (Rim 1981) فى دراستها عن الإيقاع الشخصي والشخصية والسرعة المعرفية ، أن ذوى الإيقاع البطئ حصلوا على درجات أعلى من ذوى الإيقاع السريع فى العصابية والكذب . (عن : إنصاف تابه ١٩٩٤ ص ٩٣ ، ومحمود الشونى ١٩٩٢ ص ٧٠) .

ما سبق ويوحى بأن إضطرابات السلوكي صاحبها درجة من إضطرابات سرعة الآداء أو الإيقاع الشخصي والميل الى البطء . وعدم إستقرار أو إتساق السرعات . وقد تأكد منها فى دراسات أخرى عديدة مثل دراسات يونج ١٩٦٨ ، وكينج ١٩٦٩ وغيرها حيث تأكدنا أن مرضى الفصام الحاد يتذبذبون فى سرعات أداءاتهم وأن مرضة الفصام المزمن أكثر بطأ من مرضى الفصام الحاد ومن الإكتئابيين .

(Through : Eysenck, 1973 , PP . 464 - 470)

معنى هذا ان السرعة التلقائية أو الأداءات التلقائية علامة أكثر إتساقاً وتآزراً عند الأسوياء منها عند المضطربين ، وأن عدم إتساق الإيقاعات الشخصية - كما يمكن أن تتضح من بروفيل الإيقاع الشخصي للإنسان - تعتبر مؤشراً لإضطرابات السلوك .

٤- دراسة إنصاف نعيم تابه ١٩٩٤ :

بعنوان " الإيقاع الشخصي وبناء الشخصية عند العصابيين والأسوياء" بدأت الباحثة هذه الرسالة بإشرافي ثم بعد فترة تولى الإشراف عليها زميل آخر -وهى من الرسائل النادرة على العربية في هذا المجال : حاولت الباحثة فيها لأن تستخدم الإيقاع الشخصي للتفرقة بين مرضى النفس والأسوياء ، وكذلك حاولت أن تبحث عن علاقات بين متغيرات أو بناء الشخصية ومتغير الإيقاع الشخصي وموضعه داخل هذا البناء ، وكذلك معرفة ما إذا كان الإناث يختلفن عن الذكور على هذا المتغير أم لا .

وإنتهجت الباحثة بحثنا الذى أجريناه فى هذا المجال (عبد السلام الشيخ ١٩٧١) وخاصة فيما يتصل بالتأكيد على أن الإيقاع الشخصي أحد مكونات أو ظواهر المكون التعبيري للسلوك حيث مثل إسلوب الآداء بغض النظر عن المحتوى ... وبذلك فهو أكثر إلتصاقاً وتأثراً ببناء الشخصية وأقل تأثراً بالمتغيرات الموقفية الخارجية .

وفى مجال صياغة فروض المشكلة قسمتها الباحثة الى ثلاثة أجزاء . يدور الأول حول مجموعة من الفروض تتطرح إحتمال وجود إتساق فى الأداء ، وعامل عام للإيقاع الشخصي والجزء الثانى من المشكلة حول إحتمال وجود تباين بين الأسوياء والمرضى على أبعاد الشخصية – وهو جزء لا يرتبط بمشكلة الدراسة الراهنة ، والجزء الثالث يدور حول الفروق بين الإناث والذكور على الإيقاع الشخصي – هذا الجزء لا يهمنا فى هذا المقال – ثم حول الفروق بين المرضى والأسوياء على هذا المتغير . وهو ما يهمنا أساساً فى هذا المقال .

أجرت الباحثة دراسة إستطلاعية على ١٠ من المرضى المترددين على قسم الأمراض النفسية بمستشفى المنيا العام – ثم أجرت التجربة الأساسية على ٦٢ مريضاً نفسياً و٦٢ سوياً مع تماثل العينتين فى المتغيرات المحتمل أن تؤثر فى التجربة . (نفس المراجع ١٩٩٤ ص ١٠٢ – ١٠٨) .

وأعدت الباحثة بطرية إختبارات على غرار البطارية التى سبق أن وضعها عبد السلام الشيخ ١٩٧١ مثل : قراءة نص – جهاز المرونة اليدوية – كتابة الأرقام والعمليات

الحسابية - إلخ (نفس المرجع ١٩٩٤ ص ١١٥) وتم تطبيق بطارية المقاييس على جميع المفحوصين فرديا - مرة بالسرعة العادية وأخرى بالسرعة القصوى - وإستطاعت الباحثة أن تستبعد السرعة القصوى على ألآداء التلقائى للمفحوص فى عملية القياس .

وربما لهذا توصلت - مثل بحث عبد السلام الشيخ ١٩٧١ الى وجود عامل عام للإيقاع الشخصي له تشبعات عالية لكل مقاييس أو متغيرات الإيقاع الشخصي المستخدمة مع عاملين طائفيين فقط هى (كما فى الجدول التالى) :

المصفوفة بعد التدوير (فى حالة المرضى النفسيين)

فى حالة السرعة التلقائية

م	إســم الإختبار	العامل الاول	العامل الثانى	العامل الثالث	العامل الرابع
١	جهاز المرونة اليدوية الجزءM	٠ر٤٧٤٤	٠ر٥٨٩٤	٠ر٤٨٧٠	٠ر٠٩٤٥
٢	جهاز المرونة اليدوية الجزءN	٠ر٤٧٥٠	٠ر٦٧٢٦	٠ر٣٤٠٢	٠ر٤٣٣١
٣	إختبار كتابة الأرقام داخل المربعات من ١ - ٢٠ .	٠ر٦٥٣٨	٠ر٣٤٦٩	٠ر٤٦٩٠	٠ر٠٣٣٣
٤	قراءة النص	٠ر٧٣٢٢	٠ر٢٦٩٨	٠ر١٠٩٩	٠ر٤٠٨٩
٥	أداء العمليات الحسابية .	٠ر٨٤٦٣	٠ر٠٧١٢	٠ر٣٦٦٤	٠ر١٨٠٣
٦	إيقاع التنقيط .	٠ر٦٠٩٩	٠ر٤٤٣٢	٠ر٢١٩٤	٠ر١٥٧٦
٧	إختبار الشطب .	٠ر٤٣٤٤	٠ر٥٣٥١	٠ر٤٤٢٥	٠ر١٨٦٣
٨	إيقاع الإدراك (١) .	٠ر٧٩٥٤	٠ر٣٧٣٦	٠ر٠٢٥٩	٠ر١٤١٩
٩	إيقاع الإدراك (٢) .	٠ر٥٨٢٦	٠ر٢١٢٤	٠ر٠٨٨٩	٠ر٧٤٤٣
١٠	إيقاع الإدراك (٣) .	٠ر٨٣٣٧	٠ر٢٢١٨	٠ر٢٠٨٥	٠ر٢٤٢٧

(عن : إنصاف تابه ١٩٩٤ . ص ١٦٧) .

١- عامل الإيقاع الحركى مع التآزر المعرفى والبصري .

٢- عامل الإيقاع المعرفى وعامل ثالث ليس له دلالة ، كما إنتهت الباحثى الى عامل عام أيضاً بالنسبة للمرضى النفسيين على نفس مقاييس الإيقاع مع ثلاثة عوامل طائفية . مما يعدل توجهنا نحو زيادة إحتمال وجود إتساق لدى المرض النفسي كما هو عند الأسوياء من سرعات الإيقاع الشخصي غير أن هذا البحث أو غيره لم يتعرض لإحتمال وجود تدهور فى سرعة آداء نوعى معين عند المرضى وهذا النوع من الآداء يتغير بتغير المرض ، خاصة وأن هذا البحث أكد فى نتائجه إختلاف الأسوياء عن المرضى إختلافاً جوهرياً فى سرعات الإيقاع الشخصي .

المصفوفة بعد التدوير (لمجموعة الاسوياء ذكور وإناث معا)

فى حالة السرعة التلقائية

م	إســم الإختبار	العامل الاول	العامل الثانى	العامل الثالث	العامل الرابع
١	جهاز المرونة اليدوية الجزءM	٠ر٥٢٢٢	٠ر٢١٢٥	٠ر٢٤٧٥	٠ر٦٦٠١
٢	جهاز المرونة اليدوية الجزءN	٠ر٤٢١٢	٠ر٥٤٨٤	٠ر٥٦٢٩	٠ر٠٣٠٦
٣	إختبار كتابة الأرقام داخل المربعات من ١ - ٢٠ .	٠ر٨٠٥٧	٠ر٣٥٨٣	٠ر٠٤٣٠	٠ر٠٧٩١
٤	قراءة النص	٠ر٧٠١٣	٠ر٣٠٤٠	٠ر٠١٩٢	٠ر٢٦٢٧
٥	أداء العمليات الحسابية .	٠ر٦٧٠٦	٠ر٠٢٥٩	٠ر٢٥٣٢	٠ر٠٣٠٥
٦	إيقاع التنقيط .	٠ر٨١١٣	٠ر٤٢٥٥	٠ر٠٨٥١	٠ر٠٣١٧
٧	إختبار الشطب .	٠ر٥٥٤٠	٠ر٠٠٢٧	٠ر٤٥٣٢	٠ر٣٠٧٩
٨	إيقاع الإدراك (١) .	٠ر٥٨٦٣	٠ر٢٠٧٠	٠ر٢٧٤٩	٠ر٤٧٧٢
٩	إيقاع الإدراك (٢) .	٠ر٥٢٩٩	٠ر٥٨٤٥	٠ر٢٣٩٠	٠ر٢٦٦٣
١٠	إيقاع الإدراك (٣) .	٠ر٥٩٢٢	٠ر٥٧٤١	٠ر٤١٤٧	٠ر٠٤٧٦

(عن إنصاف تابه ١٩٩٤ . ص ١٦١)

حيث إنتهت الباحثة بإستخدام إختبار " ت T . test " الى أن جميع إختبارات الإيقاع الشخصي المستخدمة ميزت بدلالة جوهرية ما بين المرضى والأسوياء (عن : إنصاف تايه ، نفس المرجع ، ص ١٦٦ - ١٧٣)

بعد ذلك ننتقل للجزء الثانى من خطة الدراسة حيث نعرض لفروض الدراسة كل فرض على حده ثم مناقشه فى ضوء نتائج بعض البحوث وما طرحته فروع المعرفة الأخرى كالبيولوجى والنيورولوجى من معلومات ، وكذلك من خلال الشواهد الواقعية .

١ - فيما يختص بإتساق سرعات الاداء ووجود عامل عام (*الفرض الاول*) :

إنتهت البحوث الأجنبية مثل بحث ريمولدى (Rimoldi 1951) ، الى وجود عوامل طائفية للإيقاع ، أحد هذه العوامل هو سرعة إيقاع الآداءات الحركية ويعد مؤشراً جيداً للتعرف على سرعات الإيقاعات الأخرى . كما أن التعرف على سرعة إيقاع إستجابة حركية ما يساعدنا على التنبؤ بسرعة إيقاع أى إستجابة حركية أخرى لنفس الشخص ، غير أنها لا تساعدنا على معرفى سرعة إيقاع الإستجابات اللاحركية ، معنى هذا أن سرعة إيقاع كل فئة من الإستجابات تنتظم فى عامل خاص ومستقل عن العوامل الأخرى .

غير أن ريمولدى نفسه يعود ويقرر أن سرعة إيقاع الإستجابات الحركية تعد أفضل مؤشراً لسرعات الإيقاعات الأخرى ، مما يوحى بإمتداد إتساق سرعة الأداء عبر مهام متنوعه ، وبالتالى زيادة إحتمالية وجود عامل عام لم تستطع دراسة ريمولدى التوصل إليه ، ربما لخطأ ما فى قياساته ، حيث لم يركز كلية على قياس السرعة التلقائية وإنما ضمنها سرعة قصوى وأداءات صعبة أخذها من بطارية القدرات العقلية الأولية PMA ، كما إنتهى بحث محمود الشونى ١٩٩٢ الى نتائج مماثلة لما إنتهى إليه ريمولدى غير أن عدد العوامل كان ٤ فقط مما يزيد من إحتمالية إتساع نطاق إتساق الأداءات أو خاصة بعد التدوير للعوامل (الشونى ١٩٩٢ ص ١٠٩) وكان أبرز العوامل هو الأول ويوصى بإمكانية التوصل الى عامل علم لو إهتم الباحث بقياس السرعة التلقائية وإستبعد من بطارية بحثه قياس سرعات صعبة ولو تحكم فى تعليمات التجربة لإبراز السرعة التلقائية دون السرعة القصوى وفى مناقشة د. محمود الشونى لنتائج بحثه يشير الى أنه وجود إتساقاً زمنياً فى أداء الفرد لمهمة ما (ص ١٤٠) ، كما أن هناك إتساقاً ولو

جزئياً فى أداء الفرد لمهام متعددة حيث وجد انه من بين ٦٠ معامل إرتباط وجد أكثر من نصفها موجب وله دلالة مرتفعه وإن لم يصل الى عامل عام (نفس المرجع جدول ١٠٤ . ١٤٠ ، ١٤١) .

وإذا لم يكن وجود العامل العام وإتساق إيقاع أداءات الفرد عبر مهام متعددة بكشل ثابت غير مستدل عليه بشكل قاطع - فى البحثين السابقين فإننا نجد بحثين أخرين توصلا الى التأكيد على هذا الإتساق والعامل العام . وهما بحثين عربيين أحدهما أجراه الباحث عبد السلام الشيخ ١٩٧١ وسبقت الإشارة إليه إنتهى فعلاً الى وجود عامل عام يؤكد الإتساق عبر اداءات الفرد لمهام متعددة . ومن أهم الشروط التى ساعدتنا على التوصل للعامل العام هو التأكيد على السرعات التلقائية وعزلها الى حد كبير عن السرعة القصوى وأعيد التأكيد من وجود هذا العامل فى أخر بحث أجرى فى جامعة المنيا هو بحث إنصاف تايهوالذى شارك الباحث فى الإشراف عليه ومناقشته وإنتهت الباحثة فيه الى وجود عامل عام للإيقاعه الشخصي سواء لدى الراشدين الأسوياء أو لدى المرضى النفسيين ، مع عوامل طائفية متماثلة الى ما إنتهى إليه عبد السلام الشيخ ١٩٧١ .
(إنصاف تايه ، نفس المرجع ص . ص ١٦٠ - ١٨٦) .

والدلائل العلمية والشواهد الواقعية تؤيد ما توصلت إليه البحوث السابقة من إتساق عام أو عامل عام للإيقاع الشخصى يكون مسئولاً عن إتساق أساليب أداءات الفرد التلقائية ، ذلك إننا حينما نقول " شخصية " إنما نعنى خصائص متسقة للشخص ، وتستمر هذه الخصائص أو الأساليب التى تتشكل من خلالها أداءات الفرد ثابته عبر الزمان والمكان وعبر تباين محتويات هذه الأداءات وبالطبع تعمد الأفراد من خلال خبراتهم العلمية الإستفادة من ثبات أساليب الشخصية فى الأداء للتنبؤ بسلوكها بل ولإكتشاف صاحب أسلوب ما إذا ما حصلنا على هذا الإسلوب كما فى إكتشاف شخصية المجرم المسئول عن سلاسل من الجرائم ، حيث من خلال التعرف على أسلوب تنفيذ الجريمة نتعرف على صاحبها . (Lazarus . 1976 . P . 290) .

والإيقاع الشخصي كسمة مستقرة فى الشخصية يربط - كما يرى سويف - بين عدد من جوانب السلوك برابطة منتظمة ، يمكن أن يمدنا بأساس للتنبؤ لا غبار عليه . حيث أن

معرفة جانب من سلوك الفرد ينبئ بما يكون عليه سلوكه من جوانب أخرى . (سويف ١٩٨٣ . ص . ٢٥) .

وقد سبق أن إنتهينا من بحوث سابقة الى أن أى أداء يصدر عن الفرد يتضمن محورين ، محور تعبيرى يعكس شخصية صاحبة بشكل تلقائى لاواعى ويسمى بأسلوب أو شكل الأداء . ومحور هادف أو أدائى يسمى محتوى الأداء . وعادة يكون تحت مستوى الضبط اللحائى ويهدف الى حل المشكلة .

والتعبيري لابد أن يكون تلقائياً أقل وعياً لا يحتاج الى مجهود لأدائه وبالتالى أقرب الى اللارادية ولا يتغير جوهرياً بتغير المواقف الخارجية . أهم مثال على هذا أسلوب مشينا ، فلكل منا أسلوب فى مشيته أو إيقاع لمشيته لا يتغير بتغير المواقف ، تلقائى أقرب الى اللارادية واللاوعى يعبر تماماً عن صاحبة – وكثيراً ما نتعرف على صديق من مشيته فقط دون أن نرى وجهه ، وكذلك كلامنا – أى أسلوب الكلام أو الصوت – وكلنا نعرف صعوبة تغيير إيقاع المشى أو إيقاع الصوت – وكيف أنه من خلال أحدهما نتعرف على صاحبة بسهوله . والإيقاع الشخصي إذا أحد وأهم هذه الأساليب التعبيرية (عبد السلام الشيخ ١٩٧١) .

لكل إنسان إذن أسلوب أداء مميز له حتى فى المجال الإدراكى أو المعرفى بل فى أسلوب تناول وحل المشكلة بغض النظر عن محتوى او موضوع المشكلة وهذه الأساليب تتضمن الإيقاع الشخصي كأسلوب عام لإداءات الفرد مهما تباينت موضوعات ومحتويات هذه الإداءات ، وتسمى أساليب تعبيرية أو بالاحرى – كما أكد على ذلك ألبورت ١٩٣٧ – ثم بوتر ثم ستاجنر . تسمى المكون التعبيرى للسلوك . وقد إتفق جميع العلماء على أن هذا المكون أكثر إرتباطاً بشخصية صاحبة وأكثر تعبيراً عنها ومن الصعب على الشخصى تزييفه أو التحكم فيه – بل أن المثيرات الخارجية لا تعدل فيه تعديلاً جوهرياً ، بعكس المكون الهادف أو الأدائى الذى يتغير بتغير المثيرات الخارجية وتغير المشكلة التى يهدف لحلها وأنه أكثر قابلية للتزييف (عن : عبد السلام الشيخ ، ١٩٧١ ، ص ١٢) و (Lazarus 1976 P . 33) .

ينعكس إتساق سلوكنا فيما إكتشف فى السنوات الأخيرة من أن الإنسان على إمتداد ٢٤ ساعة تتناوبه إيقاعات ثابته يرتبط كل منها بمصاحبات وجدانية معينة – تبدأ

بالإيقاع يستمر ٩٠ ق يليه إيقاع أخر حوالى ١٠-٣٠ ق تصاحب كل إيقاع مشاعر وجدانية تنتابنا بدون أن ندرى سببا لها ثم تزول عنا بنفس الطريقة ، هذا الإيقاع يكون أكثر وضوحا حين لا تؤثر فيه مشتتات إنتباه مثل وقت النوم حيث يبرز فى وضوح فيما يسمى بنوم حركات العين البطيئه non REM (٩٠ق) يليها REM من ١٠-٣٠ق وهكذا طوال النوم - ويقال أن الإيقاع يخضع لبرمجه آلية فى مخ الإنسان ويرتبط بالمد والجزر للقمر وبالليل والنهار - ويصاحب هذا الإيقاع إيقاعات بيولوجية ثابته ومبرمجه مثل إفرازات الأدرينالين وعمل موجات المخ وهرمونات النمو ومستوى البروتين (Crisp . H ., 1990 , P. 73) (عبد السلام الشيخ ١٩٩٤ ص ١٤ - ١٧) .

تأكد إتساق السلوك فى دراسات أخرى عديدة مثل دراسة هارتشورن وماى ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ، وعن إتساق السلوك الأخلاقى - مثل هل الأمانة صفة سلوكية متسقة ومستمرة عند صاحبها ؟ وإنتهى اباحثان وكذلك لازاراس الى أن الفعل أ, محتواه ليس هو الذى يميز بين فردين تحت موقف أو موقفين ولكن الذى يميز هو الأسلوب الذى يؤدى به هذا الفعل (Lazarus , 1976 , P . 30) .

ولماذا لا نشير الى خط اليد وهو نتائج سلوك وكيف أنه من الصعب جداً أن يتكرر ومنذ القدم وحتى الآن نتعرف على صاحب الخط من خلال خطه - أو بتعبير أكثر دقة من خلال أسلوب كتابته أو خطة بغض النظر عن محتوى الكتابة - كل هذا يؤكد ثبات أنماط نوعية من أساليب الأداء ، تؤكد بالتالى ثبات الإيقاع الشخصي وإستحاله تزييفه وقدرته الفائقة على التعريف بشخصية صاحبه ، يذكر لازاراس أن ألبورت وفيرنون قاما ١٩٣٣ بدراسة حركات تعبيرية وإهتما بإيقاعات الأداءات مثل خط اليد ، القراءة ، المشى ، رسم ، دوائر النقر بالأصبع ..... إلخ . وإنتهيا الى وجود قدر كبير من إتساق الأداءات يميز صاحبه (Ibid., P , 31) .

وما يؤكد إتساق الإيقاع كسلوك تعبيري دراسة قديمة أجراها كورتيال وفان ديستان ١٩٣٢ على ٥٤ شاباً و ٢٣ فتاه حول السرعه و الدقة - والسرعة أقرب الى التعبير والدقة أقرب الى الأداء - إتضح وجود قدر كبير من الإتساق فى سرعت الأداء - يوكد إتساق الإيقاع الشخصي والسلوك التعبيرى - يعكس الدقة حيث لم يوجد بها إتساق .

(عن : محمود الشونى ، نفس المرجع السابق ص ٥٠) .

ب - فيما يختص بالفرض الثانى حول إحتمال وجود إتساق بين الحركات المكونة لسلوك ما ومايتخللها من فترات صمت أو سكون .

إنتهينا فيما سبق الى أن كل الدراسات التى تناولت الإيقاع الشخصي تعاملت معه بمفهوم التمبو Tempo ، أى السرعة التلقائية للأداءات وأكدت وجود إتساق وكذلك عامل عام ، ومع أن إتساق السرعة أو العامل العام يوحى بإحتمال إتساق حركات السلوك وما يتخللها من سكنات ، لكنه لا يؤكدها . خاصة وإننا لم نعثر على دراسة واحدة تعاملت مع الإيقاع الشخصي من خلال هذا المفهوم المركب . غير أن كثيراً من الوقائع ومن الشواهد تدعم صدق هذا الإحتمال ، فإذا عرفنا أن أى أداء هو بالضرورة يتكون من حركات تتخللها سكنات مثلما فى المشي مثلاً فإحدى القدمين تتحرك فترتفع وتعمل هنا العضلات القابضة . وتكون القدم الأخرى بالضرورة ساكنة على الأرض وتعمل هنا العضلات الباسطة .. وهكذا يحدث تبادل حتى يتكون سلوك المشى بشكله المعقد والمتكامل - كذلك الكلام بل والتفكير - الإيقاع هنا إذن يرتبط بحركات عضلية تشترك فى تشكيل إيقاع هذه الأداءات يشترك معها بالطبع تغيرات وإيقاعات نيوروولوجية بيولوجية مما تفترض معه وجود أساس بيولوجى ووراثى يدعم إتساق الإيقاع الشخصي وإحتمال تفرده .

يدعم هذه الخصائص للإيقاع الشخصي ما إنتهت اليه الدراسات الأخيرة حول إيقاعات النوم واليقظة حيث تمضى هذه الإيقاعات فى شكل منظم ثابت وفى نفس الوقت توجد فروق فردية ثابتة ، وهذا الإيقاع . مثل غيره من الإيقاعات - لا يرتبط بالبيئة والمثيرات الخارجية . بقدر ما يرتبط ببناء الشخص نفسه وبما يسمى بالساعة الداخلية والساعة البيلوجية (ألكسندر بوربلى ١٩٩٢ ص ٢٢٥) والتى يجدها مبرمجة داخل مخ الإنسان حسب توالى الليل والنهار (أنظر عبد السلام الشيخ ١٩٩٤ ، ص ١٦) .

كما وجد كيرت ريختر C. Richter أن النباتات والكائنات الحية تخضع أيضاً لإيقاعات مماثلة ترتبط بالليل والنهار ، وأجرى تجارب على إيقاعات الراحة / النشاط عند الفئران ، وغير فى البيئة وإستأصل غدداً معينة .... إلخ فلم تتأثر إيقاعات الفئران ، بينما عندما إستأصل جزء من منطقة المخ البينى تأثر إيقاع الفئران مما جعل ريختر يفترض أن الساعه البيولوجية تقع فى هذا الجزء من المخ . ويرى ريمنت أنه يرتبط بالمخيخ حيث

مركز توازن الحركات وخاصة المشي - حيث يسجل لكل عضله إيقاعها .

(Dement , W.C. 1964 P.. 247 -)

ويرى كورنهيوبر Kornhuber أن النيورونات تنتظم فى شكل هندسي فى المخيخ مما يسهم فى ثبات الإيقاعات الشخصية وتفردها (-P.,217 Through : Kimble 1988) .
وفى سلاسل متلاحقة من الدراسات حول إيقاعات النوم وعلاقتها بلحاء المخ إنتهى " ديمنت" الى أن الساعة البيولوجية توجد فى نويات الهيبوتلاموس بالقرب من العصب البصرى الذى يغذيها بالمعلومات البصرية ، والغريب أنه حينما قطع العصب البصرى والذى قد يسبب العمى ، لم يؤثر هذا فى إيقاع الساعة البيولوجية تمثل شبكة من النويات والخلايا العصبية لها قدرة إثارة وكف تبادلى (Ibid , P . 333) وتسمى هذه الخلايا " bosal ganglia " وهى مسئوله عن تنظيم إيقاع الحركات (Ibid , P. 79) بشكل ثابت يصعب تزييفه وفى دراسة أجرتها العالمة البريطانية "Marry Lobban" على ١٢ مفحوصاً عاشوا بالقطب الشمالى أعطت ٦ مفحوصين منهم ساعة تؤخر ٥ر١ ساعة وأعطت الـ٦ الآخرين ساعة تقدم ٥ر١ ساعة يومياً ودورياً ، وجدت أن الأشخاص السته الأول إتخذوا إيقاعاً دورياً بيولوجياً ٢١ ساعة بدلاً من ٢٤ ساعة ، بينما إتخذ السته الأخرين إيقاعاً دورياً من ٢٤ . أى أن الساعة المزيفة بالرغم من أنها شوهت الإيقاع اليومى من ٢٤ ساعة الى ٢١ أو ٢٧ إلا ان الإيقاع ظل يتحرك فى إطار داخل مدى محدود . مما يعنى أنه من الصعب أن يتأثر إيقاع الفرد بالمثيرات الخارجية . تأكد ثبات الإيقاع حينما وجدت هذه العالمة أن الإيقاعات البيولوجية الأخرى لكل العينة الـ ١٢ مفحوصاً مثل إفراز البوتاسيوم وحرارة الجسم وإفراز الأدرينالين كل هذا إحتفظ بإيقاعاته الأساسية (٢٤ ساعة) (ألكسندر بوريلى ١٩٩٢ ص ٢٣٧ - ٢٣٩) .

ويدعم هذا مبدأ تكامل التشريح بمعنى أن التشريح ليس مجرد تحليل لأجهزة الجسم وإنما أيضاً ينظر إليها من تركيبها وتكاملها-وإذا كانت الأجهزة الدورية والعصبية ، والعضلية، والعظمية فى الجسم أجهزة مختلفة فإنها فى نفس الوقت إجزاء من كل واحد ، تعكس قوانين عامة تحكم بناء الأورجانيزم ولذا تنتظم فى أداءات متوازنة ومتكاملة داخل إيقاع واحد (Prives, et al., 1989, P. 425) .

ولمعرفة كيفية إشتراك أجهزة الجسم فى تشكيل الإيقاع الشخصي بمفهوم إتساق الحركات مع بعضها ومع ما يتخللها من سكنات - لمعرفة هذا يتطلب الأمر التعرف على المبادئ الفسيولوجية والنيورولوجية العامة المسئولة عن تنظيم إيقاع لهذه الأداءات .

من المعروف أن لكل فرد جهازاً عصبياً واحد متماثل تشريحياً ومتميز وظيفياً ثم أجهزة عضلية منها الهيكلية والملساء وعضلة القلب ومن المعروف أن لدينا جهازاً عصبياً واحد متماثلاً الى حد كبير تشريحياً حتى لو إختلفت وظيفياً . ثم أجهزة عضلية منها الهيكلية والملساء وعضلة القلب ، وداخل الحبل الشوكى نجد حزم عصبيه حسية صاعدة تحمل التنبيه الى المخ عبر مناطق عديدة أهمها جهاز التكوين الشبكى R , F ، وأجزاء حركية هابطة تسقط وتمتد الى أعضاء الإستجابة خاصة العضلية ، ويمضى التنبيه فى المسارات الحسية داخلاً الحبل الشوكى عبر القرن الظهرى " Drosal horn " ثم يصعد لتنبيه المخ الذى يرسل إشارة عبر الحزم الهابطة لتوزع على العضلات عبر الجهاز العصبي .

وأى إستجابة يمكن تصورها لا تخلو من حركة عضله أو عصب ولهذا يقول شيرانجتون أن الحركة هى كل ما يستطيعه الإنسان وأن إضطراب إيقاع الحركات كثيراً ما يكون مؤشراً لأمراض الجهاز العصبي مثل مرض باركنسون ، ومن خلال تحليل شيرانجتون للفعل المنعكس حاول تفيسر إيقاع الأداءات المعقدة وكيف أنه حينما تثار عضلة ما تنبسط وتنقبض عضله مقابله لها ، لكى تتم الإستجابة ، وتتكون الحركة هنا من عضلات متقابلة antagonist فيما يسمى بالكف التبادلى وهو أوضح مظاهر الإيقاع المركب ولا يمكن أن تتم أداءات أساسية بدونه مثل المشى والكلام والكتابة - وعادة تتدخل هنا نيورونات تسمى - المذبات النيورونية - Neuronal Oscillator وإنتشار التنبيه العصبي فى العضلة يؤكد هذا النوع من الإيقاعات - حيث عادة لا تستثار العضلة كلها فى آن واحد بل تستثار الألياف العضلية التى تتغذى من نهايات المحور مرة واحدة ثم ينتشر التنبيه من ليفة الى أخرى بشكل إيقاعى منظم حتى تكتمل الإستجابة (Kimble D ., 1988 , PP . 206-216) . والمثير للدهشة أن هذه الإستجابات الإيقاعية يمكن أن تتم طبقاً لبرنامج داخلى بغض النظر عن المعلومات الواردة في المسارات الحسية ، ذلك أن هناك برامج فى الجهاز

العصبي تنظم الإيقاع الشخصي ويمكن أن يعمل هذا البرنامج حتى فى غياب الآثار الحسية . ويدعم هذا وجهة نظرنا ، بأن الإيقاع الشخصي يرتبط بالشخص أساساً أكثر من إرتباطه بالبيئة والمثيرات الخارجية والموقفية (Kolb et al . 1990 . P . 275) .

وقد تم إكتشاف الدائرة العصبية فى جذع مخ الكائن الحى حيث إستطاع علماء سوفيت سنة ١٩٨١ تكوين مشي إيقاعى بإثارة أجزاء فى منطقة الحركة بالمخ كهربائياً وأطلقوا عليها Mesencephalic Locomotor region MIR عند قطط منزوعة اللحاء . وكان قد سبق لعالم مشهور هو " Doty " ١٩٥١ إثبات برنامج حركى إيقاعى فى ساق المخ - ومهما تأثر هذا الإيقاع بالمدخلات الحسية إلا أنه يخضع لبرنامج داخلى مستقل عنه (Ibid.p. 216) .

ننتهى من هذا الجزء إذن الى أن أداءاتنا تخضع لبرامج داخلية بالمخ . تنظم إستجاباتنا فى إطار إيقاعى ثابت . ينعكس فى أداءات تتكون من حركات تتخللها فترات صمت وسكون . بشكل متكرر وشبه ثابت . مما يكون إيقاعاً مركباً يتأثر بشخصية صاحبه وبمكوناته البيولوجية والعصبية والنفسية (Ibid , P. 216) هذا وقد أشرنا الى إيقاعاً مثل هذا يخضع لبرنامج ينظم أداءاتنا طبقاً لنظام ثابت ومتكرر ويرتبط هذا البرنامج أساساً بما هو داخلنا وبمواقف خارجية ثابته مثل الليل والنهار . (عبد السلام الشيخ ، ١٩٩٤ ص١٥)

وبذلك نستطيع القول أن هناك إيقاعاً مركباً عبارة عن حركات متأنية تتكرر لتكون سلوكنا ويتخللها فترات صمت بينها وبين الحركات نسب ثابته ومتكررة ، وإن إكتشاف هذه النسب يسهم فى التعرف على صاحب الإيقاع كما سيأتى تفصيلاً فى الأجزاء التالية .

ويرتبط بهذا الفرض الثالث والأخير والتالى :-

ج - فيما يختص بإمكان التوصل الى مقاييس تعطينا بروفيلاً للإيقاعات الشخصية للفرد سواء بمفهوم السرعة التلقائية للأداءات أو بمفهوم الريتم وتوالى حركات رئيسية مركبة وما يتخللها من فترات صمت ، وتمثيلها فى مبيان نفسي وبروفيل يمكن أن نتخذه مؤشراً لشخص متفرد وغير مكرر كما فى بصمة الإصبع .

فيما يتصل بالمقاييس التى تقيس الإيقاع بمفهوم التمبو ، فقد عرضنا للدراسات

التى تناولت هذا المفهوم وللمقاييس التى إستخدمتها . ومنها دراسة ريمولدى ١٩٥١ . والتى كان من أهم عيوبها تضمنها لبعض الأداءات الصعبة كما أشرنا سابقا مما خفض من حساسية القياس لديها فلم تستطع أن تكشف لنا العامل العام للإيقاع الشخصي ، وتلى هذه الدراسة دراسة " عبد السلام الشيخ - ١٩٧١ " وإستطاع أن يضع بطاروية تقيس السرعة التلقائية لأداءات الفرد فى مهام متعددة وقد إستطاع أن يفرز السرعة التلقائية عن القصوى . مما ساعده لأول مرة على إكتشاف عامل عام للإيقاع الشخصي مع بعض العوامل الطائفية . وكان يعيبها تأثر القياسات بزمن رجع الباحث فى تشغيله لساعة الإيقاف . وفى سنة ١٩٩٢ إستطاع " محمود الشونى " بإشراف الباحث تطوير المقاييس بما يتغلب معه على أثر زمن رجع الباحث. إلا أنه لم يستطع عزل السرعة القصوى عن التلقائية مما إنعكس فى نتائج بحثه وعدم قدرته على التوصل لعامل عام رغم أن كثيراً من نتائجه وإطاره النظرى يوحي بذلك ، كما أستخدمت " إنصاف تايه " مقاييس متماثلة لحد كبير لما إستخدمه " عبد السلام الشيخ - ١٩٧١ " .

ويذكر " رايموند كاتل " عينه من المقاييس التى تقيس الإيقاع بمفهوم التمبو منها مقياس يقيس إيقاع الراشدين ويستغرق تطبيقه ثلاث دقائق(Ideomotor Tempo) وقد أوضحت دراسات " البورت - ١٩٣٩ ، ثرستون - ١٩٥٣ ، وهاريثون ١٩٤١ " أن هناك علاقات بين مقاييس عديدة للتمبو كما أجرى " ريمولدى دراسة عاملية إنتهى منها الى خمسة عوامل (Cattell , et al . 1967 , P . 350) .

ويذكر " كاتل " أن هناك مقاييس للإيقاع الشخصي مثل أى أداء مألوف كالقراءة والرسم والكتابة وأحياناً نحدد مقدار الأداء ونحسب الزمن وأحياناً العكس (Ibid , p 359) .

مقاييس الإيقاع الشخصي بمفهوم التمبو إذن موجودة وخاضعة فعلاً للتطور ويمكن إستخدامها حالياً إلا أنها لم توظف بعد للحصول على بروفيل سيكولوجى للإيقاعات الشخصية . غير ان مقاييس الإيقاع الشخصي بالمفهوم المركب من حركات وسكنات ليس لدينا منها مقاييس مباشرة حتى الآن وما فعله " الشونى - ١٩٩٢ " ، " وإنصاف تايه ١٩٩٤ " ، و" عبد السلام الشيخ - ١٩٧١ " كان المقصود به قياس الإيقاع بمفهوم معدل السرعة التلقائية (التمبو) .

إلا أنه من الممكن أن نتنبأ بإيجاد هذه القياسات حينما نحدد تعريفات إجرائية لهذا المتغير وهو أمر ضرورى لإستخدامه فى أغراض علمية وتطبيقيه هامة .

ومن المعروف أن لدينا مقاييس موضوعية ودقيقة تقيس إيقاع الصوت بالمفهوم المركب . أى الحركات المكونه للصوت وما يتخللها من فترات صمت كما نحدد شدة وسعة الموجة الصوتية وكذلك ترددها .

ومن هذا الموقف نوجه دعوة للباحثين بأن يحاولوا وضع مقاييس تقيس أداءات الفرد التلقائية مثل المعرفى والإدراكى والحركى وتقيس إيقاع الفرد المركب فى هذه الأداءات ، ونستطيع أن نذكر فى ضوء ما لدينا من معلومات سابقة ، وشواهد واقعية أنه إذا كان إيقاع الصوت يميز صاحبة ، فإن بروفيلاً للإيقاع المركب وما يتضمنه من إيقاع الصوت سوف يميز صاحبه مثل بصمة الإصبع وبالطبع لن يحدث هذا إلا إذا توصلنا الى بطارية من المقاييس على غرار مقاييس إيقاع الصوت تقيس إيقاعات الفرد داخل وبين المهام التى يؤديها .

ويرفع من أهمية هذه البطارية أن الإيقاع الشخصى من أهم المتغيرات السيكولوجية والتى يتخلف عنها بالضرورة أثار بيئية خارجية ، فالكلام يترك موجات صوتية والحركات نفس الشئ مثل حركة القلم فى اليد يتخلف عنها الكتابة ، والمشي يترك بصمات على الأرض يمكن رفعها والتعرف على نسب الحركة والسكون فيها ... إلخ ، وبالتالى نطابقها بالبروفيل الشخصي الخاص بإيقاع شخصى ما . ولما كان الإيقاع الشخصي أحد مكونات المكون التعبيرى للسلوك فبالتالى يصعب تزييفه عكس بصمة الإصبع مثلاً . (أنظر عبد السلام الشيخ ، ١٩٧١ ، ص ١٣ - ١٦) (محمود الشونى ، ١٩٩٢ ، ص ١٨) .

(Allport , 1937 , P . 465) , (Maslow 1954 . PP 5-19)

ومن هنا أهمية إستخدامه فى المجالات الأمنية وغيرها ، وأعتقد أن الدراسات المستقبلة لهذا المتغير سوف نركز على هذا الهدف ، وآمل أن تكون لمراكز البحوث والأقسام المتخصصة فى الجامعات العربية نصيباً يبدأ من الآن .

وسوف نركز على إستخدام بصمات الإيقاع الشخصي للتعرف على أصحابها وخاصة وأن هناك توجهات علمية بدأت حديثا جداً تهتم بالإيقاع الشخصي والفروق الفردية أو التباين بين الأفراد والجماعات فى الإيقاع الشخصي ، ذلك إننا إذا توصلنا الى عامل عام للإيقاع الشخصي – وهو ما يحدث حالياً – فإنه لا يمكن أن نطبقه كمبدأ عام على حالة متفردة إلا بعد تطويعه لها طبقاً لرأى لازاراس (Lazarus 1976 , P 20) .

وقد أوضحت دراسات البيولوجى وجود متنوعات وتباين كبير بين الأفراد – وينعكس هذا فى المجال السلوكى و النيورولوجى – كما فى تباين المسارات العصبية خاصة الحزمة اللحائية الشوكية المتقاطعه منها وغير المتقاطعه رغم أن التميز التشريحي للعضو لا يرتبط بالضرورة بالوظيفة (Kolb B , 1990 , P . 272) .

د – فيما يختص بإمكانية التعرف على إضطرابات السلوك من خلال بروفيل الإيقاع الشخصي من مراجعة التراث السيكولوجى فيما يتصل بتحليل المهارات – كما فى علم النفس المهنى –يتضح أن إضطرابات التآزر – أى إضطرابات إيقاع السلوك يشير الى وجود إضطراب سلوكى بل وأحياناً الى إضطراب بيولوجى فى المخ أو الجهاز العصبي .

وكثيراً ما نتعرف على المتخلفين عقلياً من عدم التآزر الحركى سواء فى المشي او فى الكلام ، كما أن ميكانيزم تشكيل الإيقاع السوى أو المضطرب يرتبط بفسيولوجية المخ (Livanove et al . 1983 , P . 118).

وكون الإيقاع الشخصي يقوم على أساس نيورولوجى فإن أى خلل فى الإيقاعات البيولوجية النيورولوجية ينعكس فى إضطرابات فيزيقة وسلوكية .ذلك أن بناءات المخ الأعلى خاصة التى تحيط بالتلاموس تلعب دوراً هاماً فى إصدار وتشكيل وتنظيم الحركات والمسئول عن هذا جزء فى المخ يسمى " Basal gangalia " (وهو جزء يتكون من أنويه عصبية تحت اللحاء) كما قد يؤدى أى تلف معين فيها الى مرض "Parkinson" ومن أهم أعراضه إضطرابات الإيقاعات الحركية فى الأطراف وحدوث رعشات وتقلص عضلى وتصلب وينعكس هذا فى إضطراب إيقاع المشي (Kolb , 1990 , P. 216) .

وكل كتب البيولوجى وعلم النفس الفسيولوجى تؤكد أن أى إضطراب فى الجهاز العصبى والعضلى ينعكس فى اضطرابات سلوكية معينة منها اضطرابات ايقاعات أداءات

معينة . وفى دراسة أجراها " بيك & شامبرز - Beck & Chambers " تم إحداث جراحة فى حزمة لحائية شوكية ، وجد أن زمن رد الفعل أى سرعة الأداء إنخفضت وحدث إضطرابات فى إستجابات العضلات القابضة أكثر من الباسطة ، وإتضح علمة أن لحاء المخ ضرورى لتنظيم إيقاعات وحركات الفرد العادية والماهرة (Ibid , P . 273) وأصبح من المؤكد أن أشكالاً مختلفة من الجراحات التى تصيب اللحاء أو الأعصبية الجمجمية ، تؤدى الى أشكال مختلفة من إهتزاز الإيقاع الحركى وإضطرابات حركية . مثل " Apraxia " (أىعدم قدرة الحركة على التوجه نحو تحقيق الهدف) ، " Araxia " (وإضطراب فى التآزر العضلى) (Catalepsy) ويتميز بتصلب عضلى وتختفى الحركات الإرادية (, Ibid P.284) .

وفى مقابل هذا يمتد إضطراب سرعة الإيقاع أو الأداء كمؤشر لإضطراب فى المخ كما يحدث فيما يستخدم سرعة أداء الفرد على مقاييس مثل البندر جشطالت أوتوصيل الدوائر T . Making كمؤشر للتعرف على ما إذا كان هناك إضطراباً عضوياً أو لا بالمخ .

ولعل ما يسمى بإيقاع الوعى سواء فى اليقظة أو النوم والذى يسير فى دورات ثابته متكررة محددة زمنياً والذى يظهر بوضوح فى إيقاع النوم حيث يبدأ النوم بما يسمى نوم حركة العين البطيئة NON REM وينقسم بدوره الى (٤) أقسام ويستغرق فى العادة (٩٠) ق يليه إيقاع حركة العين السريعة REM ويستغرق عادة من ١٠ - ٣٠ دقيقة وتتوالى هذه الإيقاعات بشكل نمطى إيقاعى . وأى خطأ بيولوجى أو عضوى خاصة فى الجهاز العصبي يحدث إضطراباً فى الإيقاع الشخصي ، خاصة إيقاع النوم وما قد يتولد عنه من صراع . (عبد السلام الشيخ , ١٩٩٣ ص ١٢٤ - ١٢٨) .

وقد أشار ايزنك الى أن السرعة التلقائية للأفراد تعطى القدرة على التمييز بين فئات من المرضى النفسيين ، كما ظهر ذلك فى دراسة ١٩٧٠ (Eysenck , 1973 ,p. 139 , Bonner , 1961 , p . 39) .

وفى النهاية يتأكد أن الايقاع الشخصى يمكن أن يكون مؤشراً جيداً للمرض النفسى كما ظهر من دراسة إنصاف تابه فى مقارنة بين ٦٢ راشد سوى ٣١ ذكر + ٣١ أنثى و٦٢ مرضى نفسيين عصابيين تم سحبهم من مستشفيات متعددة - اتضح أن كل

مقاييس الايقاع الشخصى التى استخدمتها الباحثه استطاعت التميز جوهرياً بين الأسوياءوالمرضى (إنصاف تابه ١٩٩٤ ، ص ١٧٤ جدول ٣٠) .

وفى ضوء هذا المقال نستطيع أن نؤكد ان متغير الايقاع الشخصى لم يزل جديداً على البحث العلمى وان البحوث القليلة المتباعدة منذ ١٩٣٠ - وحتى الآن لم تزل غير كافية لحسم المشكلة . غير أنها أكدت أن أى خلل فى ايقاعاتنا النفسيه والبيولوجية ... الخ انما يعنى عدم توافقنا مع ذواتنا ، بيولوجياً أو نفسياً أو اجتماعياً ، وقد يدمر الذات ، ولنا فى سيولة الدم مثال آخر فقابلية الدم للتجلط السريع مثل سيولته . كلاهما يمثل خروجاً على الايقاع الذى يعنى تناسق الجزء مع الكل ليخرج لنا من هذا سيمفونية متكاملة ، قد يكون الكون كله أو الانسان أو مهمة كالمشى أو الكلام . وأى خلل فى الايقاع ، مثلما فى حالة زيادة سيولة أو تجلط أو تركيز الدم إنما يعنى تهديداً للذات وتدميراً وشيكاً لها . ولذا نطرح هذا آملين من ورائه باحثين يهتمون بهذا الموضوع بما يفيد البشرية والعرب قبل أن نجد أنفسنا نستورد لنعيش .

نؤكد مرة أخرى - فى ضوء ما لدينا حتى الأن - أن الايقاع الشخصى يخضع لتنظيم وبرمجه موجودة فى الجهاز العصبى خاصة اللحاء . وان أى اضطرابات فى المخ أو الجهاز العصبى أو فى أعضاء الاستجابة ينعكس فى اضطرابات فى الايقاع الذى يظهر بوضوح فى المبيان النفسى وأى اضطراب فى هذا المبيان يمكن أن يؤخذ كمؤشر لإضطرابات السلوك ولكن تبقى الحاجة الى دراسات متتابعة توضح مدى التطابق بين اضطرابات الايقاع وما يشير إليه من اضطرابات سلوكية بمعنى محدد ونوعى بحيث توضح لنا أن هذا الخلل داخل بروفيل الايقاع يشير الى ذلك الخلل فى السلوك . ... وهكذا .. .

وقد حاولت دراسات متعددة اتخاذ سرعة الأداء مؤشراً لإضطرابات سلوكية معينة مثل دراسة " د. محمد نجيب الصبوه " حول سرعة الادراك البصرى لدى الفصاميين والأسوياء وانتهى فيها الى أن مقاييس سرعة الادراك البصرى . مثل سرعة الاستجابة وسرعة الادراك ميزت بدرجة عالية بين الفصاميين والأسوياء ، والغريب أن دقة الادراك لم تميز بينهما بما يؤكد نظريتنا فى أن الايقاع الشخصى كمتغير تعبيرى يمكن أن يميز - بكفاءة بين المرضى والأسوياء .

(د. محمد نجيب الصبوه ١٩٨٧ ص٢١٩) (عبد السلام الشيخ ، ١٩٧١) .

كما أكد ايزنك وركمان أن العصابيين يتميزون بدافع قوى يسهل الأداء فى المواقف البسيطة ويعوقه فى المواقف المعقدة (Eysenck & Rachman , 1965 , p. 106)

وفى " دراسة إنصاف تابه " التى اتبعت فيها منهج عبد السلام الشيخ - انتهت الى أن جميع مقاييس الايقاع الشخصى ميزت بدرجة دالة بين المرضى والأسوياء (إنصاف تابه ١٩٩٤ ، ص ١٧٤ جدول ٣٠) وعادة ما نتخذ من التصلب سواء حركى أو ادراكى أو معرفى مؤشراً لإضطرابات السلوك بل يؤخذ التصلب الادراكى كأحد الأعراض المميزة لمرضى العصاب - بعكس المرونة الادراكية أى الايقاع الطبيعى - الذى يؤخذ كمؤشر للصحة النفسية والعقلية . ويؤكد " ولمان " ان هذه الحقيقة ثابتة ومستقرة نجدها فى كل التراث السيكولوجى فى التحليل النفسى والجشطالت ونظريات التعلم .

(Wolman , 1965 , p . 959)

معنى هذا أن أى خلل فى الايقاع الشخصى يمكن أن يؤخذ كمؤشر لأى اضطراب سلوكى - غير أنه للتأكد من هذا الفرض نحتاج الى دراسات عديدة أخرى تحدد العلاقات بين أشكال إضطرابات الايقاع وأنماط السلوك ، غير ما سبق عرضه ، وتحدد بشكل أوضح كيفية رسم - بروفيل لإيقاعات الفرد - يحدده لنا بشكل متفرد ، ومن خلال آثار أو نتاج إيقاع الفرد فى البيئة الخارجية يمكننا متابعة صاحبه والتعرف عليه والتنبؤ بأشكال معينة من سلوكه .

ما تطرحه هذه الورقة من اقتراحات :

١- إمكانية وضع مقاييس فيزيقية وأدائية وألكترونية تقيس ايقاعات أداء الفرد المختلفة مثل ايقاع العضلات المشتركة فى الكلام والقراءة وتلك المشتركة فى التفكير وتلك المشتركة فى المشى .. الخ .

٢- أن نركز ليس على مجرد السرعة التلقائية للأداء ، بل نفضل أن تقيس سرعات توالى الحركات والسكنات فى شكل تذبذبات مثل موجات ايقاع المخ الكهربائية - EEG ، وكذلك تلك الموجات التى نحصل عليها من قياس ايقاع العضلات - EMG . (أنظر الرسم التوضيحى فى صفحة الملاحق) وبالمثل يمكن قياس الايقاعات النفسية

والمعرفية والادراكية الأخرى .

٣- من خلال القياسات السابقة يمكن أن نضع بروفيلاً للإيقاعات الشخصية بل يمكن أن نحصل لكل شخص على بروفيل خاص به يميزه ويفرده عن غيره من البشر .

٤- بالطبع لم نزل نحتاج الى دراسات عديدة فى هذا المجال تحقق وتؤكد ما سبق طرحه ، وكذلك تحاول أن تحدد كيف يرتبط اضطراب سلوكى معين بخلل محدد فى بروفيل ايقاع الشخص ، تماماً كما يحدث حينما نتعرف على اضطراب فى خلايا المخ من خلال التعرف على ايقاعات EEG .

٥- أنه يمكن مستقبلاً أن نحصل على بروفيل الايقاع الشخصى تمثل عينات معينة من البشر ، ومن خلال الحصول على بروفيل للإيقاع الشخصى لأى فرد يمكن أن ندرجه تحت الفئة الملائمة للإيقاع المعيارى المناسب له بل يمكن أن نكتشف اضطرابات المصاحبة لضغط سلوكى معين ، ، ومن خلال هذا سوف نستطيع أن نضع برنامجاً علاجياً عن طريق تعديل استجابات الفرد المريض نفسياً مما يسهل علاجه ، بل ربما نستطيع أن نتحكم من خلاله فى تعديل السلوك علمة ، أى عملية التعلم .

الفصل السادس

التمهيد لظهور علم النفس الجمالى التجريبى :

مرت الدراسة النفسية للجماليات بمرحلتين أساسيتين ، المرحلة الأولى نُظر إليها بمنظور أقرب إلى فلسفة الجمال من خلال دراسات وبحوث قام بها أصحاب التكوين الفلسفى فى القرن التاسع عشر ثم حدث تطوير إلى حد ما لهذه المرحلة على يد العالم الألمانى جوستاف فخنر (G. Fechner, 1876) رائد علم الجماليات التجريبى ، ثم تبعه دراسات ويتمر (Witmer, 1893) وكوهن (Cohen, 1893) وميجور (Megor, 1895) وهدفت هذه الدراسات إلى إرساء ما يسمى بعلم النفس الجمالى التجريبى بقصد صياغة قوانين التذوق الفنى والشعور الجمالى . (فلوجل ، ١٩٧٦ ، ص ص١١٦ -١١٧) ، (عبلة عثمان، ١٩٩٠ ، ص ص٦٨ -٦٩) (شاكر عبد الحميد ، ١٩٩٧ ص١٥) ، (عبد الستار ابراهيم ، ١٩٧٠ ، ص٣٠) إلا أنه كان يعيب هذه الدراسات بعض النقائص والمشكلات المنهجية منها :

١- ما يتعلق بالمشكلات الأمبريقية فى الحصول على نتائج واضحة .

٢- ما يتعلق بمشكلات التعريفات الإجرائية ومفاهيم الدراسات التجريبية .

٣- التناقض الواضح فى النتائج ، مع الاهتمام الضيق بالموضوعية .

٤- التأكيد المبالغ على أن الجماليات تنتهى إلى نتائج مؤكدة دون الاستناد للمنهج العلمى . (Pavel, 1995, P. 105) أما المرحلة الثانية فقد نُظر فيها للجماليات على أنها فرع من فروع علم النفس حيث امتدت المحاولات التجريبية لدراسة الجماليات إلى أخصب مجالات علم النفس وهو دراسة الشخصية على يد بيرت (Burt, 1939) وأيزنك (Eysenck,1941) وتوالدت بعد ذلك الدراسات التى استخدمت المنهج العلمى لدراسة سمات الشخصية وعلاقتها بالتفضيل الجمالى للأشكال والألوان واللوحات مثل دراسية (سيفنسون Stephenson, 1935) وباريت وايتون Barrett & Eaton, 1947) ولين وبتلر (Lynn & Butler, 1962) وبيرلين (Berlyne, 1961) . (ليندلور ١٩٩٦ ، ص٢٣١) ، (Gotz& Gotz, 1976, P 251) (scheneder, et.al, 1993, P.255)
(مليكة ، ١٩٩٧ ، ص٧٧٠ ؛ ١٩٩٢ ، ص ٥١٧)

التعريف بالتذوق (التفضيل) الجمالى :

(١)- الجماليات :

يذكر بيرلين Berlyne, 1974 أن الجماليات واجهت العديد من الصعوبات بالرغم من وجود العديد من الكتاب الذين عكفوا على الكتابة فى هذا المجال والجدير بالذكر أن مصطلح الجماليات والذى يعنى (لكى ندرك) قد اشتق أساسا من الفعل اليونانى Aisthanomia حيث،

أكتسب تضميناته مصادفة ..... إلى أن جاء الفيلسوف الألمانى (بومجارتين Boumgarten) فى منتصف القرن التاسع عشر حيث بحث عملية اكتساب المعرفة عن طريق الإدراك والتمثيل مقابل إدراكها عن طريق المنطق والتفكير ، إذ كانت اهتماماته منصبة على مناقشة خصائص الشعر ، وبعض الفنون الأخرى التى ظلت مرتبطة بكلمة الجماليات حتى يومنا الحاضر .
(Berlyne, 1974, P.1)

تعريف الجماليات :

يشير جور (Gore, 1993) إلى أن مصطلح الجماليات يتضمن المعانى الآتية :

١ـ ما يتعلق بالجماليات التأملية أو الفلسفية الذاتية المتسامية .

٢ـ ما يتعلق بفلسفة الفن والنظريات التى تشرح وتصنف الفنون ويشترك فى ذلك كل من علم النفس والأنثربولوجيا وتاريخ الفن .

٣ـ ما يتعلق بالتذوق الجمالى أو الاستجابة الجمالية أو الحس الجمالى للفرد .
(Gore, 1993, P.34)

فى حين يعرفها سوزرلاند (sutherland) بأنها الدراسة الفلسفية أو الدراسة السيكولوجية لطبيعة الجمال . (Sutherland, 1989, P.12) كما يشير (ستراتون وهايز Stratton & Hayes) إلى أنها دراسة طبيعة الجمال أو الدراسة الخاصة بالخبرة الإدراكية المكافئة .(Stratton & Hayes, 1993, P.11) واتفاقا مع بيرلين ، فقد عرف ولمان (Wolman, 1973) الجماليات بأنها الدراسة الخاصة بأساسيات الجمال ، وتنقسم إلى نوعين فهى إما أن تكون دراسة تجريبية ، وفى هذه الحالة تكون ذات منحنى سيكولوجى ، وإما أن تكون دراسة عقلانية تصويرية وفى هذه الحالة تكون ذات منحنى فلسفى .
(Wolman, 1973, P.11) (Berlyne, 1974, P.2)

الجماليات التصويرية [1](العقلانية) : وهى مبحث فلسفى خاص يعتمد على الاستنتاج الفلسفى من خلال المفاهيم والمبادئ النظرية الذاتية والافتراضات العامة فضلا عن استبصارات وخبرات واعتقادات المؤلفين حيث يعالجون الجماليات بمنهج تأملى وكذلك النصوص الخاصة فى الفنون الموسيقية والأدبية والبصرية حيث يعد المحك الأساسى للصدق هو مدى شعور المتلقى بالاقتناع . (Berlyne, Ibid)

الجماليات الإمبريقية[2]: وهى مبحث سيكولوجى خاص بالعلوم السيكولوجية ، والتى تختص بدراسة أشكال السلوك التى تتركز حول الأعمال الفنية والظواهر الجمالية ، من خلال استخدام أدوات وموضوعات تتفق مع متطلبات العلم التجريبى من حيث التصميمات التجريبية المتنوعة والتحليلات الإحصائية للبيانات المستخدمة فى البحوث والتجارب .

---

[1]Specalative Aesthetic.
[2]Emperical Aesthetic

(Berlyne, Ibid, PP. 3-4)

وينظر (فرج طه ، ١٩٩٣) للجماليات الإمبيريقية على أنه فرع من فروع علم النفس الذى يهتم بدراسة وبحث العوامل النفسية التى تسبب الإحساس بالجمال مع بيان مدى الفروق الفردية بين الأفراد ، وربط ذلك كله بسيكولوجية المتذوق نفسه ، وبخصائص المثيرات التى تبعث على الإحساس بالجمال فى النفس . (فرج طه ، ١٩٩٣ ، ص ٤٠٠)

(٢) - تحديد موضوع التذوق :

انتهى الشيخ (١٩٧١ ، ١٩٧٧ ، ١٩٨٢) إلى تحديد موضوع الجماليات بالنسبة لفروع الدراسات الإنسانية الأخرى على النحو التالى :

١- العمل الفنى الخارجى كالشعر ، الموسيقى ، الفن التشكيلى ، إنما يخضع موضوعه لأصحابه من فنانين مبدعين ، ونقاد .

٢- الجمال باعتباره قيمة عليا أو خارجية مجردة إنما يندرج فى دائرة الميتافيزيقيا .

٣- أما الإحساس بالجمال أو إدراكه أو الحكم الجمالى أو الاستجابة لمثير جمالى كل هذا إنما يمثل موضوعا أساسيا لعلم النفس . (الشيخ ، ١٩٨٢ ، ص ١٦٤)

(٣) - تعريف التفضيل (التذوق) الجمالى :

مفهوم التذوق الجمالى : التذوق الجمالى نسيج سلوكى يدخل بشكل شائع فى تكوين استجاباتنا ، ليكبر ويتضخم فى إحداها ويضمحل ويكاد يختفى فى الأخرى ، وهذا النسيج السلوكى لا يكون استجابة كاملة، وإنما هو أحد عناصر المكون التعبيرى من السلوك حيث يتضمن حكما تقديريا يصدر من المتذوق بشأن قبول أو رفض موضوع التذوق سواء كان سمعيا أم بصريا ، نتيجة لخبرة جمالية يعايشها المتذوق ويعاينها ، إذ تؤدى به إلى الاستمتاع بالمثير الفنى ، كما أن هذا التذوق يتناسب عكسيا مع الوعى والإرادة .(الشيخ ١٩٧١، ص ص ١٣٥- ١٣٦ ، ١٩٨٧، ص ١٠) (إلهام خليل ، ١٩٩٦، ص:١٦٣)

تعريف التذوق الجمالى : أشار جيلفورد(Guilford 1959) إلى أن التذوق الجمالى يشير إلى عمومية من التفضيلات التى تظهر بواسطة أناس يصدرون أحكاما تقديرية فى مجال الفن . (الشيخ ١٩٧١، ص١٣٧) فى حين حدد فانك (Funk, 1962) معانى مختلفة لمصطلح التذوق الجمالى منها : ١- تعنى تقديرا حقيقيا وعاطفيا لتميز شئ ما . ٢- تعنى تقديرا للحساسية المرهفة والإدراك الحاد . ٣- تعنى قيمة معينة أو حكما معينا (تقديريا) على موضوع ما .

٤- تعنى التقدير أو التقييم . (الشيخ ١٩٧١، ص :١٣)

أما فؤاد أبو حطب ١٩٧٣ فيعرف التذوق الجمالى بأنه نمط مركب من السلوك يتطلب فى جوهره إصدار أحكام على قيمة شيء معين أو فكرة أو موضوع من الناحية الجمالية ،

وهذا السلوك المركب يتطلب أن نحلله إلى مكوناته حتى يمكن دراسته ، حيث ميز تشايلد (Child, 1963) بين ثلاث عمليات للتذوق الجمالى :

١ـ الحساسية الجمالية ٢ـ الحكم الجمالى ٣ـ التفضيل الجمالى

• **الحساسية الجمالية**[1] : استجابة الفرد للمثيرات الجمالية استجابة تتفق مع مستوى محدد من مستويات الجودة فى الفن ، من خلال الاختبارات فى هذا المجال يتطلب من المفحوص أن يعبر عن تفضيله لعملين فنيين .. إحداهما من ابتكار فنان مبدع ، والأخرى عمل أدخل عليه بعض التشويه بحيث يخرق قاعدة أو أكثر من القواعد الأساسية فى الفن .

(أبو حطب ، ١٩٧٣ ، ص٥)

• **الحكم الجمالى**[2] : ويقصد به درجة الاتفاق بين الحكم الذى يصدره على العمل الفنى وأحكام الخبراء فى الفن ، ويختلف هذا المكون من مكونات التذوق الجمالى عن المكون السابق، حيث أن المحك الخارجى ليس هو إبداع الفنان الذى يتناوله البحث بالتفضيل ، وإنما هو درجة اتفاق الخبراء فى الميدان ويعنى هذا بالطبع مدى مسايرة المفحوص للمقاييس الفنية الشائعة فى ثقافته. (المرجع السابق)

التفضيل الجمالى : هو نوع من الاتجاه الجمالى الذى يتمثل فى نزعة سلوكية عامة لدى المرء تجعله يحب (يقبل أو ينجذب) فئة معينة من أعمال الفن دون غيرها ، ومعنى ذلك أن التفضيل الجمالى يتعلق بالأثر الذى تحدثه الأعمال الفنية فى أبسط مظاهرها ، فهو يعبر عن صورة القبول أو الرفض . ويتطلب ذلك أن تكون الأعمال الفنية من فئات مختلفة . (شاكر عبد الحميد ١٩٩٥، ص٢٤٠) ويشير برلين (Berlyne, 1974) إلى أن التفضيل الجمالى يمثل نسيجا سلوكيا وليس استجابة كاملة يمتد هذا النسيج فى معظم استجاباتنا ، وينعكس فى الإحساس بالاستمتاع ، ويؤدى إلى درجة ما من تقبل أو رفض الموضوع الذى أثار فينا هذا الإحساس.من خلال (الشيخ ، ١٩٨٧ ، ص١١) ومن ثم كان تداخله مع الاتجاهات، غير أن الوعى والإرادة أو الاستنتاج العقلى يجب أن يقل إلى أدنى حد ممكن وراء هذا الإحساس الذى يمكن أن يطلق عليه الإحساس بالجمال ، والذى يتضمن أحكاما لفظية متباينة مثل الإحساس بالسرور والنشوة أو المتعة أو حتى مجرد الرغبة فى رؤية المثير أو سماعه . (المرجع نفسه)

(٤) تذوق فنى أم تذوق جمالى :

ذكر (كوان ١٩٨٣، Coan) أن الخبرة الجمالية لا تقتصر على العمل الفنى البصرى فقط ، بل تمتد كذلك إلى التشكيلات الموسيقية ، والشعرية .(Coan, 1983, P.288)وأشار

---

[1] Aesthetic sensitivity

[2] Aesthetic Judjment.

(بيرلين ١٩٧٤، Berlyne) إلى أن تذوق الجمال يمتد ليشمل العديد من النشاطات اليومية ابتداءً من حل المسائل الحسابية ومرورا بالأعمال المنزلية ، فلا يوجد شئ فى حياتنا إلا ويتضمن فى جانبه قدرا من الجمال . (Berlyn, 1974, P.1)

وبناءً على ما سبق أكد (الشيخ ، ١٩٨٧) على ضرورة رفض مصطلح التذوق الفنى حيث يشير إلى فئة محدودة فقط من استجاباتنا ، قد يكون منها استجابات أخرى لا ينطلق عليها تذوقا فنيا ، ومن ثم فلا يحق لنا أن ننسب إحساسنا بالجمال لفئة محدودة فقط من مثيرات هذا الإحساس ، فهناك مثيرات أخرى عديدة سواء كانت طبيعية أو اجتماعية أو فنية أو........ (الشيخ،١٩٨٧ ، ص ص ٨-٩) (سولنتيز،١٩٨١ ، ص ص ٢٩ - ٣١) كما أن مصطلح التذوق الفنى لا يعنى مجرد الرفض أو القبول للموضوعات الفنية فقط بل يشير إلى دراية من جانب المتذوق بحالات وجدانية عديدة مختلفة يمكن تسميتها بالخبرة الإستطيقية . من خلال : (إلهام خليل ، ١٩٩٦، ص ص١٦٢ - ١٦٣) (هويسمان ، ١٩٥٩)

(٥) عمومية (شيوع) التذوق (التفضيل) الجمالى فى السلوك :

يذكر (سويف ، ١٩٧٠) أن تذوق الجمال كسلوك تعبيرى ملازم لكل فعل إرادى يصدر عن الإنسان ، ومن الصعب جدا تصور إنسانا يقف محايداً بدون مفاضلة بين مثيرات متباينة فى المجال الإدراكى . من خلال : (الشيخ ، ١٩٧٧، ص١٢١) كما أن خبرة التذوق هى قيمة ثرية متسعة المجال ، متعددة الخصائص ، كثيرة الارتباطات بالتراث والمستوى الثقافى ، والنضج النفسى ، كما أنها متعددة الأبعاد وفقا لمستوى رؤية المتلقى ، وهى قد تحقق للبعض لذة ومنفعة أو تسلية وقد تمثل للآخرين احتياج ضرورى للعديد من النشاطات اليومية مثل مناقشة مشكلة سياسية أو ارتياد المحلات للشراء أو لعب التنس ، ومن ثم فهى عملية نفسية متعددة الأبعاد . (كيت هفنر ،١٩٦٦ ، ص ٤٩٦) .
(رناء ابراهيم ، ١٩٩٧ ، ص ص١٤-١٦) (دينس كالاندر ، ١٩٩٥ ، ص١٤٣)

هذا يعنى أن التذوق (التفضيل) الجمالى يتدخل فى كل استجاباتنا ، فى كل ما نسمع أو ندرك أو نرى ، وتأتى المتعة الحقيقية من خلال التأثر بكل ما نتذوقه حيث يجعلنا نشعر بلذة النشوة حين تهتز مشاعرنا إزاء المواقف التى نمر بها فى خبرة التذوق .. وكأن التذوق فى ذاته يؤدى إلى تذوق آخر ، ومتعة أخرى فى شكل صيرورى وكأنه كتب على الإنسان أن يكون متذوقا للجمال ، ومن ثم فليس من السهل دراسة الاستجابة الجمالية بكافة أشكالها .(نوبلر، ١٩٩٢ ، ص١٧) وترجع مثل هذه الصعوبة إلى عمومية التفضيل وكثرة ارتباطاته بالعديد من المتغيرات مثل القيمة المكافئة ، والمنفعة ، والنماذج التفضيلية ، والأفكار المتضمنة، ومتغيرات الشخصية ، والحالة السيكوفسيولوجية . (Roy, etal ,1991, P.35)

(٦) أهم الشروط التى تنطبق على استجابة التذوق الجمالى :

١ـ لا تهدف إلى حل مشكلة عقلية ، أو منفعة عند مستوى الوعى . ٢ـ التلقائية .

٣ـ انخفاض الوعى الإرادى . ٤ـ أن تتحدد بحالة الكائن الحى أكثر مما تحدد بمتغيرات اللحظة الراهنة . ٥ـ لابد أن تعبر عن الخبرة الوجدانية للمتذوق الناتجة عن تفاعله وإدراكه للمثير الفنى. ٦ـ لابد أن تكون هذه الاستجابة نتيجة مباشرة للخبرة الجمالية . (الشيخ، ١٩٧٧، ص٨٩ ؛ ١٩٨٢ ص٨) (مفنر ١٩٦٦ ، ص٤٧٨) ٧ـ من الضرورى أن يوجه المتذوق إهتمامة إلى الشئ الذى أمامه كما لابد له من الإحساس بالجو الممتع والوسط المريح الذى يلبى حاجات الفرد الحسية (نوبلر ، ١٩٩٢ ، ص ص ١٨ - ٢٠)

(٧) خصائص التفضيل الجمالى :

١ـ يتضمن التفضيل الجمالى داخل عملية التذوق ، ومن ثم فله القدرة على الدخول بشكل شائع فى تكوين الاستجابات ، والقدرة على كشف أغوار الشخصية . ٢ـ تخلو استجابة التفضيل الجمالى من المنفعة المباشرة أو التبرير العقلى فإذا توافرت المنفعة فى استجابة التذوق ألغت خاصية الإحساس بالجمال (عكس الاتجاهات) . (الشيخ ١٩٩٤ ، ص٣٤٦ ؛ ١٩٨٧ ، ص ١٢) ٣ـ يتصف التفضيل الجمالى بصبغة وجدانية وانفعالية تتشكل فى صورة تقرير لفظى أو سلوكى لقبول أو رفض المثير الفنى ، ومن ثم ليكون لديه القدرة على إصدار أحكام تقديرية . ٤ـ تتنزه استجابة التفضيل عن أى منفعة أو تبرير عقلى إرادى يقصد مباشرة حل مشكلة أمام الوعى . ٥ـ ولما كان التفضيل الجمالى يدخل ضمن نطاق المكون التعبيرى من السلوك فإنه يتميز بالصدق والتلقائية والثبات النسبى وصعوبة التزييف .

(الشيخ ، ١٩٨٨ب ، ص ٤٧)

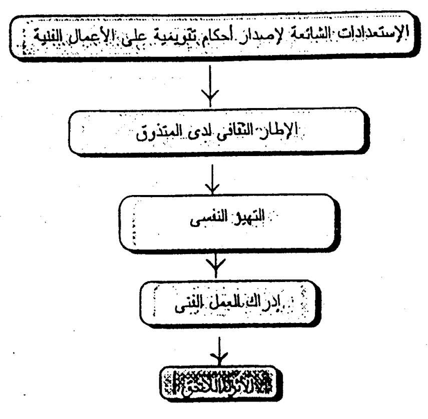
ثانيا تحليل عملية التذوق نظريا

(١) موقف التذوق الجمالى :

يشير (حنورة ، ١٩٨٥) أن المتلقى للعمل الفنى لا يتلقاه عرضا أو بالصدفة ، بل يتلقاه عامدا ، وهى خاصية يتميز بها التذوق الجمالى ، حيث إنها تتطلب تجهيزاً وانتباهاً ، أى أن هناك تهيؤ نفسياً معينا يحرص المتلقى على توفيره قبل وأثناء عملية التلقى . (حنورة ، ١٩٨٥، ص٩٦) ويعرف (سولينتز ،١٩٨١) الموقف الجمالى بأنه انتباه ، وتأمل متعاطف ومنزه عن المنفعة لأى موضوع للوعى على الإطلاق من أجل المثير الجمالى لذاته وحسب ، وهذا يعنى أننا نكيف استجاباتنا الجسمية والانفعالية بحيث نندمج عاطفيا بأحاسيسنا فى الموضوع المتذوق، بل يصل بنا الحال إلى أن نكبت أى استجابة تكون غير متعاطفة مع الموضوع ذاته، وتؤدى بنا إلى التباعد عنه . (سولينتز، ١٩٨١،ص ص٤٧-٥٣)

(٢) تصور (سويف ١٩٨٣) للاستجابة الجمالية :

قدم (سويف ، ١٩٨٣) تصورا خاصا لعملية التذوق الجمالى يتفق مع القانون الأساسى للإدراك فيرى سويف أن عملية التذوق تبدأ بتناول الفرد للعمل الفنى ، وتمتد به مع امتداد إدراك الفرد لأجزائها المتتالية على أن يصاحب هذا الإدراك فترة (تهيؤ للنفس) بكل ما فيها من جوانب وجدانية ودينامية وعقلانية ، وذلك فى إطار ثقافى خاص بالمتذوق ، واستعداداته الشائعة لأن يصدر أحكاما تقويمية أو تفضيلية جمالية على المثيرات الفنية ، ولا تنتهى هذه الحالة الوجدانية بمجرد انتهاء الإطلاع على المثير المشاهد ، بل إنها قد تمتد فترة من الزمن (الأثر اللاحق) تتجدد مع كل خبرة جمالية جديدة فهى نشوة لحظية فورية تغمرنا : حيث تتكشف لنا ذاتنا عارية بكل ثرائها الحق .... هذا ، وإن القدرة على التذوق الجمالى تكمن فى كل شخص ، كما أن كل خبرة جمالية مهيأة لخبرة جديدة ، ويوضح الشكل الآتى المراحل الأساسية التى تمر بها خبرة التذوق الجمالى .

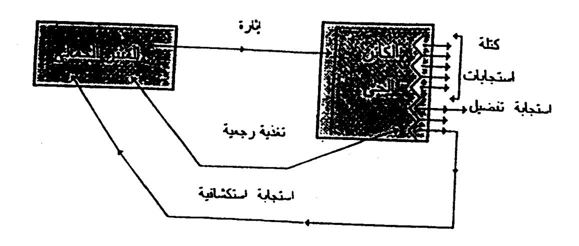


شكل (٣) تخطيط للمكونات الأساسية لخبرة التذوق الجمالى

المصدر : (سويف ، ١٩٨٣) من خلال : (إسماعيل ، ١٩٩٣ ، ص ص١٠-١٣)

(٣) ـ تصور الشيخ ، ١٩٧١ ، ١٩٧٧

إن فعل التذوق الجمالى ، هو فعل معقد يتضمن فى أساسه عدة استجابات لعل من أهمها استجابة التفضيل أى تفضيل مثير على الآخر ، أو من بين عدد من النظائر كما يتضمن فى ذاته استجابة استكشافية ، وإذا كان السلوك التفضيلى الجمالى للمرئيات هو فى جوهره فعل إدراكى بصرى ، فإننا يمكن أن نعتبر أى مثير جمالى إنما هو مثير إدراكى يستقبله الكائن الحى الذى يدرك هذا المثير ويستجيب له داخليا وخارجيا بواسطة تغذية رجعية تغير من طبيعته ودرجة الإثارة ، ومن ثم تتجدد هذه الدورة ، المثير يستثير إشارة عصبية إلى الكائن الحى حيث يستقبلها وينظمها ويعطيها معنى اجتماعيا ، وشخص يحدد طبيعة تكيفه معها تبعا لبنائه السيكوفيزيقى ، ثم يصدر كتله من إستجابات منها استجابة تفضيل جمالى ، وأخرى استجابات أدائية ، بيد أن هذه الإشارة التى يرسلها المثير تحدد مدة الاستكشاف ، وبالتالى تعطى تغذية رجعية ، تؤثر فى الاستكشاف نفسه ورد الفعل لهذا المثير ، وكذلك استجابة التفضيل ، والتى وجد أنها تتأثر بما يسمى بخصائص المثيرات ، فضلا عن متغيرات الشخصية. (الشيخ ، ١٩٧٧ ،ص ص٢٧-٢٩)



شكل (٤) تحليل سلوك التفضيل الجمالى

(الشيخ ، ١٩٧٧، ص٢٧)

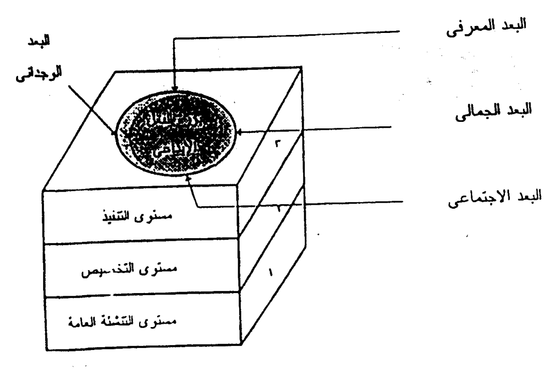
(٤) تصور حنورة ١٩٨٥

إن الخبرة الجمالية باعتبارها أحد الجوانب للخبرة البشرية تستند فى الواقع إلى الإطار المرجعى للمتذوق ، والذى يعتبره روجرز (Rogers, 1972) أسلوب كل منا فى تلقى الحياة والتعامل معها . من خلال : (حنورة ، ١٩٨٥ ، ص٢٦)

ولما كان الأساس النفسى الفعال [١] ليس مجرد إطار معرفى أو وجدانى كما يشير بعض الباحثين (روجرز) ، وليس مجرد نسق اعتقادى كما يرى هارفى (Harvey) ، بل إنه حالة من التكامل النفسى أو مستوى ما من مستويات هذا التكامل يطبع بطابعه كل ما يصدر عن الإنسان من سلوك ، ويرى (حنورة) أن هذا الأساس النفسى يتكون من أربعة جوانب :

١ـ الجانب المعرفى : والذى يمثل البطانة المعرفية الاستدلالية القادرة على الفهم والمقارنة . ٢ـ الجانب الوجدانى : والذى يعبر عن درجة الرضا والميل إلى الانفعال بالعمل الفنى . ٣ـ الجانب الاجتماعى : والذى يمثل البطانة الثقافية التى تمد الفرد بمعايير التقبل أو الرفض للعمل الفنى . ٤ـ الجانب الجمالى : ويمثل الأسس التقويمية التفضيلية التشكيلية والإيقاعية بما تتضمن من استعدادات جمالية وميول تفضيلية وحب استطلاع واستكشاف .

(حنورة ، مرجع سابق ، ص ص١١-٢٨)



شكل (٥) نموذج الأساس النفسى الفعال

(حنورة ، ١٩٩٥، ص٢٠٠ ا ١٩٨٥ ، ص ٣٣)

يشير حنورة ١٩٨٥ إلى أن هذا الأساس النفسى لابد وأن يمر بمراحل ثلاث قبل أن يصل إلى كمال الإجادة لعمل ما من الأعمال حيث تبدأ من مستوى التنشئة العامة والاكتساب المتعدد لخبرات الحياة ثم يحدد الفرد نوع الخبرة المختارة وممارستها بشكل تخصصى ، وأخيرا ينتقل إلى ممارسة هذه الخبرة فى شكل ابداعى أو تذوقى ، ومن ثم فإن الأساس النفسى بهذا الشكل يمثل حالة من النشاط المتوازن بين عناصره الأربعة ومراحلة الثلاث تمكن للمتذوق من تلقى المثير الجمالى بحالة من الهدوء والكفاءة تنعكس من خلال الحكم التفضيلى الذى يصدره .   (حنورة ، ١٩٨٥ ا ١٩٩٥ ، مرجع سابق)

ثالثاً : النظريات المفسرة للتذوق الجمالى

من خلال تناول تحليل الاستجابة الجمالية وما انتهى إليه الباحثون من تحديد وتعريف موضوع التذوق الجمالى ، ينتقل الباحث إلى أهم النظريات الأساسية الأخرى ، والتى يمكن أن تساعد على إبراز المعالم الأساسية لمتغير التفضيل الجمالى ولعل من أهم هذه النظريات هى نظرية الجشطالت ، ومستوى التكيف والتحليل النفسى والنظريات السلوكية ومعادلة بيرخوف وفكرة القطاع الذهبى ونظرية المعلومات :

١- نظرية الجشطالت : يعتبر ارنهام (Arnheim, 1954,1974) من ا... ...ين الأوائل لنظرية الجشطالت ، حيث أسهمت أراءه فى تطوير ونمو هذه النظرية ، فقد ... على أن الإدراك البصرى هو عملية إيجابية تتم من خلال إعادة بناء التفكير فى طبيعة الصور أو

الفنون المرئية ، وقد أنطلقت النظرية من عدة مبادئ منها سيكلوجية الإدراك الكلى [١] وتأثير الشكل والأرضية [٢] . (Kennedy, 1986. P.1553) وأشار كوفكا (Koffka, 1940) إلى أننا لا نرى عناصر ، بل نرى صيغا إدراكية يميل المخ البشرى إلى تنظيم الأشكال بناءً على مقاييس محددة منها السيمترية ، البساطة ، التوازن .... ، وأن الإدراك فى ذاته بمثابة عملية فنية كما أشار (أ رنهايم) إلى أننا يمكننا استنتاج السلوك التعبيرى مباشرة من عملية الإدراك . (الشيخ ، ١٩٧٧، ص ص٧-٨) وقد أظهرت دراسات عديدة أخرى لأصحاب نظريات الجشطالت من أهمها دراسة برات (Pratt, 1931) وليبس (Lipps,1940) حيث انتهت إلى وجود ما أطلقوا عليه الحركة العضلية المصاحبة للإدراك فى الفن بالتقمص ، حيث طبقت هذه العملية على التذوق أمثلة مختلفة من الفنون (العمارة ، النحت) واتجه إلى نفس الإتجاه (جرو Groo) عندما أفترض بأن هناك إحساسات عضلية بحركة أجسامنا تحدث فى باطننا عندما ندرك الأشكال التى سماها (المحاكاة الداخلية) (عبلة عثمان ، ١٩٩٠،ص ص ٧٧-٧٨)

(٢) نظرية مستوى التكيف [٣] :

ترى نظرية مستوى التكيف أن لكل فرد منا مستوى أمثل لتكيفة ، وقد نظرت لمحددات السلوك الجمالى داخل الفرد نسة أكثر من خارجه ، حيث ترى أن الميول التعبيرية تؤثر فى الجهاز العصبى ، وأنه ليس من الضرورى أن يكون كل مثير جميل مفضلاً ، بل إن الأمر يتوقف على عملية التكيف التى تحدث بين هذا المثير ، وبين الشخصية المدركة له . (الشيخ ، ١٩٧٧ ،ص ص٨-٩) هذا وقد أثبتت التجارب والأدلة العلمية أن الإنسان يسعى دائما للحفاظ على قدر متوسط من جهد الإثارة حيث أشار الباحثون إلى أن صورا كثيرة من الإثارة تكون مقبوله فى كثافتها المتوسطة ، وتصبح كريهة إذا ارتفعت كثافتها أكثر من ذلك المستوى . (بيرلين ، ١٩٩٣، ص ص٢٧٥-٢٧٦)

(٣) ـ نظرية التحليل النفسى :

لقد فسرت نظرية التحليل النفسى سيكلوجية التذوق من نفس وجهة النظر التى فسرت به سيكلوجية الإبداع ، فقد افترضت أن المتذوق أثناء تعاملة مع العمل الفنى يتسامى بطاقته اللاشعورية المكبوته عن طريق التنفيس عنها والعلو بها من خلال الرموز التى تتسم بها الأعمال الفنية (Freud, 1938) ، كما أن سر اللذة التى يشعر بها المتذوق أثناء مشاهدته للعمل الفنى ترجع إلى توحد المتذوق مع العمل الفنى المعبر عن أحاسيس الفنان ، حيث يمر بنفس الخبرة التى عايشها الفنان ، وأن الميكانزمات التى تتحكم فى الإبداع الفنى هى نفسها التى

---

[1] Gestalt Psychology- Perception.

[2] The Figure- ground effect.

[3] Level of adaptation theory

تتحكم فى آليات الأحلام والعصاب والتى إن لم ينفس عنها الفرد بأسلوب سوى سيضطر إلى التنفيس عنها بأسلوب غير سوى ومرضى (O.Rank, 1956) .

من خلال : (عبلة عثمان ، ١٩٩٠ ، ص ص٧٥-٧٦)

(٤) النظرية السلوكية :

لقد كانت اسهامات النظرية السلوكية مقيدة بفكرة البحث العلمى والتجارب الفنية المنضبطة للكشف عن الجوانب المختلفة للسلوك لدى المتذوق ، حيث افترضت أن الإنتاج الفنى ما هو إلا منبهات حسية تثير لدينا بعض الاستجابات ، فالعمل الفنى ينبه مراكزنا الحسية بما تحمله من موجات ضوئية أو صوتية أو وسائل فيزيقية أخرى (فلانتين Valentine, 1962) أليس (Ellis, 1952) وبريغوس (Brighous, 1952) جرونوالد (Grunewald, 1953) ، وتعود دراسات بيرلين Berlyne من أهم المساهمات النظرية التى أسهمت بها النظريات السلوكية فى مجال الدراسات النظرية لسيكولوجية التذوق فى العصر الحديث .

(عبلة عثمان ، ١٩٩٠ ، ص٧٩)

نظرية بيرلين :

سيعرض الباحث لهذه النظرية بالقدر الذى يبين الأصول العامة للنظرية (حيث أنها سوف تُناقش تفصيلا فى موضع لاحق) بيد أن بيرلين قد أعتمد فى نظريته على مفاهيم جديدة مثل المتغيرات المقارنة (البارزة) وخصائص المثيرات التى يمكنها أن ترفع من مستوى الحث عند التذوق من خلال ارتباط هذه المتغيرات بمستويات معينة من عدم اليقين أو التأكد ، وافترض بيرلين نموذجا للاستثارة فى صورة تغيرات عصبية فى المخ البشرى حيث قرر أن المثيرات التى تستثير مستوى متوسط من الاستثارة تبعث أكبر قدر من السرور ، ومن ثم فالدرجة المتوسطة من المتغيرات المقارنة تبعث سرورا أكثر من ذات المستويات العالية لهذه المتغيرات ، وأطلق على ذلك نظام المكافئة ، وبذلك فقد عارض فكرة التحليل النفسى الخاصة بمبدأ اللذة ، وفسر الشعور بالسرور فى ضوء مبدأ المكافئة من خلال ارتباطه بأسس فسيولوجية. (عبلة عثمان ، مرجع سابق) (شاكر عبد الحميد وأخرون ، ١٩٨٩، ص٣٣)

كما أطلق بيرلين على كل خصائص المثيرات التى ترفع أو تغير مستوى الحث إسم طاقة الحث [1] ويشير هذا المصطلح إلى القوة السيكولوجية لنمط المثير (Berlyne, 1971) ، كما ربط بيرلين مستوى الحث المثار بواسطة خصائص المثيرات (المتغيرات المقارنة) بالسلوك الاستكشافى الذى هو جوهر نظريته ، ويعتبر بيرلين ومعاونوه أهم من أدخلوا التجربة

[1] Arousal Potential

فى علم النفس الجمالى منذ ١٩٦٠ ، وتعتبر نظريته من أكثر النظريات التى أقيمت على أساس سيكلوجي وتجريبي . (الشيخ ، ١٩٧٧ ، ص ص ٢٤-٢٦)

(٥) معادلة بيرخوف Birkhoff

قدم بيرخوف (Birkhoff, 1933) صياغات رياضية متعددة يعبر بها عن القيم الجمالية ، رغم أن هذه الصياغات الرياضية قد خوفت بعض الفنانين المعاصرين له ... إلا أنهم سلموا أخيرا بأن الفن فى جوهره مرآة للنسب والفراغ والتباين والشدة وكلها مفاهيم رياضية بدرجة واضحة واعتبر قيمة النظام أوالترتيب (ر) وقيمة التعقيد (ت) للمواد المختلفة تعد من المحددات الأساسية للنواحى الجمالية ، حيث صاغ معادلة للقيم الجمالية (م) تتضح من خلال هذه الصياغة م = (ر/ت) . إلا أن بيرخوف وضع هذه المعادلة ليس على أساس البيانات التجريبية ولكن على أساس نظرى ، الأمر الذى جعل أيزنك (Eysenck, 1942) أن يعدل هذه المعادلة إلى م= (ر x ت) ويعنى ذلك أن القيمة الجمالية يمكن تعزيزها بزيادة التعقيد أو بزيادة الترتيب (النقص فى التعقيد) . (بيرلين ،١٩٩٣ ، ص ص٣٢٣-٣٢٥)

إلا أن معادلة بيرخوف تعد محدودة جدا لفهم الخبرة الجمالية من حيث أن قياس السلوك الجمالى بواسطة خاصيتين متضادتين يجزئ فى شكل جمل تفضيلية قد تكون الإجابة عليها مثارا للشك . (أحمد ، ١٩٩٣ ، ص٢٨) ، (الشيخ ، المرجع السابق ، ص١٣)

(٦) ـ فكرة القطاع الذهبى[1] :

لوحظ منذ أقدم العصور أن تقسيم الأطوال أو الأشكال حسب نسب معينة يعطى إحساسا أكبر بالجمال ، (فراج ، ١٩٨٤، ص١٠٧) وقد ظهرت فكرة القطاع الذهبى من خلال أفكار (وتمر ، ١٨٩٣) (وودورث ، ١٩٣٨) وتبلورت فى وجود نزعة متماسكة للأولويات حول نسبة القطاع الذهبى ، أى طول المستطيل الذى ضلعه القصير ١,٦١٨ من الضلع الأطول.(بيرلين ، مرجع سابق ، ص ٣٢٢) ، أو هى النسبة التى يكون فيها التقسيم كما يلى: (الجزء الأكبر : الجزء الأصغر) = طول الخط بأكمله : الجزء الأكبر ،وهذه النسبة هى العامل الثابت التقريبى فى المتواليات الآتية : ٢،٣،٥،٨،١٣،٢١،٣٤،٥٥،٨٩،.... أي المتواليات التى يكون فيها كل رقم مساويا لحاصل جمع الرقمين السابقين له. (عبد الفتاح رياض، ١٩٧٤،ص ص ٣٩٠-١٤٣). بيد أن هذه النسبة تعبر عن مدى التوافق والانسجام من حيث إيجاد العلاقة المثالية بين أبعاد الشكل المرسوم ، إلا أن دراسة سوزان وجون (Susan, & Johan, 1991) والتى أجريت على ١٢٩ طالبا جامعيا لاختبار فرض القطاع الذهبى فى عملية التفضيل الجمالى للأشكال الهندسية، انتهت إلى أنه لم يظهر أى دليل لتفضيل المفحوصين لنسبة القطاع

[1] Golden section

الذهبى ولا حتى النسبة القريبة منه ، فقد كـان تفضيل المفحوصين مرتفعا للأشكال المنقسمة جانبيا بنسبة (١ : ١) . (Susan & John, 1991, P.257)

(٧) نظرية المعلومات [١] :

لقد فسرت هذه النظرية الخبرة النفسية للتذوق من خلال القوانين الرياضية، وترى هـذه النظرية أن المعلومات التـى ترد مـن الفنـون المرئيـة يمكـن تحديدهـا فـى مصطلحـات كميـة ، وتفترض أن العمل الفنى يوقظ توقعات معينة لدى المتذوق يحرزها بناءً على معلوماته وخبراته السابقة والواقع أن نظرية المعلومات كـانت بمثابـة أداة تحـد فـى وجـه التحليـل النفسـى وتكمـن أهميتها فيما أوضحته من العلاقـة بيـن ردود الأعمـال الجماليـة والخبـرة التـى لا تقتصـر علـى مثيرات معينة كما عند السلوكية ، وإنما تمتد إلى متابعة ديناميـة نحو العمل الفنى ، وقد نظـرت هذه النظرية إلى الفن باعتباره وسيلة لانتقال المعلومات ، أى وسيلة للاتصال ، وتعد دراسـات كل من (مولز Moles, 1956,1966, 1967) (وكوهـن Cohen, 1962) مـن أهـم الدراسات التى عنيت بإقامة علـم نفس جمـالى علـى أسـس علميـة .

(عبلة عثمان ، ١٩٩٠، ص٧٩)

الجدير بالذكر أن نظرية المعلومات تنطلق من أسـاس فسيولوجى وعصبـى وقد أفـاد بيرلين كثيرا من هذه النظرية فى تفسيره للسلوك الجمالى كميا وتجريبيـا ، حيث تضمنت هـذه النظرية مفاهيم جديدة مثل الخصوبة [٢] ومحتويات المعلومـات [٣] وعـدم التـأكد [٤] تلك المتغيرات التى يمكن أن تحدد تجريبيا عملية التفضيل الجمالى للمثير ، بل إن خاصيـة عـدم التـأكد نفسـها تعد خاصية أساسية فى تذوق الفنون بل وتعتبر من أهم خصـائص العلـم المعـاصر .(Cohen, 1970). من خلال : (الشيخ ، ١٩٧٧ ص ص١٤-٢١)

بيد أن بيرلين عندما حلل العمل الفنى فى ضـوء مصطلحات نظرية المعلومات نظر إلى العمل الفنى على اعتبار أنه يجمع لعناصر كل منها ينقل معلومات من أربعـة مصـادر مختلفـة هـى : معلومـات سيمانطيقة (دلاليـة) ، معلومـات تعبيريـة ، معلومـات اجتماعيـة ، معلومـات تركيبية ، كما فى الشكل الآتى :

---

[1] Information theory
[2] Redundancy
[3] Information content
[4] Uncertainly

التفضيل الجمالى ، ونصفى المخ الكرويين :

من خلال نماذج الاستثارة التى عرضها الباحث سالفا ، والتى تضمنت تفسيرات لمفهوم الاستثارة ، فقد تضمنت إشارات عن الوظائف التخصصية لنصفى المخ الكرويين ، وطبقا لهذه التفسيرات فإن نصف المخ الأيسر يسيطر على النشاطات اللفظية ، بينما يختص نصف المخ الأيمن بنظم الاستثارة الانفعالية للتفضيل الفنى (الجمالى) خاصة الأشكال المعقدة من خلال معالجته للأنماط البصرية المكانية (Roy, et.al, 1991, P.38) (Valentino, et.al, 1988, P.556) كما يختص النصف الأيمن من المخ بالاستجابات التعبيرية والوجدانية (السعادة ، الكآبة ، الخوف ، الملل ، الدهشة) ففى دراسة (Cumpbell, 1982) والتى أجريت على المرضى الخاضعين لعمليات استئصال نصف المخ الأيمن ، وجدوا أنهم أظهروا ارتباطا بين اللامبالاة الانفعالية وضعف التوجه المكانى (نقص التيقظ ، والتوجية الانتباهى لأجزاء الحيز المكانى) (Valentino, Ibid)

هذا وقد أجريت دراسات عديدة لفحص العلاقة بين التفضيل الجمالى فقد أشار نيلسون وماك دونالد (Nelson, & Mac Donald, 1971) إلى أن التنظيم الجانبى لنصفى المخ يعد مهما جدا بالنسبة للتفضيل الجمالى (Ibid, P. 555) كذلك انتهت دراسة (فالنتينو وزملائه ١٩٨٨) إلى أن الأفراد ذوى سيطرة اليد اليسرى [١] يفضلون الجوانب اليسرى للصور واللوحات الفنية أكثر من ذوى سيطرة اليد اليمنى كما أكدت الدراسة على العلاقة الارتباطية بين استجابة التفضيل الجمالى واستخدام نصف المخ الأيمن . (Ibid, P. 558) اظهر الأفراد الذكور الذين يعانون من تلف النصف المدغى الأيمن انخفاضا فى درجات اختبار جرافيز للفن [٢] (Iamsdell, 1962) وهو اختبار أظهر ارتباطا عاليا بتفضيل الأشكال المركبة المعقدة (Graves, 1948)

هذه الحقائق ، تبين أن الجانب الأيمن من المخ (خاصة مساحة الفص المدغى واللوزة) يعتبر جانبا مهما جدا فى عمليات تناول المعلومات الانفعالية والجمالية . (Roy, et.al, 1991, P. 38)

سابعا : التفضيل الجمالى ودلالته الإكلينيكية

إمتدت تطبيقات التفضيل الجمالى فى المجال الإكلينيكى بشكل واسع وسوف يعرض الباحث لهذه التطبيقات من خلال الاتجاهين الآتيين :

(١) الإتجاه الأول : التفضيل الجمالى وتشخيص اضطرابات السلوك الشخصية

(٢) الإتجاه الثانى : التفضيل الجمالى والعلاج النفسى .

[١] Leftha ndness.

[٢] Graves Art Test.

(١) التفضيل الجمالى وتشخيص اضطرابات السلوك والشخصية :

إن استخدام أدوات القياس النفسى فى التمييز بين الأفراد ذوى الاضطرابات الشخصية والأسوياء ، أصبح يمثل اتجاها حديثا ، وفعالا فى مجال الفحص النفسى ، فبالرغم من وجود العديد من الدراسات التى ركزت إهتمامها على الخصائص البيولوجية والنيوروسيكولوجية ، وسمات الشخصية ، ومدى ارتباط هذه الخصائص باضطرابات الشخصية والسلوك (Siever,& Davis, 1991) , (Costa, & Maccra, 1990) بالرغم من ذلك ، إلا أنه كان هناك نوعا آخر من القياس النفسى فى هذا المجال ألا وهو التفضيل الجمالى . (Roy, et.al, 1995, P. 797) كذلك أشار (ليندار ، ١٩٩٦) إلى أنه يوجد اعتماد شائع على الفن التشكيلى فى الأغراض التشخيصية والعلاجية (ليندار ، ١٩٩٦ ، ص ٢٢٦)فضلا عما أوضحته دراسات عديدة من ارتباط التفضيل الجمالى بالعصابية (Roy, et. al, 1991, P. 37)
(Roy, et. al, 1995, P. 797) , (Eysenck, & Furnham, 1993, P.837) ,
(Gotz, & Gotz, 1976, P.251) ,(Barttol, & Martin, 1976, P. 268)

كما كشفت دراسات أخرى عن وجود ارتباط بين التفضيل الجمالى للألوان ، والدرجات المرتفعة على اختبارات القلق على عينة من طلبة الجامعة . (Susan, et.al, (1993, P.545 (Linda, &Peter, 1995, P. 1360) وتوصل بارون (Baron, 1953) إلى وجود ارتباط بين التفضيل الجمالى والانحراف السيكوباتى ، والقدرة على التعبير الانحرافى الصريح (Roy, et.al, Ibid) كما انتهى (Rosanbluh, 1972) إلى أن الذهانية ترتبط باختبارات أسلوب الرسم الرومانسى ، أكثر من ارتباطها بأسلوب الرسم الكلاسيكى (Roy,1991,P.35) إلا أن أيزيك وفيورنهام لم يلاحظا مثل هذا الارتباط .

(Eysenck, & Furnham, Ibid) وفى دراسة لبارنيس (Barnes, 1979) قد فسر فيها ضعف الارتباط بين درجات التفضيل الفنى ، والذهانية بأنه ربما يرجع إلى حالة التأثير المزمنة لسوء التصرف (اضطرابات السلوك) التى تظهر من خلال مقاييس التعبير الوجدانى السلبى . (Roy, et.al, 1991, P.37) كما انتهت دراسة الشيخ ١٩٧٧ إلى وجود ارتباط بين التفضيل الجمالى ، والتصلب حيث اتضح أن المتصلب يميل إلى رفض الأشكال المركبة حتى لو كانت مركبة من عناصر واضحة (الشيخ ، ١٩٧٧) كذلك امتدت دراسات التفضيل الجمالى إلى مجال تشخيص الاضطرابات الفصامية حيث هدفت بعض الدراسات إلى التمييز بين استجابة الأسوياء واستجابة الفصامين على اختبار التذوق الفنى الجمالى للأشكال البصرية ، حيث تمكنت خصائص المثيرات البصرية أن تفرق بين استجابات الفصامين والأسوياء خاصة الأشكال المنارقة والمتوازنة فقد فضل الفصامين الأشكال المعتمدة على المتغيرات المنارقة وعدم التوازن، وذلك بالمقارنة بالأسوياء الذين فضلوا الأشكال المركبة

المتوازنة وغير المتجانسة والمغلقة مع بقاء المنطق العام وراء ذلك التفضيل من حيث تفضيل البسيط على المعقد فى كل متغير على حدة (الشيخ ، ١٩٨٨ ج، ص ص ١١-١٣) ولعل بيرلين (Berlena 1963) وهو أول الرائدين فى مجال التفضيل الجمالى قد أشار إلى أن ارتفاع مستوى الحث يميل للارتباط بتفضيل الأشكال ذات المستوى الأقل من التركيب (التعقيد) وأورد فريث (Frith) بناء على هذه النتائج حقيقة مؤداها أن مرضى الفصام المزمنين يتميزون بمستوى مرتفع من الحث (Frith, 1973, P.302) ففى دراسة نيل وكروموبل (Neal,) &Cromwell, 1969) قد وجدا أن المرضى الفصاميين أظهروا تفضيلات مرتفعة للأشكال الأقل تعقيدا وقد فسر الباحثان هذه النتيجة مفترضين أنه ربما تكون هناك عملية مزاوجة (إتفاق) بين تفضيل المعلومات البيئية وآليات المعالجات الداخلية ، ويبدو أن هذا التفسير يتفق مع حقيقة الملاحظة الإكلينيكية التى مؤداها أن الأطفال الإجتراريين [1] يظهرون قدرا كبيرا من الذاتية [2] والأفعال الطقوسية أثناء تفاعلاتهم البيئية (Frith, 1973, P. 302)

بيد أن فرض بيرلين السابق يتفق أيضا مع النظريات التى تتعلق بالاستثارة وتفضيل المثيرات المركبة فى ضوء تجربة أجريت بواسطة (Skizypek, 1969) والذى قارن بين مجموعة من المراهقين والسيكوباتين ، وأخرى من المراهقين العصابيين ، حيث وجد ارتباطا سالبا ودالا إحصائيا بين تفضيل المركب والقلق ووجد أيضا أن السيكوباتين وتزداد تفضيلاتهم للأشكال المركبة (Frith, Ibid) ويفسر روى وزملائه (Roy, et.al, 1959) هذه النتيجة فى ضوء أن الميل إلى رفض البسيط ، والمنظم ، والمرتب من الرسوم والأشكال والذى ينعكس من خلال عدم التفضيل لهذه الخصائص جماليا إنما هو منبئا للرفض وعدم الاكتراث بالقواعد ، والنظم الاجتماعية والذى يظهر من خلال الخصائص السلوكية التى تعبر عن المخالفة وعدم المجاراة [3] والتمرد [4] (Roy, et.al, 1995, P.797)كما انتهى ايزنك (Eysenck, 1981) إلى أن الأشخاص الذين يحصلون على درجات عالية فى متغيرات مثل الذهانية ، والعصابية سيقومون بتفضيل الأعمال غير المألوفة أو غير المعتادة (شاكر عبد الحميد ، وأخرون ، ١٩٩٧ ص ص ٢٠٤-٢٠٥) كذلك انتهى براون وزملاؤه (Brown, et. al, 1996) إلى أن الأفراد ذوى الاضطرابات الجنسية خاصة اضطرابات التبديل الجنسى قد ارتفعت درجاتهم بشكل دال على مقاييس التفضيل الجمالى خاصة تفضيل البسيط كتعبير للانفتاح على الخبرة (Brown, et. al, 1996, P.265)

---

[1] Autistic

[2] Insistence on Sameness.

[3] Non Conformity.

[4] Vnruly.

وفى دراسة الشيخ (١٩٩٥) والتى أجريت على عينة من المدمنين وأخرى من الأسوياء انتهت إلى فروق دالة فى الاتزان الوجدانى بمكوناته (الوسواسية - الهيبوكندريا - الشعور بالذنب - القلق) لصالح المدمنين ، كما ارتفعت درجاتهم على الأحاسيس الجمالية وقت التعاطى ، ووقت التذوق الجمالى للسمعيات (خاصة) وخلص الباحث من دراسته إلى أن الأحاسيس الجمالية التى يستثيرها التذوق الجمالى هى التى يستثيرها الإدمان لدى المدمنين وقت التعاطى . (الشيخ ، ١٩٩٥ ، ص ص ١٠-١١)؛(الشيخ ، ١٩٨٨ د ، ص١٩) كما تناولت (مجدة كشكى ١٩٩٦) المكونات العاملية للأحاسيس الجمالية فى ضوء مستويات متباينة من التعاطى ، وبعض متغيرات الشخصية انتهت الباحثة إلى تباين المكونات العاملية للأحاسيس الجمالية البصرية بتباين مستويات التعاطى(مجدة كشكى ١٩٩٦)وهى نفس النتيجة التى توصل إليها أحمد حبيب (Habib, 1984) حيث وجد تباينًا فى القيم الجمالية بين الأفراد سيئى استخدام العقاقير وعينة من الأسوياء . (Habib, 1984, P.265) ولما كان التفضيل الجمالى مصاحبا للتطور فى مجال البحث فى الشخصية فقد كان هناك افتراضًا عاما مؤداه أن اضطرابات الشخصية (الهستيرية والحدية والنرجسية ، والمضادة للجميع) والتى يتضمنها التجمع الثانى من DSM IV، تتشابة كثيرا فى خصائصها مع خصائص الشخصية التى تفضل المثيرات المركبة (المعقدة) وقد تأكد ذلك بالفعل فى نتائج دراسة (روى وآخرون) حيث ارتبطت هذه الاضطرابات بالدرجات المرتفعة على اختبار التذوق بارون ولش Barron, Welsh للفن خاصة تفضيل الأشكال المركبة (Roy, et. al, 1995, P P.797,798)

يتضح مما سبق مدى الإسهام الفعال للتفضيل الجمالى فى التشخيص الفارق لاضطرابات السلوك والشخصية الأمر الذى يدفعنا وبضرورة ملحة للإهتمام بدراسة هذا السلوك خاصة فى علاقته بمتغيرات تشخيصية أخرى ، والعمل على تطوير مقاييسه السيكومترية ، للوقوف على العلاقة بين التفضيل الجمالى وبعض المحكات التشخيصية خاصة وأن للقيم وللاتجاهات وللتفضيلات الجمالية دورا هاما فى كشف حقيقة الشخصية وسبر أغوارها فى حالتها السوية والمضطربة .... أما بالنسبة للاختبارات الإسقاطية وعلى حد قول (الشيخ ، ١٩٨٨) و(فريث ، ١٩٧٣) مثل اختبار H.T.P. واختبار رسم الرجل واختبار الرورشاخ واختبار T.A.T. واختبار ناير للحكم الفنى ، فبالرغم من أنها قد استخدمت لتشخيص الشخصية خاصة بعض الجوانب التى تختص بصحة الفرد النفسية والعقلية إلا أن عيوبها أصبحت معروفة وواضحة مثل محدودية التحكم فى متغيراتها وضعف موضوعيتها كما أن تفسيراتها للمثيرات الإدراكية تذهب بنا بعيدا عن الفهم المناسب لقوانين الإدراك الأساسية. من خلال : (الشيخ ، ١٩٨٨ج ، ص ٣) (Frith, 1973, P.301)

(ب) التفضيل الجمالى والعلاج النفسى :

لقد مثلت دراسة الشيخ ١٩٨٨ التى هدفت إلى التمييز بين استجابة النصامين ، والأسوياء على اختبار التذوق الفنى (الجمالى) للأشكال مثلت منحنى جديد لاستخدام التفضيل الجمالى فى المجال الإكلينيكى خاصة تشخيص الاضطرابات السلوكية ، حيث تبعتها بعد ذلك دراسات أخرى مثل : (Roy, et.al, 1995) (Cernovsky, & Fernando, 1988) (Brown,et.al, 1996) (والشيخ ، ١٩٩٥) (وعبد الصمد ، ١٩٩٥) وامتدادا لهذا المنحنى الجديد وظهور فعاليته فى التشخيص تمكن بعض الباحثين من استخدام (التفضيل – التذوق الجمالى) فى مجال العلاج النفسى ، والعلاج بالتذوق الجمالى يختلف عن العلاج بالفن حيث يذكر (مليكة ، ١٩٩٤) أن العلاج بالفن على منهج التحليل النفسى فى استخدام الفن على أساس التنفيس عن اللاشعور وذلك عن طريق ميكانزم الإسقاط فى فهم عملية التعبير الفنى كذلك عن طريق ديناميات الكبت والتوحد والإعلاء بيد أن كل هذه الميكانزمات تفصح عن نفسها من خلال التعبير البصرى للإنتاج أو الإبداع الفنى للمريض .

(مليكة،١٩٩٤، ص ص ١٣٥-٢٣٦)

أما العلاج بالتذوق الفنى للمنحرفين ، بقدر ما يعتمد على عملية تلقى وتذوق الموضوع الجمالى (سمعى أو بصرى)، من الأهمية بمكان أن نشير إلى أن هذا الأسلوب العلاجى الجديد ، قد انبثق من نتائج الدراسات التى أجراها (الشيخ ، ١٩٨٨ ج ؛ د ؛ ١٩٩٣، ١٩٩٥) والتى انتهت إلى وجود ارتباط بين متغيرات الشخصية ذات الدلالة التشخيصية وما يفضله الفرد جماليا من خصائص المثيرات كذلك انطلق هذا الأسلوب العلاجى من تصور (سويف ، ١٩٨٣) حيث أوضح أن من أهم الآثار المترتبة على تذوق الفرد للأعمال الفنية تدعم أطرا أخرى للمتذوق الفنى لديه وتنميتها بما يفتح أمام المتذوق آفاقا تتجه نحو زيادة تمكن هذه الأطر من انتشال أبسط موجات الاضطرابات الوجدانية وصياغتها فى صورة تهيئ لتذوق جديد ، ومن ثم فالتذوق يؤدى إلى تذوق ، ومعاشرة الفن تزيد من قدرة الفرد على السيطرة على وجدانه وانتظام حياة الفرد فى الجماعة واعتدال صحته النفسية ، .... فضلا عن أن للتذوق قيمة بيولوجية لا يمكن إنكارها ألا وهى إعادة الإتزان إلى الطاقة البشرية فى مجملها لا فى أحد مستوياتها دون الآخر .

(سويف ، ١٩٨٣ ، ص ٣٦) من خلال : (أحمد إسماعيل ، ١٩٩٢ ، ص ص ٣٥-٣٦)

ووفقا لإسرائيل وزيورليج (Zwerlig & Israel) فإن العلاجات الفنية الناجحة تكون أكثر قدرة على النفاذ إلى العمليات الوجدانية بشكل مباشر وفورى عما تفعله العلاجات التقليدية الأخرى (Giffer, 1990, P.66) من خلال : (مجدة كمحى ، ١٩٩٦ ، ص ٢٣)

وقد ناقش (باولو1995 ,Paolo) دور التذوق الجمالي في العلاج النفسي باستخدام الإبداع النفسي حيث وصف الاستخدام الأمثل والمناسب لأنماط خبرة التذوق في مراحل العلاج، فقد أكد على أن الاستجابة الجمالية هي المسئولة عن الإنتاج الفنى الإبداعي للعميل داخل مراحل العلاج من خلال تقديم المعالج لبعض النماذج الجمالية إلا أن هناك بعض الاعتبارات تتعلق بدافعية العميل للعلاج ومدى قابليته للمعالج نفسه ، وانجذابه للعمل الفنى.
(Bunt, 1997, PP. 258-259) (Paolo, 1995, P. 4775)

وقد تناولت إيى (Eve, 1995) إمكانية استخدام خبرة التذوق الجمالي في العلاج النفسي حيث تعرض لدراسة وتحليل العديد من النظريات التى تناولت العلاج النفسي والتى نظرت بعضها إلى العلاج النفسي كفن ، فى حين نظر البعض الآخر إليه كعلم والجدير بالذكر أن (إيى ١٩٩٥) قدمت تصورا متعادلا بين هذه النظريات (التصورات) للعلاج النفسي باستخدام الخبرة الجمالية ، حيث أوصت بأن هذا النوع من العلاج يتطلب من العميل أن تكون لديه القدرة على التذوق ، والتوحد مع العمل الفنى بما يتضمنه من قيم جمالية كما أكدت (إيى) على ضرورة استخدام الخبرة الجمالية كتكنيك فعال وجديد في العلاج النفسي (Eve, 1995, P. 42) كما قام ليدى Leady بجمع كتابات المحللين النفسيين حول فائدة قراءة الشعر فى العلاج النفسى للعصاب مفترضا أن هذه الفائدة تعادل الأدوار العلاجية للفن التشكيلى والموسيقى فى المواقف العلاجية (ليندارو ، ١٩٩٦ ، ص ٢١٣)

وإذا كانت المثيرات الجمالية (البصرية / السمعية) تساعد المرضى على نمو قوة الأنا وتشكل هوية الفرد والتحكم فى الاندفاع (Frich, 1992) وأيضا تؤدى إلى خفض حدة القلق والعدوانية وتستثير مشاعر الاطمئنان .(Minhas, & Grewal, 1993) (إلهام خليل ، ١٩٩٦ ، ص١٧٣) فقد كان ذلك أدعى بأحمد إسماعيل ١٩٩٣ أن ينفرد بدراسة الرائدة (عربيا) فى مجال العلاج بالتذوق الجمالي ، حيث استخدم التفضيل الجمالي للسمعيات كأسلوب علاجي فى مقارنته بأساليب علاجية أخرى فى علاج القلق والاكتئاب حيث حدد عدة مراحل أساسية لهذا الأسلوب العلاجى الجديد هى : ١ــ تحديد ما يفضله المفحوص للمثيرات فى مواقف الحياة المعيشية ثم تحديد المثيرات السمعية المفضلة التى قد ترتبط بأعراض الاكتئاب والقلق ٢ــ تدريب المفحوص على استخدام تدريبات الاسترخاء ٣ــ تدريب المفحوصين على أن يضع نفسه فى حالة تهيؤ واستعداد نفسى قبل تلقى المثير السمعى لإتمام عملية التذوق الجمالى ٤ــ تحديد مراحل لعملية التذوق السمعى تبدأ من نسيان المفحوص لنفسه وما حوله من مثيرات إلى أن يصل إلى البطانة والوجدانية من خلال الاسترخاء ٥ــ يتدخل المعالج ليطلب من المفحوص استدعاء بعض الذكريات الضاغطة المسئولة عن حدوث الاكتئاب أو القلق .... وهنا يظهر الأثر الأخاذ للمثير السمعى المفضل الذى يستمتع به المفحوص . ٦ــ تستغرق هذه

الاستجابات الأخيرة إهتمام وانتباه المفحوص وتصرفه عن همومه وعن ضغوطه واحباطاته وأحزانه وتستمر إلى أن يصل الفرد إلى حالة الاطمئنان والهدوء ٧ـ قد يتطلب هذا الأسلوب العلاجى أن يكلف المفحوص بواجبات منزليه لإجراء الخطوات السابقة بذاته .

من خلال (أحمد إسماعيل ، ١٩٩٢ ، ص ص ٣٨-٤٠)

ثامنا : الفروق الجنسية فى التفضيل الجمالى :

تباينت الدراسات الخاصة بالفروق الجنسية فى التذوق الجمالى بين مؤمن ومعارض لوجود مثل هذه الفروق فقد انتهت عدة دراسات إلى عدم وجود فروق بين الجنسين فى التذوق الجمالى مثل (شاكر عبد الحميد ، وآخرون ، ١٩٨٩ ، ص ص ٧٨-٩٤) (وميلتون ، ١٩٧٦، Milton) فى عياد ١٩٨٩ ، ص ١٠٦) (وسرنونسكى ، وفرنـانـدو، Crnovsky, & Fernando, 1988, P. 160) (وبرزوكو وشرودر Berzucko, & Chreoder, 1989) وسيلفر وفيرانتى (Silver, & Ferrante, 1995, P.971) وكينج روى وزملاؤه (Roy, et.al, 1995, P.798) بالرغم من أهمية هذه الدراسات التى لم تنته إلى وجود فروق جنسية فى التفضيل الجمالى ، إلا أنه يلاحظ على هذه الدراسات أنها لم تكن الهدف الأساسى لها هو بحث الفروق الجنسية فى التفضيل الجمالى بقدر ما كان اهتمامها بالفروق الحضارية والثقافية كذلك لم تكن الأدوات المستخدمة فى هذه الدراسات مناسبة لفهم خصائص المثيرات ، فضلا عن عدم التناسب بين عينات الذكور والإناث من حيث أعداد هذه العينات ، والتخصصات والميول والمهنية والفنية لها ، والخلفيات الثقافية والحضارية لهذه العينات كما أن هذه الدراسات من الملاحظ عليها أنها لم تهتم بالجوانب الإجرائية والأمبريقية لمتغيراتها . فى حين توصلت دراسات أخرى إلى وجود فروق بين الجنسين فى التفضيل الجمالى مثل دراسة (Jahoda, 1956) التى انتهت إلى أن الأولاد يفضلون الأشكال المستديرة ، بينما تفضل البنات الأشكال المستقيمة وفسر هذه النتائج فى صورة نظرية التحليل النفسى .

(شاكر عبد الحميد ، ١٩٩٧، ص ص ٥٧-٥٨)

وانتهى مويلز Moyles, 1965 من دراسته التى أجراها على ١٥ رجلا و٣٦ أنثى ، انتهى إلى وجود أثر دال لمتغير الجنس على تفضيل المركب البسيط والتماثل وعدم التماثل (الشيخ ، ١٩٧٧ ، ص ٣٦) كما وجد يفون (Yvonne, 1973) فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث فى عملية اختيار المنتجات الفنية وهى نتيجة مشابهة لما انتهت إليه مارجورى (Marjorie, 1984) فى دراستها فى تأثير الجاذبية النموذجية على الاستجابة للمبيعات حيث أسفرت دراستها عن وجود فروق دالة بين الجنسين فى سلوكهم الشرائى الاستهلاكى تجاه مناظر الإعلانات المعروضة (عياد ، ١٩٨٩ ، ص ص ١٠٥-١٠٦) وكذلك انتهت دراسة روزنبلوه وزملاؤه (Rosenbluh, et.al, 1962) إلى أن الذكور قد فضلوا

اللوحات الرومانتيكية أكثر من الإناث وأكد كاب وهوتش وجونسون (Kapp, & Jhonson, 1963) على وجود فروق بين الجنسين فى تفضيلاتهم الجمالية لجميع الأنواع الفنية (الشعر والموسيقى واللوحات الفنية) (شاكر عبد الحميد ، وآخرون ١٩٨٩ ص ص ٨٠-٨١) كما انتهت هولت سميث ١٩٧٨ إلى أن تفضيل الذكور أكثر سعة من مدى تفضيل الإناث (إلهام خليل ، ١٩٩٦ ، ص ١٦٥) إلا أن الشيخ ١٩٨٧ عارض هذه النتيجة حيث توصل فى دراسته التى أجرها على طلاب الجماعة من الجنسين توصل إلى ارتفاع درجات التفضيل لدى الإناث بصفة عامة أكثر منه لدى الذكور وتأكدت هذه النتيجة فى دراسة عام ١٩٨٨ حيث أظهرت الإناث تذوقا جماليا خالصيا وأكثر نقاءا وذلك على اختبار التذوق الجمالى للأشكال البصرية ، وتأكدت هذه النتيجة كذلك فى دراسة (ممدوح صابر أحمد ، ١٩٩٧) حيث تفوقت الإناث فى الحساسية الجمالية البصرية أكثر من الذكور وبالرغم من ذلك فقد أظهر الذكور إرتفاع عام فى التذوق الجمالى على اختبار الاتجاه نحو التذوق كذلك انتهت دراسة (الشيخ ١٩٩٤) إلى ارتفاع درجات الذكور على التذوق السمعى أكثر من الإناث (أحمد ، ١٩٩٧ ، ص ٣٢)

(الشيخ ، ١٩٨٧، ص ص٥٣-٥٥، ١٩٨٨ أ ، ص ٤٦ ؛ ١٩٩٤ ، ص٣٦٢)

تعقيب

هذه بعض الدراسات التى كشفت عن وجود فروق جنسية فى التفضيل الجمالى ، ويلاحظ أن هذه الدراسات تتفق على هذه الفروق إنما هى لصالح الإناث ، مما يوحى بأن الإناث أكثر نضجا فى التذوق الجمالى لخصائص المثيرات عن الذكور إلا أن الباحث لاحظ فى دراسة الشيخ ١٩٨٨ ب وهى ارتفاع التذوق عند الذكور أكثر من الإناث على اختبار الاتجاه نحو التذوق الجمالى للمرئيات وبرغم أن لهذه النتيجة ما يبررها ، من حيث أن الذكور أكثر قدرة على التعبير الصريح لفظيا وسلوكيا عن مشاعرهم ، أكثر من الإناث ، وبالنظر للفئة الأولى عن الدراسات التى عرضها الباحث مسبقا فإن ذلك يوحى بوجود قدر من الغموض (لا يمكن إغفاله) فى مجال الفروق الجنسية فى التفضيل الجمالى ، ويدعو لمزيد من الدراسات فى ذلك المجال ، ولعل ذلك يعد أحد أهداف الدراسة الحالية .

خصائص الإيقاع الموسيقي المثير للسلوك السوي والمثير للسلوك المنحرف

عبد السلام أحمدي الشيخ •

■ مدخل :

منذ ما قبل الميلاد بحوالي ٤٠٠ عام تقريبا، قال فيثاغورس، إن الكون عدد ونغم. وفي نهاية القرن التاسع عشر قال جبرائيل تارد، إن الإيقاع والمحاكاة هما أساس الوجود، وأن الكون فيزيائيا واجتماعيا ونفسيا بطبيعته إيقاعي.

والإيقاع هنا، تسلسل وحدات من النغمات، أو الموجات، في شكل معين، بحيث يتكرر هذا التسلسل بنفس الأسلوب. وبالتالي فإن السلسلة الحالية تكاد تكون محاكاة لما سبقها، وبالتالي، ربط جبرائيل تارد بين المحاكاة والإيقاع، وبينهما وبين العدد والنغمات عند فيثاغورس.

ومن هنا، رأى أن الإنسان يولد ويعيش ويموت في كون إيقاعي، سواء دوران الأرض وفصول السنة، أو الليل والنهار، أو المد والجزر، وسواء دوران الأفلاك بشكل متسق ومتكرر. ومن هنا، كان الإنسان نفسه جزءاً من هذا الإيقاع الكوني، وهو يخضع ويحيى داخل إيقاعات كونية. كما أن بداخله عمليات الأيض ونبضات قلبه والتنفس... إلخ وكلها إيقاعية بمعنى وحدات حركية تمضي متسلسلة بأسلوب متكرر وبشكل أقرب إلى المحاكاة. (عبد السلام الشيخ ١٩٩٧ ص ٢٠٧)

والخروج عن هذا الأسلوب يحدث آثارا سلبية وخطيرة. فعلى المستوى الكوني، يمكن أن نتصور ماذا قد يحدث للأرض لو غيرت عدد دوراتها أمام الشمس وحول نفسها، أو غيرت إيقاع درجة الحرارة كما نعرفها، أو فصول السنة، وماذا يحدث لو غير القمر مثلا إيقاع دورته حول الأرض، أو لم يعد دورانه يتخذ الشكل الإيقاعي، أو المسافات المكانية التي يحافظ عليها بينه وبين الأرض، بالتأكيد تكون كوارث، وربما تدمير الحياة. بل وربما تغيرت صورة الحياة ومن عليها حتى الإنسان نفسه. (عبد السلام الشيخ ١٩٧١ ص ٩٥)

ويرى البعض هنا أن إيقاعات حياة الإنسان غير منفصلة عن إيقاعات ظواهر الطبيعة وشذوذها مثل البقع على الشمس أو المد والجزر... إلخ.

• استاذ ورئيس قسم علم النفس. كلية الآداب. جامعة طنطا . مصر

الإيقاع الشخصي وإيقاع الكون،

نفس الأمر في إيقاعتنا، وهنا نذكر القارىء بدراسات، سبق أن تناولنا منها ما يسمى بالإيقاع الشخصي، والذي يعني اتساق سرعات أداء الشخص المختلفة، سواء معرفية، أو عقلية، أو إدراكية، أو حركية... إلخ. وكان مرد ذلك، أن كل الأداءات السابقة ربما تخضع لجهاز عصبي واحد، متكامل تشريحيا ووظيفيا.

وبالتالي نفترض أن تكون سرعة أداء الأجهزة التي تخضع لهذا الجهاز متماثلة أو متسقة، ويرى بعض العلماء . في دراسات بيولوجية متعمقة . أن هناك جينا خاصا يحدد إيقاعية أداءات الفرد، يسمى (per gen) وهو خاص بتنظيم الإيقاعات في أزمنة منتظمة، بل امتدت هذه الدراسات تجريبيا على ما يسمى بذبابة الفاكهة (Drosophila) التي اكتشف فيها هذا الجين، والذي امكن استبعاده تجريبيا، ونتج عن هذا اضطراب إيقاع ذبابة الفاكهة.

بدأت الدراسات التجريبية فيما يسمى بالإيقاع الشخصي (P. Tempo) على يد فرشزنر . كوهلر سنة ١٩٤٣ بألمانيا . واكدت وجود أساس بيولوجي للإيقاع الشخصي، ثم دراسات في اليابان على يد مشيماجيرو.. وأخيراً دراسات ريمولدى Rimoldi ثم دراسة معملية اجريناها عام ١٩٧١، ودراسات أخرى أشرفنا عليها في دراسة محمود الشوفي ١٩٩٢، ودراسة انصاف تايه ١٩٩٦. وعبد السلام الشيخ ١٩٩٥. كل هذه الدراسات اكدت وجود اتساق في أداءات الفرد المختلفة، تعكس عاملا عاما أو ما يسمى بالإيقاع الشخصي.

وكما ان هناك إيقاعاً كونياً عاماً.. هناك أيضا إيقاع عام للإنسان، يطلق عليه أيضا إيقاع شخصي، تنتظم في إطاره كل أساليب أداءات الفرد بشكل إيقاعي. وكما أن أي اختراق في إيقاع الكون، أو تعديل غير محسوب، إنما يؤدي إلى تدمير هذا الكون، كذلك فإن اي تعديل غير محسوب على إيقاع الشخص، يحدث أثارا خطيرة ربما منها تدمير صاحبه.

ولا جدال أن تغيير إيقاع النبض، عن معدله الذي تعودنا عليه، ربما يؤخذ كمؤشر للمرض، بل إن أي خلل في الإيقاع، ولو وحدة حركة، أو وحدة سكون واحدة، من سلسلة أداءات الفرد، إنما تعتبر مؤشراً قويا للاضطراب. وحينما نحاول تعديل إيقاع كلام مصاب بالتهتهة يصبح مثل الذي لديه جراحة بالفحص الجبهي (Kolbi Whishaw ١٩٩٠)

أي أن تعديلات معينة في الإيقاع الشخصي عادة تسبب أثارا جانبية، تبدأ من الوقوع على الأرض، إلى الموت، وأن السواء يقتضي احتفاظ الكون بإيقاعه داخل المدى الذي تعودنا عليه، واحتفاظ الإنسان بمعدل إيقاعاته العادية داخل مدى معين يشير إلى الصحة والسواء. وقد انتهت تجارب عديدة إلى أن الجراحة في مخ الإنسان خاصة الأيسر تؤثر في نطق أو إيقاع نطق الإنسان لكلمات من مقاطع متشابهة مثل: da-ka (- ibid P. 241)

ومن هنا للإيقاع وجهتين: وجهة إيجابية سوية، تتضمن السواء والإشباع والتكامل، ووجهة سلبية تتضمن الاضطراب والمرض، مثل أي دواء له أثاره السلبية والإيجابية.

الإيقاع إذن يحيط بنا، ويصل إلينا عن طريق حواسنا . بصرية ولمسية وسمعية وذوقية، وخاصة السمعية، ويصدر عنا في سلوكنا

الظاهر والداخل، ولعل من أهم الإيقاعات النقلية، التي ترتبط بحياتنا على أنها إيقاع فعلي، هي الإيقاعات السمعية . الصوتية خاصة الموسيقى. (انظر عبد السلام الشيخ ١٩٧١)

الايقاع والموسيقى:

يقصد بها تلك الأصوات التي تصدر من الات , يفترض أنها موسيقية، والتي تختلف باختلاف الثقافات والعادات والتقاليد. وهي عبارة عن وحدات من النغمات تتوالى في شكل حركات أو سكنات بشكل رأسي او أفقي.

كما تكون أكثر بساطة في الثقافات البدائية الأولى كالناي والدف، وأكثر تعقيداً في الثقافات الحضارية كالالات العديدة المستخدمة فيما يسمى بالأوركسترا.

وتصدر من هذه الالات نغمات تتوالى أفقيا أو رأسيا، مكونة إيقاعات هارمونية أو ميلودية، وطبقا لما يسمى بالسلم الموسيقي والنوتة الموسيقية (غربية كانت الموسيقى) وما بها من هارموني ورتم وتعقيد، (أو شرقية) وما تتصف به من بساطة وميلودية وأحيانا رتابة.

معنى هذا، أن أي صوت مثل التصفيق أو صوت بشري إيقاعي يمثل موسيقى، تماما مثل أي أوركسترا مع الفارق في التعقيد أو الهارموني والميلودي واللحن وخصائص الموسيقى الأخرى المعروفة . (Weitz 1970P.)

الإيقاع الموسيقي والإيقاع الشخصي:

عادة ما يكون الإيقاع الموسيقي سمعيا، يخضع لخصائص الصوت، وخصائص الأذن وتركيبها. بينما الإيقاع الشخصي إيقاعا سلوكيا، أي يمثل توالي وحدات الحركة والسكون في جميع اداءاتنا، خاصة الحركية المرتبطة بالعضلات الدقيقة كالأصابع، والعيون والشفاه، او المرتبطة بالعضلات الغليظة، كالساقين والذراعين وعضلات الظهر.

العلاقة بينهما:

يبدو . للنظرة السطحية . أنه لا توجد علاقة بينهما. فهذا صوتي سمعي، وارد إلينا من البناء الخارجي، وهذا أدائي سلوكي، صادر منا إلى الخارج، كما ينعكس في سلوكنا الخارجي.

غير أن النظرة الفاحصة، والخبرة العملية التي نمر بها حينما نستمع لموسيقى نعشقها، تؤكد لنا أن هناك علاقة قوية، غير أنها لم تخضع بعد لدراسة علمية، كما أن كثيراً من المفكرين؛ أمثال ميري وجمان ومارتين في كلامهم عن الرقص والموسيقى، اشاروا إلى ان الحركات الإيقاعية تقع في مكان وزمان وديناميكا، وانها متكاملة متداخلة كما أن الموسيقى يمكن أن تكسب الكلمات المعنى والحياة، عن طريق استخدام الخصائص الممكنة للحركة، والأصوات خاصة الرموز، بل إن الموسيقى تلون الاشياء.

(Thru: weitz M 1970 P 515)

وكثير منا حينما يستمع لإيقاعات موسيقية، يجد نفسه وقد صدرت عنه حركات إيقاعية متسقة مع الإيقاع الموسيقي. بل إن هناك من يرى أن الثعابين تصدر حركات جماعية إيقاعية نتيجة سمعها إيقاعات سمعية كالموسيقى، اي ان الإيقاع الموسيقي المسموع يستثير فينا إيقاعا حركيا يثير إيقاعات الشخصية، بمعنى انه يعدل من إيقاعاتنا الشخصية، بحيث تصدر

حركاتنا الظاهرة على شكل إيقاعات متسقة، خاصة في سرعتها مع الموسيقى التي نسمعها، وتصل احيانا إلى الرقص، وبالطبع يتغير إيقاع استجابتنا الفسيولوجية والنيورولوجية؛ كالتنفس، ونبض القلب، وسرعة السيال العصبي في أعصابنا.

ومن هنا، نجد أن الحركات الجسمانية الإيقاعية، خاصة تلك التي تسمى بالرقص، ترتبط ارتباطا قويا بسماع إيقاعات الموسيقى، أو أية إيقاعات حركية سمعية (مهما كانت الحركة الجسمانية الإيقاعية بسيطة، كما في حركات الذكر الصوفية، أو معقدة كما في رقصة الديسكو) لابد أن يصاحبها إيقاع موسيقى صوتي، حتى لو كان إيقاع الصوت نفسه، أو تصفيقة بكف الإنسان.

التلازم بين الرقص، أو الإيقاع الجسماني الحركي والشخصي، والإيقاع الموسيقي السمعي، يمثل ظاهرة واقعية، تفرض نفسها على الإنسان في كل زمان ومكان بل إن تاريخ البشرية، منذ ما قبل الميلاد وحتى الآن، لم يذكر لنا ملهى فيه رقص بدون موسيقى مما يؤكد هذا الكلام وقد وصل في شيوع هذا التلازم أن أصبح مألوفاً كأنه أمر واضح مع أننا لا نجد تفسيراً واحداً علمياً يفسر لنا هذا التلازم، بل حتى لم تطرح المشكلة، بل إن هذا التلازم يعكس لنا سلوكيات أخرى متلازمة، مع الرقص والموسيقى، مثل التعاطي لمواد نفسية معينة، ومثل ممارسة الجنس.

ومنذ ما قبل الميلاد وحتى الآن، نجد أن الملاهي الليلية أكثر المؤشرات وضوحا لتأكيد تلك الظاهرة أي التلازم بين الموسيقى والرقص والتعاطي.

فما هي الشروط المسئولة عن تلازم الرقص والموسيقى والتعاطي وأحيانا الجنس؟

واقعة ما يسمى بعبدة الشيطان

لعلنا جميعا نتذكر تلك القصة المشهورة، منذ عام تقريباً في القاهرة، حيث تم القبض على مجموعة من شباب أسر غنية ومرتفعة اقتصاديا واجتماعيا، يرقصون ويطربون تحت نغمات الموسيقى، وفي ظل في هذا الموقف، يرقصون، يتعاطون، ويمارسون الجنس، وامتد الانحراف بهم إلى الجهر برفض قيم المجتمع، بل ورفض القيم الدينية، وادعوا عبادة الشيطان. وكان كل هذا كافيا لإحالتهم للقضاء المصري.

حاول بعض المفكرين تفسير هذه الظاهرة، أرجعها البعض إلى حالة التعطل والفراغ. وأحياناً أخرى إلى ارتفاع المستوى الاقتصادي والاجتماعي، او عدم إشراف الوالدين. بالطبع لم تؤكد كل هذه التفسيرات تجريبيا، كما أن الرد عليها بسيط ويطرح نفسه، فهناك أغنياء لديهم الفراغ... الخ، ولم ينحرفوا هذا الانحراف. كما انه إذا كان لابد من الانحراف في ظل هذه الشروط، لماذا انبثق من هذا المدخل، وكل ما يمكن أن نقوله هنا، هو ان تلك الأسباب ربما هي التي دفعتهم إلى شلل أصدقاء من رواد جلسات الموسيقى، وفي إطار تلك الجلسات، استثيرت الإيقاعات الجسمانية والرقص، وتلازم معها التعاطي والجنس، ثم توالت بقية انحرافات السلوك، التي أدت بهم إلى ساحة القضاء، ومن هنا تزداد المشكلة بروزا، فلماذا هذا التلازم الضروري بين هذه المتغيرات: الموسيقى، الرقص، التعاطي، الجنس.

مشكلة الدراسة:

مما سبق يمكن أن تتحدد مشكلة هذا المقال في محاولة الإجابة على ما يلي:

ما هي الشروط والعوامل أو خصائص الإيقاع الموسيقي، التي تستثير إيقاعات حركية أو رقصا، وتخلق أرضية أساسية للتعاطي، والانحرافات السلوكية؟

وما هي الشروط التي تجعل من هذا الإيقاع الموسيقي أرضية للعلاج النفسي، والصحة النفسية وتجديد النشاط؟

فروض البحث:

من هنا تتحدد الفروض التي علينا ان نتحقق منها، من خلال البحوث السابقة في هذا المضمار كما يلي:

١) إن الاستماع للموسيقى عامة، يسهم في سيطرة نصف المخ الأيمن، وبالتالي يخفض الوعي.

٢) إن هذا الخفض. تحت شروط معينة. يسهم في تدعيم الصحة النفسية وتجديد النشاط.

٣) كما أن هذا الخفض. تحت شروط أخرى. قد يشوه الواقع الخارجي، ويفصل المستمتع والمتلقي عنه، ويخلق عالما من الهلوسات، تمثل أرضية أساسية لانحرافات سلوكية أهمها:

أ) التعاطي.

ب) الجنس وربما الاغتصاب.

ج) التمرد على قيم الجماعات وربما الانسحابية.

٤) في ضوء ما سبق يمكن أن تتحدد الخصائص الأساسية، التي تميز الإيقاع الموسيقي:

أ) المثير للسلوك المنحرف.

ب) الذي قد يساعد على العلاج والصحة النفسية.

الاستماع للموسيقى ونصف المخ الأيمن وخفض الوعي:

(ونقصد به التحقق من الفرض الأول)

من المعروف أن المخ البشري تحيط به قشرة تسمى لحاء المخ، بها نتوءات كثيرة تزيد من مساحة هذه القشرة او اللحاء، وينقسم هذا اللحاء إلى نصفين. النصف الأيمن يسمى نصف المخ الأيمن، والنصف الأيسر ويسمى بنصف المخ الأيسر. وبينهما اختلاف تشريحي، منعكس في اختلاف وظيفي هام. حيث يشرف نصف المخ الأيسر. عند العاديين. على العمليات العقلية العليا التحليلية اللغوية وحل المشكلات، بينما يشرف النصف الأيمن على التخيل والأحلام، والتذوق الجمالي، والاستمتاع بنغمات الموسيقى.

وكان يعتقد. حتى وقت قريب جدا. أن نصفي المخ متطابقان، وكل منهما مرآة للاخر، يصل بينهما جزء بالمخ يسمى الجسم الجاس. (Kimble et la 1988 P 348-) غير أن الدراسات المعاصرة انتهت إلى أنهما ليسا متطابقين، لا تشريحيا ولا وظيفيا. اتضح، مثلا، أن هناك خلافا في الفصوص الصدغية بالمخ الأيمن عن الفصوص الصدغية بالأيسر، وأن الأخيرة أكبر ١٩٨٣ حيث اتضح لساندرا ونيلسون Sandra ,Wilson. أن ٧١٪ من الجمهور يرتفع لديهم جزء هام من الفص الصدغي المسمى Planumtemporal في المخ الأيسر عنه في المخ الأيمن. وهذا يدعم ما انتهى إليه كثير من الباحثين بأن المخ الأيسر ومنه بالطبع الفصوص الصدغية مسئول عن فهم اللغة، وإنتاج الحركات الإرادية الواعية.

ويذكر كوليه ووشو ثمانية فروق بين نصف المخ الأيسر ونصف المخ الأيمن نذكر منها هنا

أربعة فروق هامة هي:
١ . أن المخ الأيمن أثقل قليلاً وأكبر قليلاً من الأيسر، إلا أن الأيسر أكثر أهمية. كما أن المادة السنجابية كثيرة في الأيسر عنها في الأيمن. ومعنى هذا أن أجسام الخلايا العصبية أكثر في الأيسر عنها في الأيمن.
٢ . هناك عدم اتساق في بناء الفصوص الصدغية، حيث يكون بعضها أكبر في الأيسر عنها في النصف الأيمن، بينما اللحاء السمعي الأولي أكبر في الأيمن، مما ييسر التباين الوظيفي لكل من نصفي المخ.
(Whishaw 1990 P. 348)
٣ . كما اتضح أن تنظيم منطقة بروكا في النصف الأيمن مخالف لتنظيمها في المخ الأيسر. والجزء الخارجي منها أكبر في الأيمن عنها في الأيسر، بينما منطقة اللحاء الداخلية منها أكبر في الأيسر عنها في الأيمن.
وأية جراحة في المخ الأيسر تضعف الكلام والكتابة والقراءة، بينما الجراحات في المخ الأيمن تؤثر أكثر على المهام المكانية. وعلى تمييز النغمات، وعزف الموسيقى والغناء. (Ibid p. 348 - 351) وفي تمييز المؤلف بين وظائف نصفي المخ، يؤيد ما أكدته الدراسات المعاصرة بأن النصف الأيمن يختص بالتذوق الجمالي من الأصوات التي لا ترتبط بمعنى الكلام والحركات كالرقص... بينما يختص الأيسر باللغة وبفهم وحل المشكلات مع البيئة الخارجية وتحليلها. (Ibid P 373) ولذا وجد أن مرضى الأفازيا الشديدة . وهي اضطراب لغوي يخضع لنصف المخ الأيسر . يستطيعون عزف نغمات موسيقية أو أغنية قديمة
(Ibid P 243 Kandal et al. 1995 640-)
ومن المعروف أن المخ الأيمن يسيطر، مع الجهاز العصبي الباراسمبثاوي، أثناء النوم وأحلام اليقظة والسرحان، حيث يتمركز الجهاز العصبي حول نفسه، ويستثار داخليا بغض النظر عن البيئة الخارجية. وهنا تكون الأحلام والرؤى، وهنا عادة يزداد الاسترخاء العضلي، ويقل الاتصال بالمنبهات الخارجية، ويكون الفرد غير قادر على ضبط سلوكه وأقرب لحالة التنويم، ويسهل على الآخرين التحكم في سلوكه وقيادته، ومع هذا فمن الخطأ أن نتصور أن كل نصف يعمل منعزلا عن الآخر، حيث يتداخلان إلى درجة ما. (Rathus. 1990 p 67) فالنصف الأيسر يرتبط بحل المشكلات مع الخارج، والتفكير العقلي والتحليل والفهم واستخدام اللغة اللفظية، وهذا يعني أنه يعمل ويسيطر وقت اليقظة، وعليه عبء أكثر. بعكس النصف الأيمن، الذي عادة يسيطر وقت النوم والأحلام. مع التأكيد على أهمية الصلة بينهما. (Kendel et al. 1995 p 357-) غير أننا حينما نستمع للموسيقى، هنا يسترخي الأيسر، ويحصل على قدر من الراحة في الوقت الذي يسيطر فيه النصف الأيمن، حيث ينخفض الوعي بالبيئة الخارجية، وربما يتركز داخليا. ومن هنا يتحقق الفرض الأول من هذا المقال.
وبالنسبة للفرض الثاني:
فإنه يشير إلى أن خفض الوعي باستخدام صوت الموسيقى، وتحت شروط معينة، يسهم في تدعيم الصحة النفسية، وتجديد النشاط، وربما في هذا الإطار تستخدم الموسيقى أحياناً في العلاج النفسي.
ويكاد يجمع فلاسفة الجمال، ودارسو الفن والموسقى، على أن الموسيقى تهذب النفس وتجدد النشاط. وأنها لغة الروح، وتسمو بالنفس، حتى إنها تعتبر من لوازم جلسات الذكر عند كثير من طرق الصوفية، وديانات

أخرى غير إسلامية، باعتبارها تخلص وتحرر الروح من سجن الجسد، وترفع درجات الوجد عند السالكين (عن مجلة فصول ١٩٩٦ . مجلد (٥) عدد (١) ص ١٢٨)

وتكلم أرسطو عن أن الموسيقى تطهر النفس، كما عرض لها فرويد إبداعاً وتذوقا، وأشار إلى أنها تفريغ للنزعات المكبوتة المرفوضة اجتماعيا. وأنها بهذا تقلل من طاقة اللاشعور، ومن قدرته على التنكر في الأعراض المرضية للتخفي عن الرقيب. ومن هنا كانت الموسيقى علاجا. بل رأى البعض أن الموسيقى أكثر من وسيلة علاجية، بل هي غاية في ذاتها من هؤلاء (هانسيلك) Eduard Hansilck في كتابه . الجمال في الموسيقى ويرى . مع معظم فلاسفة الجمال . أن المتعة والجمال في المؤسيقى ترجع إلى النظام والسيمترية وتوالي النغمات (thru: Weitz. M. 1970 p 503) ولكن لم يسأل أي من هؤلاء. لماذا النظام والسيمترية.. يمتعنا ويشعرنا بالجمال في الموسيقى؟ هذا ما سوف نعرض للإجابة عليه في أجزاء تالية من هذا المقال.

غير أننا نذكر هنا، بأن سماع الموسيقى يساعد على سيطرة المخ الأيمن، وخفض الوعي، وعمل الجهاز العصبي البارسمبثاوي، وفي نفس الوقت يسهم في زيادة قدرة الإنسان على الانفصال المؤقت عن مشكلات الخارج، ونسيان الهموم والمشكلات.. الخ. (عبد السلام الشيخ ١٩٩٥ ص). هذا مع مشاعر المتعة، التي سوف نفسر مصدرها فيما بعد. كل هذا . مع إعطاء فرصة راحة للمخ الأيسر . يجعل من الموسيقى . تحت شروط معينة . موقفا مجددا للنشاط، مختزلا للتوتر والقلق غير السوي، وبالتالي تتضمن قدرا من العلاج النفسي، وتدعيما للصحة النفسية، ولو موقفيا. بما يدعم صدق الفرض الثاني في هذا المقال.

غير أننا نشير هنا، إلى، أن هذا الفرض يتحقق تحت نمط بعض من الموسيقى، يحمل شروطا لخصائص سوف نعرض لها، وبدون هذه الشروط والخصائص، تصبح الموسيقى هنا كالدواء الذي يساء استخدامه، ليتحول إلى سم زعاف.

التحقق من الفرض الثالث

ويدور حول الشروط والمواقف، التي يؤدي الاستماع للموسيقي في ظلها إلى تشويه الواقع، وخلق عالم من الهلوسات، وما يصاحبه من سلوك منحرف.

.لم يجد الباحث أية محاولة . نظرية أو أمبريقية . حاولت مجرد طرح مثل هذا السؤال أو الإجابة عليه.

ويتطلب التحقق من هذا الفرض ان نعرض للموسيقى. لا من حيث خصائصها الفنية الموضوعية . وإنما من حيث هي مثير صوتي، يستثير فينا حواسا أو مستقبلات حسية معينة. تمتد أحياناً إلى داخلنا.

الموسيقى كمثيرات للمستقبلات الحسية.

يرى هانسيلك أن الموسيقى هي مجموعة من النغمات المتوالية، والتي تتوالى في سلاسل ذات سلسلة متكاملة، لها إيقاعاتها وألحانها وميلوديتها وخصائصها الصوتية. وتغطي . بالتالي . أي صوت إيقاعي غير كلامي، سواء كان صادراً من الة موسيقية أو أكثر من صوت إنسان بشري أو من تصفيقة يد إنسان . يصدر عنها نغمات تتوالى في حركات عبر الزمان. (Weitz 1970 P. 490-) هذه الأصوات تمضي في موجات صوتية عبر الهواء، لتصل الى مستقبلاتنا الحسية خاصة الأذن. وتصفها

أحيانا بصفات المرئيات والسمعيات بل واللمس. مثلما تقول: إنها حادة كاللون الأحمر أو خفيفة أو ثقيلة... بل نقول عنها أحياناً إنها مشبعة، أو مثيرة للشهية... معنى هذا أن أصوات الموسيقى لا تثير مجرد الأذن بل تستثير حواسنا المختلفة. ولكن كيف هذا؟ هذا ما سوف نحاول الإجابة عليه. خاصة وأن كثيراً منا حينما يستمع لموسيقى يعشقها فإنها . تدغدغ جلده وتستثير فيه حركات جسمانية إيقاعية.

ولكن هل تلازم هذه الأحاسيس والحركات الجسمانية التي تصل أحياناً إلى الرقص مع الموسيقى هو تلازم ضروري؟!

التلازم بين الأحاسيس والحركات الجسمانية وصوت الموسيقى:

الموسيقى نفسها هي حركات منتظمة عبر زمان، ولذا تعتبر من الفنون الزمانية لا المكانية (فؤاد زكريا ١٩٨٦ ص ٥٨). ولذا يؤكد هانسليك بأن الموسيقى تعبر عن حركة وليس عن انفعال، حيث إن الحركة هي التي تعبر عن انفعال (Weitz 1970 P 509) وربما من هنا تستثير الموسيقى كل حواسنا، بما جعلنا نتكلم عن ظلال السلم الموسيقي، وعن الموسيقى الثقيلة والخفيفة. (فؤاد زكريا ١٩٦٨ . ص ٦٦ . ٦٩).

والقول بأن الموسيقى تستثير حواسنا، وحركات أجسامنا، حتى الرقص، ليس جديدا فقد أشار اليه الفلاسفة منذ القدم، وهذا مثلا أبو حيان التوحيدي يتساءل في كتابه الهوامل والشوامل «لم صار من يطرب للغناء، ويرتاح للإيقاع والسماع، أن يمد يده، ويحرك رأسه، وربما قام وجال، ورقص وصرخ وهام (مجلة الفصول ١٩٩٥ مجلد ١٥ عدد ١ ص ١٢٨)

ومن هنا نجد أن الموسيقى والرقص فنان متلازمان، بل فن مشترك، ولم تنجح جهود أية سلطة في محاولة الفصل بينهما. (فؤاد زكريا ١٩٦٨ ص ٧٢)

ومن المستحيل أن نتصور رقصا . أيا كان شكله . بدون موسيقى . معقدة أو بسيطة . وتلازم الموسيقى مع الرقص مع التعاطي ظاهرة لم تعد تقبل المجادلة، خاصة في جميع الملاهي الليلية ومنذ قبل الميلاد وحتى الآن، نؤكد أن الموسيقى تستثير لا الحركة الإيقاعية والرقص فقط. بل أحاسيس ومشاعر متعددة، بل تغيرات في نبض القلب، وحفظ الدم والتنفس، كما ظهر من تجارب معملية عديدة، مثل تجربة جورج أوليرون G. Olcron (عبد السلام الشيخ ١٩٧١).

وفي تجربة على أطفال ما قبل المدرسة انتهى داولنج Dawling إلى أن صوت الموسيقى يستثير استجابات ايقاعية فسيولوجية.

وقد قام شتر Shuter وجابريل Gabrie وأخرون بتلخيص دراسات داولنج Daw'ing في جدول ذكره هارجريفز. اتضح منه أن استجاباتنا الحركية الإيقاعية المختلفة ليست متعلمة، بل وراءها تنظيم جيني، أو على الأقل يولد بها الطفل من عالم الرحم. كما اتضح أنه يستجيب للأصوات والإيقاعات منذ الشهر الأول من الولادة. ففي دراسة أجراها بريدجر bridger: عزف فيها نغمات ذات ترددات متعددة، لخمسين طفلا بعد الميلاد بخمسة ايام مباشرة، اتضح أن هذه النغمات أنتجت حركات إيقاعية جسمانية، وتغيرات في معدل نبضات القلب. وتأكد هذا في دراسات متماثلة لبرنس وأخرين ١٩٦٥ حيث اتضح منها أن النغمات ذات الترددات المنخفضة لها أثر أكبر على تهدئة بكاء الطفل عن النغمات ذات الترددات المرتفعة. ومن الغريب كذلك، ان الاستجابات

الجسمانية للموسيقى تنخفض فيما بعد الميلاد بسنوات، حيث وجد مود Mood أن الأطفال من سن أربع إلى خمس سنوات، يميلون إلى الجلوس والاستماع بانتباه للموسيقى، بدلا من أن يصدروا حركات إيقاعية مثل حديثي الولادة (٦٥-٦١ ١٩٨٦ :Thru Hargreaves.) ويدعم هذا وجهة نظرنا . كما سنعرضها فيما بعد . من أن الاستجابات الجسمانية الإيقاعية للموسيقى، إنما يتم تعلمها، أو تشريطها، داخل رحم الأم وقبل الميلاد.

ويؤكد هذا، أن الرقص كان مرتبطا بالموسيقى منذ أقدم العصور، بل اتخذت العلاقة بين الرقص والموسيقى أحياناً مظهراً مقدساً. فدخلت الشعائر الدينية، واندرج تحتها بعض مظاهر الذكر الصوفي، حتى اننا لا نستطيع أن نتصور شكلا ما من أشكال الإيقاعات الجسمانية أو الرقص، سواء كان دينيا مثل بعض جلسات الصوفيين، أو علاجيا، كالزار أو رقصا فنيا بكل أشكاله، بدون أن يصاحبها إيقاع موسيقي بدءا من تصفيق الأيدي إلى عزف ناي إلى اوركسترا كاملة (فؤاد زكريا ١٩٦٨ ص ٧٢). ويلاحظ هنا أن الرقص كالموسيقى، يتكون من مجرى متصل من حركات، تتضمن إيقاعات واسترخاءات متتابعة، وهذه الحركات تغطي كل عضلات الجسم الهيكلية، وتمتد إلى حركات حشوية ونيرولوجية داخلية، وإحساسات جلدية خارجية، تؤدي إلى تغيير في نبضات المنبهات العصبية التي تسير في المسارات العصبية الذاهبة إلى المخ، والآتية منه إلى أعضاء الاستجابة (weitz 1970 P. 65-). الإيقاع السمعي إذن يخلق إيقاعات حركية، ومن هنا يميز المولود الجديد الإيقاعات السمعية قبل البصرية. ويطرح السؤال التالي نفسه:

لماذا تكون تلك الحركات ملازمة للأصوات الموسيقية؟ والخبرة العملية ترى في هذا السؤال قصورا، ذلك أنه ترك ظواهر أخرى عديدة تصاحب الاستماع للموسيقى بدون أن يغطيها، خاصة وأنه لا يوجد . حتى الآن . لها تفسير.

فعلاوة على الإيقاعات الحركية والبيولوجية والتغيرات التي تطرأ عليها نتيجة لاستماعنا للموسيقى. هناك أيضا إحساسنا بالسعادة والمتعة أو النشوة. كيف تستثير فينا الموسيقى هذه المشاعر. كما تستثير إيقاعتنا الحركية؟ ظاهرة أخرى عادة تعمق مشاعر النشوة والسعادة في الاستماع للموسيقى. وهي ظاهرة تعاطي بعض المواد النفسية كالحشيش والبانجو والكحوليات، تلك الاستفسارات السابقة لم يسبق تناولها في إطار علمي موضوعي خارج التصورات الجمالية الفلسفية. لكي نستطيع تفسيرها والإجابة عليها كان لابد من أن تبدأ من فترة الجنين.

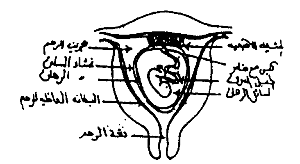
تشكيل أسس الاستجابات للموسيقى داخل الرحم:

أ. رحم الأم

جزء معروف في مقدمة أسفل بطن الأم، وهو عضو سميك على شكل كمثرى، pear shaped لا يوجد إلا عند الإناث، ومخطط بطبقات من الخلايا تسمى endometri، ويستجيب للاستثارات الهرمونية الخاصة بالدورة الطمثية، خاصة هرمونات الغدة النخامية. مجموعة الهرمونات المسماة بهرمونات الاستثارة، التي تنظم هرمونات الجنس . التي تنظم بدورها عمل الرحم وقت بداية الدورة، ثم وقت نضج البويضة في المبيض، ثم وقت سقوط البويضة وتلقيحها في

قناة فالوب، ثم بعد سقوطها والتصاقها بالرحم بالمشيمة والحبل السري، كما تنظم هذه الهرمونات عمل الرحم حينما لا تلقح البويضة.
(Frere et al 1995 P. 899, Prtichard 1980 P. 122)

نموذج لرحم الأم



والجنين يلتصق بالأم بواسطة الحبل السري والمشيمة، ويعوم داخل الرحم فيما يسمى بالسائل الأمينيوتي Ameniotic fluid،
والجهاز العصبي أول عضو تقريباً يتكون في الجنين، ويكون قادرا على تخزين وتنظيم المعلومات بدءاً من الشهر السادس. ففي دراسة على ١٦ أم حامل، وضعت أغنية ميلودية على شريط تسجيل، وكانت توضع علىْ رحم الـ ١٦ أم حتى وقت الميلاد. بعد الميلاد كان يترك الطفل امام مسجلات صوتية متعددة، لبحث أيها يسبب للطفل هدوءا والكف عن البكاء، واتضح ان تلك الأغنية، التي كانت توضع على رحم الأم، أكثر الأصوات تجلب الهدوء للطفل ويستجيب لها بالكف عن البكاء.
الطفل داخل الجنين لم يصل إلى ما يمكن أن نسميه إدراكا، وإنما يعيش في عالم حسي خالص، ومع هذا فإن المثيرات التي تقع على الجهاز العصبي، تشرطت داخل الجهاز طبقا لقوانين بالمألوف في التشريط الكلاسيكي، والتشريط هنا يتم عادة على المستوى العصبي الحسي، بغض النظر عن الإدراك، بل إن هذا التشريط بدون إدراك يكون أكثر فعالية واستمرارية. وهذا ما يحدث . كما سنرى . في تشريط الجهاز العصبي للجنين داخل الرحم، للاستجابة الحسية الجلدية والحركية والبيولوجية الداخلية للإيقاعات السمعية، ثم الاستجابة النهائية بالمتعة ومشاعر السعادة والسرور.

ب . تشريط استجابات الإيقاعات الجسمانية الحسية البيولوجية بالإيقاع السمعي داخل الرحم:
من الحقائق المعروفة حالياً في علم الأجنة (أو الـ bryology)، أن الجنين يعتمد في الحصول على غذائه والأكسجين وخروج البقايا على الدورة الدموية للأم، وهي تصب في المشيمة التي تتصل مباشرة بالجنين.

ويمكن تصور النموذج التالي:
أن نبض القلب . والتنفس عند الأم، والإيقاعات البيولوجية الأخرى، داخل جسم الأم، كل هذا يصل إلى المشيمة والسائل الرحمي. ومن هنا تحدث حركات إيقاعية في المشيمة، وفي نفس الوقت حركات إيقاعية في السائل الأمينوتي، ثم وصول الغذاء إلى الجنين، وما يرتبط به من حركات بيولوجية داخلية؛ مثل تغيرات في نبضات قلبه، والرئتين والدورة الدموية. ويمكن توضيح هذا فيما يلي بالنسبة للجنين داخل الرحم.
أ . إحساس جلد الجنين بإيقاعات السائل الرحمي حوله، مع ضغط هذا الإيقاع على أذن الجنين، فيصل للجهاز العصبي السمعي، كمنبهات سمعية إيقاعية على المستوى الحسي.
ب . ضخ الدم من المشيمة، حاملا الغذاء عبر الأوعية الدموية للجنين، إلى داخل جسم

الجنين، محدثا حركات إيقاعية، أو تغيرات في إيقاع الدورة الدموية للجنين، وفي نبضات قلبه.

ج . يؤدي هذا إلى حركات جسمانية للرأس، وربما الأطراف، بما قد يؤدي إلى تغير أوضاع الجنين في الرحم بالطبع في حدود البيئة الرحمية (Tucker 1996 P. 70)

النقاط (أ، ب، ج) تشير إلى موقف في الرحم، تمثل إحساس الجنين بإيقاعات لمسية على الجلد، مع صوت إيقاعي على الأعصبة السمعية، مع إحساسه بتغيرات إيقاعية بيولوجية، ترتبط مباشرة بحركات جسمانية إيقاعية، ثم موقف وصول الغذاء وينتهي كل هذا بإحساسات الإشباع والطمأنينة.

ويمكن تمثيله في الشكل التالي:

(أ + ب+ ج) ــ غذاء الجنين ــ استجابة الطمأنينة والإشباع

(تمثل موقفا مثيرا شرطيا) (مثير طبيعي)

كل هذا داخل الرحم، لا يمكن أن ندعي إنه إدراك، بل يتم على المستوى الحسي العصبي، ويمثل الأرضية الفسيولوجية الأساسية للمدركات التي سوف تقوم عليها بعد الميلاد.

ومع تكرار هذا النموذج التشريطي داخل الرحم، فإن الموقف أ، ب، ج يكتسب خاصية استثارة الاستجابة الخاصة بالشعور بالإشباع والطمأنينة والسكينة. وإذا ما ظهر أي عنصر من الموقف أ + ب + ج فإنه يستدعي بقية عناصر الموقف الكلي، ويستثير استجابة المتعة والنشوة والإشباع.

بعد الميلاد، تظل هذه الأرضية التشريطية موجودة، حتى إننا . كما أشرنا سابقا . نجد أن الأطفال بعد ٥ أيام من الميلاد، استجابوا للإيقاع السمعي ببقية مكونات الموقف أ + ب + ج، أي الإيقاعات البيولوجية، والحركات الجسمانية، ثم مشاعر الإشباع. وبعد الميلاد تتدخل عملية التنشئة الاجتماعية، وتتدخل متغيرات أخرى في تشكيل تذوق الموسيقى بانواعها، ومع هذا، تظل الأرضية الأساسية هي ما تم تشريطه داخل الجنين، وربما وجود أساس جيني مع هذا التشريط.

هذه الأرضية هي . بقدر علمنا . التفسير النظري الوحيد، والقائم على أساس تجريبي، والذي يفسر لنا تلازم الإيقاعات الحركية الجسمانية الحسية البيولوجية المصاحبة للإيقاع الموسيقي، واتباع هذا بمشاعر المتعة والإشباع التي تتبع الإيقاع الموسيقي. إذن هي استجابة عامة، بتعمق الإحساس بها، كلما توافرت كل عناصر الموقف التشريطي مع الإيقاع السمعي الموسيقي، مثل الإيقاعات الحركية حتى الرقص، واللمسية والبيولوجية الداخلية.

غير أن كل عناصر هذا الموقف، تتوقف عند الاستمتاع، ومشاعر الإشباع والاسترخاء لتكون . كما انتهينا سابقا . عاملا من عوامل العلاج، والصحة النفسية، كما أثبتنا في الفروض السابقة، وقد تكون . بالعكس . موقفاً مثيراً لسلوك منحرف، وهذا ما سوف نحاول إثباته، وتحديد الخصائص التي عندها يصبح الإيقاع الموسيقي مثيراً لسلوك منحرف.

ولعل هذا يبدأ توضيحه من خلال الإيقاع الحركي البيولوجي، المصاحب بالضرورة للإيقاع السمعي، وما يحدثه من اضطرابات إدراكية.

الإيقاعات الجسمانية المصاحبة للموسيقى واضطرابات الإدراك:

بداية، من الصعب أن نتصور اضطراباً سلوكياً، أو انحرافا، بدون اضطرابات إدراكية، سواء في إدراك الواقع المادي

الخارجي والاجتماعي، أو إدراك الذات، أو القيم أو المفاهيم، أو أطر الدلالة الاجتماعية.

وقبل أن نعرض لموضوع علاقة الإيقاعات الجسمانية هذه باضطرابات الإدراك. علينا أن نعرض قبل هذا لما يأتي:

اضطرابات الإدراك:

بالطبع لن نتناول هذه الاضطرابات كموضوع متكامل خاص بذاته، وإنما سنتناوله من حيث:.

أولا: أشكال هذه الاضطرابات، والرقص، أو الإيقاعات الجسمانية البيولوجية كأحد أسبابها.

ثانياً: كيف أن هذه الاضطرابات . الناتجة عن شكل محدد من الإيقاعات الجسمانية المصاحبة للموسيقى. تنتج وتولد اضطرابات سلوكية.

أولاً: اضطرابات الإدراك والإيقاعات الجسمانية الحركية

١ . ما هو الإدراك؟

الإدراك يشير إلى المعرفة المباشرة بالعالم الخارجي، المادي والمعنوي، من خلال تفسير المخ، مستعينا بالخبرات السابقة، المخزنة للإشارات النيورونية الواردة عبر المسارات والأعصبة الحسية. ومن بعض البناءات اللاواعية في العضلات والمفاصل، والتي تحدد مواضع الأطراف (Harre et al 1986 P. 207).

فالمنبهات الخارجية تتفاعل ميكانيكيا، أو كيميائياً، مع المستقبلات الحسية، ويتكون ما نسميه بالنبض العصبي، الذي يسير على شكل نبضات داخل أعصبة الجسم، متنقلا من عصب إلى اخر، مستعينا بما يسمى بالناقلات العصبية، كالدوبامين والأستيلكولين... إلخ.

وتنقسم الناقلات العصبية إلى ثلاث مجموعات.

(١) Monoamines: . وتتضمن الدوبامين والإدرينالين والنورابنفرين والسيروتونين والأستيلكولين.

(٢) Amino Acid وتتضمن glycene-GABA-glutamate

(3) Pepticles وتتضمن neuronessin -opiodes- endogenous

وتساعد تلك الناقلات على تحويل طاقة المثير إلى نبضات عصبية، من خلال الغشاء البروتيني للخلايا العصبية المستقبلة، حيث يحدث تغيرا في جهد غشاء الخلية في العصب الحسي، وينتشر في العصب من خلال استقطاب، وإزالة استقطاب، حتى يصل للجهاز المركزي

(Tucker et al 1996 P. 73 Martin et al 1995 P. 375)

وعند هذا المستوى من الاستثارة، وحتى تنتقل النبضات العصبية خلال الأعصبة الموردة، تكون في نطاق الإحساس، فإذا وصلت إلى المناطق الحسية اللحائيه، تكون أيضا في نطاق الحس، ويمكن أن يتحدد سلوك الجنين، وأنواع متعددة من الحيوانات.

(Kandel 1995 P. 222, Harre et al 1986 P. 207)

وهنا يتحدد السلوك بالمثير الحسي بشكل مباشر . كما أشرنا في مرحلة الجنين . بعكس السلوك الذي يتحدد بالإدراك، اي بعدما يصل التنبيه الحسي الكهركيميائي إلى لحاء المخ، ويقوم بتفسيره، أو إعطائه معنى، فتتحول الإشارة الحسية الواردة إلى مدرك، بعوامل معينة، مثل الخبرة السابقة والسياق.

والإدراك ليس صورة فوتوغرافية للإحساسات، بل هو عملية خلق وإبداع، في سياق المدخلات الواردة من الأعصبة الموردة الحسية، أي أنه استنتاجات من معطيات حسية، بغض النظر عن المنبهات الموضوعية الخارجية (Harre & Laml 1986 P. 208) مع

ملاحظة هامة، أننا لا نكون على وعي بالإشارات الحسية الكهروكيميائية في الممرات العصبية الحسية، وإنما نكون على وعي بالمدرك، الذي يحدد استجاباتنا لما نظن أنه منبه موضوعي بالخارج. ننسى أنه في الحقيقة مدرك داخلنا، أو داخل جهازنا العصبي، قد يطابق مدركات أجهزة عصبية أخرى عديدة، وقد يتفرد بمفرده، خالقاً لنفسه عالما خاصا من المدركات. فمخ الإنسان يفرض تنظيماته الخاصة على المدخلات الحسية الواردة من البيئة، وأي خلل في هذه المدخلات عند مستوى معين، يرفضها الجهاز العصبي، ويفرض المخ مدركاته الخاصة، ذلك أن له قواعده (كما يرى رواد مدرسة الجالشطالت، خاصة: فرنهيمر . كلهر . كونكا) التي يفرضها على المدرك (McCleary 1970 P.5) وفي نهاية هذا الجزء، نذكر القارىء، بأن لمدرسة الجشطالت دراسات تجريبية عديدة حول الإدراك، لا مجال هنا لعرضها، وما سوف نحتاجه سوف نعرض له فيما سيأتي، مثل تجربة ماكس فرنهيمر الشهيرة تحت اضطرابات الإدراك.

٢ . اضطرابات الإدراك

لم يعد مخ الوليد البشري صفحة بيضاء كما زعم جون لوك، بل يولد ولديه أساس غير متعلم، مثل تلك التشريطات بين الإيقاع السمعي، والاسترخاء واستجابة المتعة، وأسس جينية، وبرامج آلية موجودة في الـ DNA + RNA، كأرضية أساسية يمكن للوليد على أساسها أن يفهم، ويدرك البيئة التي سوف يعيش فيها بعد الميلاد. ومن هنا يؤكد هوبل Hubel et al أن مخ الوليد البشري مبرمج، ويحتوي على تنميطات بصرية، وأخرى بصرية مكانية، عند الميلا . مما يجعلنا نفترض أن لها أساسا جينيا.

غير أن عدم الممارسة الجيدة والمتكاملة للحواس، خاصة حاسة البصر، والحركة، يمكن أن يفسد هذا البرنامج الجيني المفترض، حيث انتهت دراسات هيلمان وباور Hailman & Bower إلى أن الخبرة البصرية تلعب دورا خاصا في تشكيل القدرات الإدراكية، بل إن الجهاز البصري نفسه يتغير بالممارسة في الحياة المبكرة للإنسان. (McCleary 1970 P. 140)، كما أشار ماكليري إلى أنه إذا لم تتح الفرصة لشخص ما، أن يمشي، وينظر في نفس الوقت، وهو يمشي أثناء طفولته الأولى، تظهر لديه صعوبة متاخرة، في أن يرتبط بصريا بمواضع الأشياء (Ibid P. 139). بل إن الحرمان الإدراكي، يمكن ان يفسد ما يسمى بالدوائر البصرية الجينية، التي تكون موجودة بالضرورة عند الميلاد، مما يؤدي بالتالي إلى اضطرابات إداركية، ذلك أن النبضات العصبية الناتجة من تفاعل طاقة المنبهات مع المستقبلات الحسية، لا تجد إطارا ينتظمها؛ فنرى العالم مشوها اشبه بالهلوسات، وبالطبع يزداد الأمر سوءا إذا كان المخ الأيمن هو المسيطر في هذه اللحظة، حيث ينخفض تحكمنا في مدركاتنا، وينخفض الوعي والإرادة. بما ييسر لهذه المدركات المهوشة، أو الإحساسات غير المنتظمة في مدرك، أن تسيطر علينا، وتبدو كهلوسات لا علاقة لها بالواقع.

وبالتالي فإن أي عامل يشوه النبضات العصبية في أعصابنا، ينتهي بالهلوسات. ومن هذه العوامل اهتزاز المثيرات الخارجية، وسرعة تواليها بما لا يتلاءم مع معدل سرعة النبض العصبي، او إيقاعات جسمانية حركية . كالرقص . تؤدي الى اهتزاز النبضات العصبية

أو طاقة المنبهات الساقطة على المستقبلات الحسية.

٣ - اضطرابات الإدراك والحركة الجسمانية:

هناك ما لا يقل عن ثمانية اضطرابات في مخ الإنسان، تؤدي إلى اضطرابات إدراكية حادة، تجعل من الصعب على الشخص أن يتابع شيئاً متحركاً بعينه، أو أن يميز بين متغيرات مرئية، وتتركز معظم هذه الاضطرابات في لحاء المخ الخلفي، أو في مركز البصر. وهناك اضطرابات إدراك معروفة، نتيجة تلف في المخ، مثل: ما يسمى باضطرابات التوجه المكاني Topographical واضطرابات الذاكرة المكانية. (Kolb & Whishaw 1990 P. 391 & 659)

واضطرابات المخ السابقة تنعكس في اضطرابات حركية كما تسبب اضطرابات إدراكية. أي أن هناك علاقة بين اضطرابات الحركة واضطرابات الإدراك، ترجع إلى تلف مراكز معينة في المخ، تشرف على مراكز حركية أو إدراكية. ويتضح هذا أكثر في نصف المخ الأيمن، الذي يسيطر على الأداءات الحركية الإيقاعية الجسمانية، والعمليات الإدراكية البصرية، كما يكون مسيطرا حينما نستمع لإيقاعات صوتية غير كلامية(ibid P. 663)

أي أن الاضطرابات الحركية عادة تتلازم مع اضطرابات إدراكية، بالرغم من سلامة المستقبلات الحسية، وقد أشار هولمز إلى عينات من المرضى، لديهم اضطراب ادراكي بصري، بالرغم من سلامة البصر والعين. والجهاز العصبي البصري، وفي الوقت الذي يستطيعون فيه التعرف على الأشياء، يفشلون في ملاحظتها بأعينهم، أو في إدراك العمق. ومن دراسات هولمز لمرضاه انتهى إلى أنه يوجد للإنسان مكونين للجهاز البصري.

أ. مكون لتمييز المثيرات المرئية. وإذا اضطرب هذا المكون، يصعب علينا التمييز بين المثيرات، وتتداخل مع بعضها.

وربما نرى أشياء جديدة لا وجود لها، مركبة من هذه المثيرات، مثلما حدث في تجربة فرتهيمر.

ب. مكون اخر لتحديد موضع المثيرات المرئية، والوصول إليها، وتأكدت النتائج في دراسات عديدة مثل رويدتش (Riddoch ibid P 232)

وتساعدنا هذه النتائج على فهم متواضع للهلاوس التي تحدث لمرضى الذهان، أو ما يسمى بالاستشعار عن بعد عند بعض الصوفيين. ومن الاضطرابات الإدراكية أن يرى الفرد النمط المدرك، ولكنه لا يستطيع التوجه بيديه إليه، أو يبدو انه لا يراه، ومع هذا يمكن أن يلتقطه، ويسمي ويسكرانتز Weiskrantz هذا المرض باسم Blind sigh.

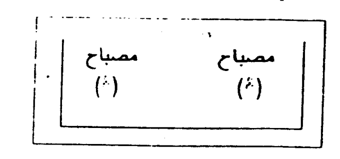
ومن هذه الاضطرابات أيضا، صعوبة التعرف على أشياء كانت مألوفة لدينا، ومن أخطر اضطرابات الإدراك، صعوبة التمييز بين الشكل والأرضية، كما تناولته تجارب علماء الجشطالت (F. Kristal et al 1982 P 105-)

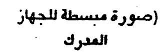
وكما في الكأس والوجهين (slaven R.F. 1991 P. 134-) حيث يتداخل الإدراك هنا، ما بين أن الشكل يمثل وجهين أو يمثل كاسا.



اي انه حتى مع سلامة المستقبلات الحسية والأعصبة ولحاء المخ، فإن تداخل بناءات المثيرات الخارجية، وعدم تماثل سرعة توالبها مع سرعة النبضات العصبية. فإن هذا ينتج لنا مدركات لا علاقة لها بالواقع، وأقرب إلى الهلاوس.

وتأكد هذا من تجربة كلاسيكية مشهورة لعالم جشطالتي ألماني هو ماكس فرتهيمر. حيث كون جهازاً به مصباحين متجاورين، يفصل بينهما عدة سنتيمترات. يضيئان بالتبادل بفاصل زمني ٤/١٠٠٠ من الثانية. لم ير المشاهدون المصباحين، إنما كل ما رأوه عبارة عن دائرة بيضاوية مضيئة، وتسير في خط بيضاوي كما يلي




(صورة مبسطة للجهاز
المدرك



نقطة مضيئة تسير في خط بيضاوي

هذه التجربة ليست جديدة على أي دارس لعلم النفس، غير أن تفسيرها هنا يعني أن المدرك مخالف كلية لعناصر المثير الخارجي، ولا وجود له في الواقع، بل هو نتيجة الاستثارة اللحانية الداخلية أشبه بالهلاوس. فنتيجة لقصر المسافة الزمنية الفاصلة بين إضاءة المصباح الأول والثاني. كان سببا في استثارة نبضات عصبية للمصباح الأول على نفس الأعصبة، مع الاستثارة العصبية للمصباح الثاني، توصل للمخ استثارات متداخلة ليس لها بها خبرة سابقة. هنا يكاد ينفصل لحاء المخ عن البيئة ليكون لنفسه من تلك الاستثارة العصبية المتداخلة مدركا خاصا به، ليس له مقابل في الواقع. تماما أشبه بالهلاوس.

ولا جدال أن الخداعات الحسية كذلك، إنما تمثل مثيرات بيئية خارجية، لا تتسق مع بناء الجهاز العصبي، ومع المخزون من خبرات تعلم سابقة (Kandel et al 1995. P 388-) والشخص المدرك لمثل هذه المدركات التي لا مطابق لها في الواقع، مثل الذهاني صاحب الهلاوس، ومثل الحالم في نومه، كإل منوم صادق حتى يستيقظ من حلمه، أو يشفى من ذهانه، أو تتوقف الاستثارة الداخلية عن خلق مدركات غير مطابقة للواقع، وينتهي من موقف التزييف الإدراكي.

ويحكي لنا العلم أننا كثيرا ما ندرك هلاوس بشكل سريع، من ركن ما من أركان العين، ونرى أشياء عادة غامضة وغير موجودة، أو نشعر بشيء على جلدنا غير موجود، هنا تتدخل المستويات العصبية العليا، خاصة الجهاز الجبهي من المخ الأيسر، لنتأكد من وجود أو عدم وجود هذا المدرك. وفي الحالة العادية نكتشف بشكل تلقائي عدم وجوده. ولكن ماذا يحدث لو لم تتدخل هذه المستويات العليا، خاصة المخ الأيسر، لمراجعة هذا المدرك الوهمي، هنا يظل المدرك الوهمي مفروضا على مخنا، وندركه على أنه حقيقة موضوعية. وبالطبع هو ليس كذلك، وتحدث الهلاوس أو

ظواهر ما يسمى بالباراسيكولوجي (Whishaw ١٩٩٠ P ٢٥٢-) كل ما يسبب خللاً إذن في المنبهات الخارجية، والطاقة الساقطة على المستقبلات الحسية. خاصة مع سيطرة المخ الأيمن، وخفض المخ الأيسر، إنما يمثل مدخلا رئيسيا للهلاوس والهذاءات، ومدركات ما يسمى بالباراسيكولوجي، ولا يقتصر هذا على المجال البصري، بل يمتد ويبرز في المجال السمعي والموسيقى. والأصوات ذات الإيقاعات السريعة جدا، التي قد تصل إلى ٣٠ مللي ثانية مثلا، ربما تحدث تداخلا فيما نسمع، حتى نسمع أصواتاً أخرى غريبة. خاصة إذا كان هناك جراحات مخية بالفص الجبهي (Whishaw et al ١٩٩٠ P ٢٤١-) وهنا يكون المخ الأيسر هو المسيطر، وأية جراحة فيه تؤثر بشكل فعال، وذلك حينما نستمع للكلمات، بينما حينما نراها ينشط المخ الأيمن (Kandel et al ١٩٩٥ P ٤٨٩).. وفي هذه الحالة تنشط الاضطرابات الإدراكية؛ كالأوهام والأحلام، واضطرابات إدراكية أخرى. متعددة، مثل: تلك التي طرحها بنفيلد Penfield وهي

(١) سمعية: (أصوات قريبة أو بعيدة عادة. غير موجودة أمامنا، نتيجة استثارة جزء من لحام المنطقة الصدغية، مثل سماع أصوات الموتى، وأشخاص في أماكن بعيدة... إلخ).

(٢) بصرية: مثل أوجه اناس غير موجودين، او موتى، أو في صورة شيطانية، مركبة من عناصر مرت بنا.

(٣) أوهام التعرف: حيث تصبح الظواهر التي كانت مألوفة غريبة، وتظهر حالات كالأحلام.

(٤) مشاعر وجدانية: مثل مشاعر الوحدة والاكتئاب والخوف... إلخ

(Thru: Kandel E. et al 1995 p 205-)

ثانيا: الإيقاع الجسمي الحسي واضطرابات الإدراك والسلوك:.

هناك أنواع متعددة من الحركات الجسمانية، غير أننا نقصد هنا تلك الحركات التلقائية، والتي عادة ما تصاحب الإيقاع الموسيقي، كما أثبتنا هذا في الأجزاء السابقة وتخضع لعمل نصف المخ الأيمن، وتتميز بإيقاعات واضحة كالمشي والرقص... إلخ. حيث تنقبض عضلات، وتنبسط عضلات أخرى، في شكل إيقاعي متكامل. وتخضع إيقاعات هذه الحركات لـ :

١ . سيل من المعلومات المستمدة من أحداث البيئة، وموقع الأطراف والجسم.

٢ . جهاز الضبط الحركي المنظم للأعصبة الهابطة لساق المخ، والمناطق اللحائية في لحاء المخ. وإحداث التكامل بين التغذية الراجعة وميكانيزمات التكيف. (ibid P. 491)

وأي اضطراب أو خلل في معدل سرعة سيل المعلومات، أو في جهاز الضبط الحركي، ينتهي بمدركات لا علاقة لها بالواقع، وتتمركز الاستثارة العصبية على نفسها، مع شبه رفض لسيل المعلومات الوارد من الخارج. وهذه الحقائق تأكدنا منها في الأجزاء السابق عرضها، وواضح أنها تقترب بنا من فهم الفرض الأساسي . الثالث . لهذه الدراسة.

والحقيقة فإن الأجزاء السابق عرضها، انتهت بنا إلى حقائق أخرى، لابد من تلخيصها وعرضها بشكل متكامل، بما يجعلها تطرح لنا تفسيراً أو تحقيقاً للفرض الثالث.

ومن هذه الحقائق:.

(١) أن لكل منا ايقاعاً شخصياً. ينتظم في إطاره الإيقاع الحركي والبيولوجي، ويتفرد

كل منا بايقاع شخصي مميز له، يتسق مع جهازنا العصبي، وسرعة النبضات العصبية في هذا الجهاز (عبد السلام الشيخ ١٩٩٥).

(٢) أن الموسيقى أو أي أصوات . غير كلامية وإيقاعية . عادة تستثير فينا إيقاعات حركية جسمانية، وإحساسات جلدية لمسية، وتغيرات بيولوجية، تنتهي أحياناًبشكل ما من أشكال الرقص.

(٣) مع زيادة سرعة الإيقاع الصوتي، تزداد سرعة الإيقاعات الشخصية. وما يغطيها من إيقاعات حركية /بيولوجية

كيف تؤدي هذه الاضطرابات الحركية إلى اضطرابات سلوك:.

أ. بمجرد أن نستمع إلى إيقاع موسيقي، يسيطر المخ الأيمن، وينخفض الوعي، ويقل الاتصال بالبيئة الخارجية، وتسهل الاستثارة الداخلية العصبية.

ب. سيطرة الجزء الأيمن ترفع قابليتنا للإيحاء.

ج. مع صوت الموسيقى تصدر عنا حركات إيقاعية حسية، تتزايد سرعتها مع حركات بيولوجية، بزيادة سرعة الإيقاع الموسيقي، طبقا لما ألبتناه داخل رحم الأم.

د. مع تزايد سرعة الإيقاعات الحركية الجسمانية، يختل معدل سقوط طاقة المنبهات وسرعتها على المستقبلات الحسية. فتصبح أشبه بمصباحي فرنهيمر، وقلم العالم ودورث، الذي أثبت أنه كلما زادت سرعة مرور القلم أمام أعين المشاهدين، كلما زاد خطأهم في الحكم عليه، ويرون شيئا مخالفا عنه (ibid 491-2) ويعتمد لحاء المخ على بناء مدركات من الاستثارة الداخلية، ولم يعد في حاجة إلى المثيرات الخارجية تماما، كما يحدث في الأحلام والهلاوس (Kandel et al 1995 P. 26-).

هـ. ولما كانت هناك علاقة تشريحية قوية، بين الأجهزة الحركية والحسية، فإن هذا يؤكد أن الإيقاعات الجسمانية الحسية، الأسرع من النبضات العصبية، ومن معدل السرعة القصوى للنبض الحسي، تؤدي. مع سيل متداخل وغامض من المعلومات الخارجية . إلى انفصال ولو مؤقت للجهاز العصبي عن الواقع الموضوعي، وخلق مدركات من خلقنا اشبه بالهلاوس والأحلام، تحت سيطرة المخ الأيمن. (Kandel et al P. 275).

ومن المعروف أن الذين يجرون بسرعة، أي يغيرون من معدل إيقاعاتهم الحركية احيانا، يمرون بهلاوس متعددة. وقد ثبت ذلك من تجارب عديدة منها تجارب (Spuin 1976 F. Glasser 1976) (thru: Farthing 1992 P.4)

معنى هذا أن مستمع الموسيقى . خاصة ذات الإيقاعات السريعة والحادة . تستثار منه حركات جسمانية إيقاعية، قد لا يستطيع التحكم فيها، ويستسلم لحركات جسمانية متوازية في سرعتها لما يسمعه من إيقاع. هنا يسيطر المخ الأيمن، وتضطرب المنبهات الحسية.. ويصعب على الجهاز العصبي تنظيمها في إطار خبراته السابقة. هنا الانفصال عن العالم الخارجي، وتكوين مدركات أو هلاوس لا صلة لها بما هو موجود أمامنا في هذا العالم، نستطيع أن نخلق ما نحب من مدركات نحل بها مشكلاتنا، بل نستحضر الأرواح والموتى والأشباح. والقريب والبعيد. إنه حلم نكونه بأنفسنا، وقد نصدقه ونستريح فيه.. وكلما انتهى، ورجعنا إلى الهدوء العصبي والحركي، وبدأنا نشعر بمشكلاتنا، فما أسهله من عقار نفسي ملائم، كالبانجو والحشيش والكحوليات، مع جلسة

الموسيقى المثيرة لحركاتنا التي تنتزعنا من الواقع لنعيشه داخلنا، ومن هنا يحدث التعاطي.

والغريب الذي يدعم وجهة نظرنا هنا، أن جلسة الموسيقى هذه، والتعاطي، يدعم كلا منهما الآخر، ولذا فإن المتعاطي يختار . تلقائيا . العقاقير ذات التأثير النفسي المتوسط وليس العميق، كالحشيش والكحوليات، بينما عقاقير كالهيروين والأفيون، هي في ذاتها، بدون موسيقى، كافية لحمل المتعاطي لعالم هلوسات كاملة، بعيدة عن الواقع، ولذا لا تتعاطى داخل الملاهي، أو في حفلات الموسيقى والرقص. (مصطفى سويف ١٩٩٥ المجلد الرابع والسابع)

وبهذا نحقق الفرض الأساسي . الثالث . لهذا المقال.

وأخيرا ومما سبق يمكن تحديد الشروط التي تيسر للإيقاع الموسيقي أن يثير اضطرابا سلوكيا.

١ . أن يتصف الصوت الموسيقي بما يلي:

أ . سرعة خاصة حبذا لو تجاوزت معدل سرعة السيال العصبي في الأعصبة.

ب . أن تكون الإيقاعات والنغمات متداخلة، بغض النظر عما إذا كانت بسيطة أو معقدة.

ج . ألا يصاحبها لغة كلامية تستثير عمل نصف المخ الأيسر.

د . أن تستثير فينا حركات جسمانية ذات سرعة وعمومية معينة.

٢ . أن تكون الحركات الجسمانية المصاحبة لها . سواء رقصا أو غيره . تتكون من إيقاعات حركية.

ا . سريعة عن معدل سرعة الإيقاع الشخصي.

ب . عامة بمعنى تغطي معظم العضلات الهيكلية مثل الرقص والزار.

ج . أن يتزايد معدل سرعة الإيقاع السمعي مع سرعة الحركات الجسمانية.

٣ . أن يكون لدى المستمتع تهيؤ ذهني للاندماج الكامل في الموسيقى. وترك الحرية لإيقاعاته الجسمانية، بدون محاولات ضبط أو تنظيم كما في رقصة البالية.

٤ . يتدعم الموقف إذا صاحبه تعاطى بعض المواد النفسية متوسطة التأثير في الجهاز العصبي مثل:

الكحوليات . البانجو . الحشيش

بينما المواد النفسية شديدة التأثير في الجهاز العصبي قد تفسد موقف المتعة . كالأفيون.

ومن هنا، مصاحبة التعاطي لمثل هذه الموسيقى، وربما الجنس الذي يرتفع علميا مع خفض الوعي، ومع سهولة الانقياد للآخرين، وأبناء السوء، هذا علاوة على الاضطرابات الملازمة، كاضطرابات الإدراك والهلاوس، وسماع ورؤية ما ليس له وجود. والارتباط وجدانيا بعشق هذا العالم الوهمي، خاليا من المشكلات، مشبعا للمستمتع، ولو على مستوى الوهم مع العالم. .

بعض الشروط التي تحمينا من اضطرابات السلوك المصاحبة أحيانا للموسيقى:

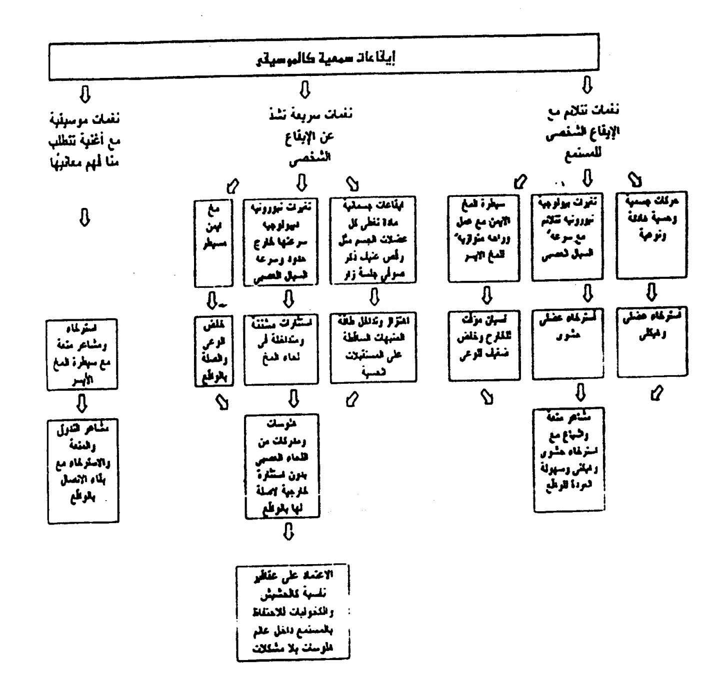
١ . ألا نسمح لأنفسنا بالاندماج في الحركات الإيقاعية السابق الإشارة إليها والمصاحبة للموسيقى.

٢ . يساعدنا على ذلك، أن يصاحب الموسيقى أغنية لها معنى، تحتاج إلى مجهود لفهمه. كالشعر أو أغاني تحمل هدفا في معانيها... وليست مجرد أصوات بشرية. ويشترط أن تفرض على المستمع محاولة فهمها. مما يبقى على المخ الأيسر مسيطرا.

٣ . وعلى ذلك، يمكن أن نسمح لأنفسنا بالاندماج في الاستماع للموسيقى، مع تركيزنا

على فهم الأغنية التي تصاحبها، بما يسهم في تحقيق المتعة المصاحبة، مع بقاء الاتصال بالعالم الخارجي.

٤. أن تكون إيقاعات الموسيقى هادئة، وألا تتجاوز سرعتها معدل سرعة سير السيال العصبي في أجسامنا، ولو بدون أغنية، وحتى في هذه الحالة، علينا أن نحاول أن نبحث للموسيقى عن معنى ومدلول، بما يبقي على المخ الأيسر مسيطرا، وييسر لنا سهولة العودة إلى الواقع، ويحمينا من الخضوع للهلاوس لو حدثت، بل نرفع قدرتنا على التحكم فيها. وأخيرا يمكن تلخيص الموقف كله في النموذج التالي:



المراجـــع

أهم المراجع العربية

١ . فؤاد زكريا ١٩٩١ مع الموسيقى . القاهرة (الفجالة): مكتبة مصر

٢ . عبد السلام الشيخ ١٩٩٧ السلوك والمنبهات الاجتماعية . طنطا: دار الحضارة للطباعة والنشر.

٣ . يناير ١٩٩٦ . الإيقاع الشخصي كمؤشر للشخصية واضطراباتها . دبي: كلية شرطة . مجلة الأمن والقانون

٤ . ١٩٧١ . الإيقاع الشخصي والإيقاع في الشعر المفضل . ماجستير غير منشورة . اداب القاهرة.

٥ . مصطفى سويف ١٩٩٥ . التقرير الرابع والخامس والسابع . عن تعاطي المواد المؤثرة في الأعصاب . القاهرة: المركز القومي للعلوم الاجتماعية والجنائية . البرنامج الدائم لبحوث المخدرات.

أهم المراجع الأجنبية

Asratyan E. A and Simonov P. V 1986 The Learning Brain - Moscow: MIR Publeshers.
Frere J. E et al 1995 The world Book Medical Encyclopedio- Chicago: Scott Fetzer Co.
Hargreaves. D 1986 The developmental Psychology of Music - Campridge: Cambridge Un Press - Harre R and Lamb R. 1986 The Dict of Physiological and Clinical Psychology - Oxford:Basil Blackwell.
Kandel ER et al 1995 Essential of Neural Science and Behavior - New Jersey: Appleton & Jar.ge.
Kimble D.P. 1988 Biological Psychology - New York: Holt Rinehart.
Kolb. I and Whishaw I 1990 Fundamentals of Human Neuropsychology - New York: Free.man and co.
Koziol, J.F et al 1994 The Neuropsychology of Mental Disorders - Lblinols USA: Charles CT homas
Kristal Leonard and Eysenck et al 1982 The ABC of psychology - London: Pelican Books.
Mc Cleary R. A 1970 Genetice and Experimental Factors In Perception - Illinois: Scott, Foresman and Co.
Mc Minn R. M. H 1990 Anatomy - London & Singapor: Longman
Pritchard J. A. and Macdonald P. C. 1980. Williams Obstetrics - New York: Appleton Century
Salvin R.E. 1991 Educational Psychology - New Lersey: Prentic - Hall
Tucker P. Krug R.s 1996 Behavioral Science - New york: Leppencott - Roven
Weitz et al 1970 Problems of Aesthetics - New York: Macmillan

■ ■ ■ ■

الفصل السابـع

الدوافـــع والـــدافعيــــة

أ ـ مفهوم الدافعية :ـ

١ ـ الدافعيـــة والحـث

هى أحد المفاهيم التى تفترضها ونستنتجها مباشرة من خلال مادتنا الخـام أى السلوك ويمكن ادراكها من خلال مستوى النشاط العام الكائن ويختلف الافراد فـى هذا المستوى فهناك شخص معروف بأنه نشط دائما ومتحفز ومتيقظ ـ أى أن الدافعية مرتفعة وآخر متوسط ـ وثالث خامل متبلد لايستجيب بسرعة مناسبة للمثير أو للمنبه

ومن خلال اليقظة ـ التحفز ـ سرعة الاستجابة واستمراريتها ـ المثابرة وعامـة مستوى الحث arousal نستطيع أن نحكم أو نستنتج مستوى الدافعية عنـد الشخص ٠

ومن هذه الشواهد السلوكية ـ يظهر أو ينبثق الدافع ـ وهو كذلك أمر مستنتـج وكلما ظهرت مثل أو بعض هذه الشواهد السلوكية الخام نستنتج وجود دافع ـ وسوف نرى أن أى فعل أو أداء يصدر عن الكائن الحى لابد وأن يرتبط بهذه الشواهد السلوكية مثل مستوى معين من التيقظ والتحفز والحث يرتبط بها من تغيرات فيزيولوجيـة معينة سوف نعرض لها فيما بعد

٢ ـ الدوافع كمصدرات للسلوك

وبناء على ذلك فاننا نفترض أن كل فعل يصدر عن الكائن الحى انما تسبقة وتصاحبه متغيرات فيزيولوجية تؤخذ كمقدمات لاثبات وجود دافع وبالتالى فان أى فعـــل

أو استجابه تصدر عن الكائن الحى نفترض وراثها دافعا بالضرورة .

ولفظه دافع - أتت من كلمة لاتينية تعنى - to move أى تحرك ويصدر أفعـــالا

through Sarason 1982 P. 265

أو على الاقل يمكن النظر الى الدوافع - كما يرى مان - باعتبارها منشطات للسلـــوك

ووجود الدافع ينشط كذلك احساسات الكائن نحو مؤشرات إشباع هذا الدافع (مثـــل

رائحة الطعام وسلوك الجنس عند الجنس الاخر) وتسمى هذه بالوظائف الترميزيـــة

للدافـــع Cuehng function كما يوضح مان أن له كذلك تأثـــير

ارشادى أو توجيهى .

وبالرجوع الى دراسات وتجارب بافلوف وسكنر وثونديك . بالرغم من استبعادهـــم

للدافع فى نظرياتهم - نجد أن وجود الدوافع أمر ضرورى لصدور استجابات سواء مـــن

كلب بافلوف أو ثورنديك أو أطفال أو قط حمام سكنر .

ويذكر ساراسون أنه بالرغم من رفض السلوكيين التعامل مع مصطلح الدافعية ، الا

ان الكثيرين منهم استمروا فى استخدامها - فلابد مثلا من اختزال الدوافع عنـــد

هل hull مادمنا نتكلم عن التعزيز كما اهتم بك Beck 1978 بمفهوم

الدافعية فى تفسير نظريته عن التعلم بل أن كل دراسات التعلم عند السلوكيين - كما

يرى بيرلين سنة ١٩٧٨ لم تفصل عن الدافعية وتتضمن دراسات فرويد وتلاميذه مايؤكد

أهمية الدوافع شعورية أولا شعورية وراء بل وكسبب لجميع انماط السلوك الاداريـــة

الشعورية واللارادية أو اللاشعورية .

٣ ـ المؤشرات السلوكية للدوافع

قلنا أن الدوافع بناءات فرضية نفترضها وراء أى فعل يصدر عن الكائن الحى بمستويات معينة من المؤشرات السلوكية للحث أو التيقظ والتحفز ـ كما أنه يرتبط بمؤشرات سلوكية أخرى غير الفعل الصادر ـ ومعظمها داخلية منها :
تغيرات فى وظائف الجهاز الهضمى والدورى ونبضات القلب بل والاخراج أحيانا هذه الظواهر السلوكية خاصة المرتبطة بالدورة الدموية والهضمية والتنفس تعمل عادة بهدف الحصول على التوازن الفسيولوجى وتكامل الجسم ويكون أدائها متسقا عاديا اذا ماحصل الجسم على توازنه وتكامله فاذا اختل هذا التوازن اضطربت هذه الوظائف ـ وافترض وراءها دوافع ينتهى عادة بسلوك خارجى يهدف الى خفض القلق أو التوتر الحاصل واعاده التكامل والتوازن بالحصول على الهدف أو الحاجة ٠

ب ـ التوازن النفسى والجسمى والدوافع

ينتج الدافع من اختلال يصيب الانسان ـ جسمانيا او نفسيا ـ فيدفع الانسان الى اصدار استجابه للحصول على هدف يؤدى الى اعادة التوازن ٠ معنى هذا أن اختلال التوازن يحدث نتيجة للحرمان من الهدف اى من حاجة الى هذا الهدف ـ ومن هنا الدوافع بالحاجات وسنركز هنا على الحاجات الجسمانية ـ لكى نوضح العلاقة بين التوازن والدوافع والحاجات الجسمية كثيرة ومتنوعة ، مثل الحاجة الى الطعام والاكسجين والاخراج والدفء خاصة عندما بلغ النقص فيها الى مستويات خطيرة ٠

وهذا النقص هو الذى يحدث اختلالا فى التوازن الجسمى وهنا اما أن يثار دافع يدفع الانسان الى سلوك الحصول على الهدف أو أن يقوم الجسم بشكل تلقائى باشباع هذه الحاجة واعادة التوازن وتسمى هذه العملية التنظيمية لاعادة التوازن بالهوميوستازى وتتطلب ميكانيزم حس يسجل التغيرات الداخلية وينبه مراكز

جسمية وعصبية معينة لاستفادة الاتزان وتعمل هذه الميكانيزمات كترموستـــــات الاتزان والتكيف فاذا ظلت عند درجة حرارة واحدة ثابته فان الحس بسجل تغــيرات داله فى الحرارة فى اتجاه آخر وهنا نجد وحدة الضبط تشعل الفرن أو التكيف وحتى يسجل الحس أنه قد استعاد درجة الحرارة .

وحينما يسخن جسمك مثلا . فانه يعرق . وهذا يسبب خفضا لدرجة حرارتـــــك الى أقل من العادى - هنا يرتعش جسمك وهذا يعطيك قدرا من الدفء وفى المستوى السلوكى فان التكيف يدعوك الى البحث عن ظل أو عن دفء

Sarason, P. 268.

ومن أهم الدوافع التى ترتبط بالتوازن دافعى العطش والجوع.

فالانسان العادى مثلا يفقد فى اليوم حوالى ربع جالون نتيجة الاخراج والعرق وقــــد أثبت كارلسون وأخرون Colmanand Me Gaugh 1981 Carlson 81

أن فى جسم الانسان نوعين من المستقبلات تنظم مستويات السائل وسلوك الشرب عند الكائن .

١ - مستقبلات توجد فى الاورده والكليتين تنظم كمية ومقدار الماء حول خلايـــــا الجسم وحينما يسجل انخفاض فى السائل فان هذه الحواس ترسل اشارات الــــى المخ - حيث يحدث احساسا بالعطش - ويدفع الانسان الى الشرب .

٢ - مستقبلات أخرى فى مؤخرة الهيوثلاموس والفص الخلفى للنخامية وبسجل تغيرات السائل داخل خلايا الجسم - وحينما ينخفض أبـــــــدا دا بالمــــــاء فـــان هـــذه المستقبـــلات وبعـض خـلايا الجسم تفرز ماء فـــى

فى الدم والنبضات العصبية التى تصدر عن هذه المستقبلات حينما بفرز الماء تحلق احساسا بالعطش وحينما نشرب فان الماء يعود الى هذه المستقبلات ويتوقف الاحساس بالعطش

Sarason 1962 P. 271 Mun 1966 P. 186

ومع ان اختزال العطش يتم بالحصول على الماء ويتم اختزال الجوع بالحصول على الطعام - الا ان اختزال الحاجة لايتم الا اذا حدث تغير فى كيمياثية الدم نفسه أو أن اختزال الجوع أو العطش ليس هو اختزال الحاجة

M unn, 1966 P. 187

وبالرغم من ان بعض المؤشرات الفسيولوجية تعتبر مؤشرات هامة لقوة الدافع مثل تقلصات المعده والشعور بوخذة الجوع والتى تزداد مع الحرمان من الطعام الا ان مان يرى أن هذه التقلصات لم تعد ترتبط بدافع الجوع وحده بل يرتبط هذا الدافع كذلك بكيمائية الدم Ibid P. 186 كما قام باحثان بدراسة أوضح منها ان الشعور بالجوع والحاجة الى الاكل يستمر حتى لو قطعنا كل الاعصبة الموصلة من المعدة الى المخ .

اى ان تقلصات المعده ، لم تعد كافية وحدها لتفسير شدة دافع الجوع

(through: Sarason 1982 270, Brown 1980)

وكل اختلال فى التوازن كما فى البروده او الجوع لاتؤثر فقط فى البناء البيولوجى بل فى الجهاز العصبى خاصة مراكز الافعال المنعكسة ، واحيانا فى المراكز العصبية العليا التى تدخل فى عمليات السلوك العقلى والحركى الادارى فى المستوى ٠ الانعكاسى يحدث استعادة التوازن تلقائيا أو اتوماتيكيا وكثيرا مايكون أكثر دقة وملاءمة

من السلوك الارادى - اذا تم تحت شروط سوية ويسمى بالتوازن الذاتى الاستاتيكى
بل أن بعملية تنبيه مراكز عصبية معينة ويمكن استثارة دافع او كفة - فعمليـــة
اتلاف بعض الخلايا بجانب الهيبوتلاموس يرفض الحيوان الاكل والشرب ، فبينمـــا
اتلاف خلايا فى مركز الهيبوثلاموس فأنه يثير شهية ونهم الى الاكل

(Mun 1966 P. 187)

ولقد أوضحت الدراسات عامة ان جسم الانسان خاصة يعمل بطريقة مدهشة مـــن
أجل الاحتفاظ بالتوازن الذاتى وامداد الجسم بحاجاته • وفى كتاب ١٩٣٢ لوالـــتر
كانون عن حكمة الجسم تناول الاجهزة الفسيولوجية وكيف تضبط وتثبت حجم الـــدم
والسكر والملح والاكسجين وثانى أكسيد الكربون وكما تثبت حرارة الجسم فى حدود
معينة • وهذه الاجهزة تعمل دون وعى منه - قد يكون سببا كافيا لمنع الكائن مـــن
النوم حتى يعود التوازن الية وذلك كما فى تجربة (ريختر سنة ١٩٤٢ حيـــث
استؤصلت الغدد الادرينالية فى بعض الفئران - ونتيجة لذلك تتعرض للموت خلال من
١٠ - ١٥ يوما مالم تتناول كميات كثيرة من ملح الطعام ونظرا لزيادة افراز الملـــح
عن طريق البول • وكانت النتيجة اختلال معدل الصوديوم وزيادة الحاجة الـــى
كلوريد الصوديوم ، وعندما سمح للفيران بتناول الماء من وعائين احدهما يحتـــوى
على ماء عادى والثانى يحتوى على ملح طعام (٣٪) أظهرت الفيران تفضيلا للمـــاء
المحتوى على الملح • ومن هنا فالدافع لايرتبط مجرد تقلصات محدده بجسم الانسان
بل انة وظيفة الكائن بأكله -ولعل هذا يؤكد ماأشرنا اليه عن تعقد السلوك بأن اى

استجابه تصدر عن الانسان انما تعبر عنه ككل .

وهناك التوازن الذاتي الدينامي - ويرتبط عاده - بسلوك ارادي واع ويؤدبـه الكائن للحصول على هدف بعيد له - نفسيا وجسمانيا - التوازن ، وعادة ماترتبط هذه الانماط السلوكية بالدافع الاجتماعية المتعلمة ، ومن هنا كان التوتر - المرتبط باختلال التوازن لازما لاي عمل اداثيا أو فعليا أو عقليا وقدتناولنا العلاقة بين الدوافع والقلق في كتابنا : علم النفس في مجال التعلم المدرسي - بشكل مفصل .

ج - الدافعية والسلوك

أشرنا الى أن كل استجابه تصدر عن الانسان يوجد وراءها دافع نفترضة الا انهناك استجابات يكون الدافع وراءها غامضاً مما دعى بعض علماء النفس الى القول بسلوك مدفوع تتضح فية الدافعية . وآخر غير مدفوع - ووضعوا للسلوك المدفوع خصائص معينة .

١ - خصائص السلوك المدفوع

١ - الطاقة :

يتناسب السلوك مع مقدار الطاقة الناتجة بالنسبة لموقف معين ، فالانسان الذي سوف يشبع النجاح لدية دافعا قويا ورغبة ملحة وسواء رغبته في الحصول على تقدير الاسرة أو المدرسين أو لجماعة معينة ... الخ .. يكافح بقوة لتحقيق النجاح اكثر من انسان لايشبع النجاح عنده حاجات عميقة مثل الاول ، والفأر الذي حرم من الطعام أكثر من ٢٤ ساعة يكافح للحصول على الطعام أكثر من زميل له حرم ساعة أو ساعتين فقط .

ويمكن تقدير الطاقة الدافعية من خلال التوتر العضلى وموجات المخ وافرازات العرق . الخ . ثم أهم من ذلك التقارير الذاتية التى تحصل عليها من المفحوص عن مدى حاجته للهدف المشبع للدافع .

٢ - الاستمرارية :

الشخص المدفوع بدافع قوى لايستسلم بسهوله ، ويتضح ذلك من سلوك قوى واضح ومناسب لدوافعة وقدراته ، بينما الفرد المدفوع بقدر أقل كثيرا عن قدراته فانــــه سرعان مايستسلم للفشل ويتخلى فورا عن بذل الجهد .

٣ - القابلية للتغير :

تتصل هذه الخاصية باستمرارية واتصال السلوك حيث تكون سمه المثابرة واضحة عند الشخص المدفوع . الا أن هذا الفرد لايستمر فى مجرد تكرار نفسى الفعل . بل هو غالبا مايحاول سبلا وافعالا وحلولا اخرى . أى أن الهدف قد يظل واحدا ومـــع ذلك تتغير أساليب الوصول اليه . وبقدر قوة الدافع المثار بقدر ماتتنوع وتتعدل أساليب الوصول الى الهدف ويتفق هذا مع أحد قوانين ثورنديك الثانوية والـــذى يطلق علية " انتقال الاستجابة الى مواقف جديدة

٢ - اثارة الدوافع وسلوك الاشباع

تتضمن عملية اثارة دوافعنا والحصول على حاجاتنا - خاصه فى حاله التـــوازن الذاتى الدينامى - ثلاث عناصر هى :

١ - الحرمان من الحاجة لفترة زمنية معقوله يخلق اختلالا ودافعا

٢ - اختيار منهج أو وسيلة للحصول على الحاجة والهدف

٣ ـ سلوك نحو الهدف يؤدى فى حالة نجاحة الى اشباع أو اختزال الدافع ويؤدى فى حالة فشلة الى زيادة التوتر أو الى اليأس والاستسلام للفشل وخفض التوتر ٠

غير أن اثارة الدافع واصدار السلوك لايحدث لمجرد توافر هذه العناصر فالحرمان من الحاجة لايكفى بمفرده لاصدار السلوك أو حتى لتقويته ، فهناك عمليات التوقع ومعارف أو معلومات الشخص (كرموز لخبراته السابقة) عن هذه الحاجه ومعوقات ونتائج اشباعها وقيم الانسان والمتغيرات الفيزيائيه ويتدرج كل هذا تحت مانطلق علية الاسس المعرفيه للدافعية

ويتم اثارة الدوافع عن طريق :

١ ـ الحرمان من الحاجة

فالحرمان من الطعام لفترة طويلة يثير لدينا الاحساس بالجوع ـ كما يثير اختلا بالتوازن الداخلى ـ الفسيولوجى والنفس ـ مما يدفع الكائن للحصول على الطعام وسلوك الاكل ٠

٢ ـ الاستثارة الفسيولوجية

كما يمكن ان يستثار الدافع عن طريق عقاقير أو عمليات جراحية تحدث اختلالا داخليا ـ فعمليات جراحية فى بطنيات الهيبوثلاموس أو فى اجزائه الطرفية فتثير دافع الجنس أو الجوع ٠ واعطاء حقن ملح مثلا يثير الدوافع الى العطش ـ بل ان استئصال الغدد الادرينالية تثير دافعيا قويا لتناول الماء المذاب فية مقادير كبيرة من ملح ـ بل وتفضلة تلك الفئران التى استؤصلت غدتها الادرينالية على الماء العذب ٠

كما يمكن كف بعض هذه الدوافع كذلك بعمليات جراحية ـ معينة أو الحصول على

الهدف ٠

٣ ـ الشروط الاجتماعية لاثارة الدافع :

هناك شروط اجتماعية تستثير الدوافع أو تيسرها ـ بغض النظر عما اذا كان الدافع مشبعا أو لا ـ فطريقة عرض سلعة معينة ورخص ثمنها مثلا قد يدفع شخصا مـــا لشرائها حتى لو لم يكن به حاجة اليها ـ كذلك قد تكف دافع معين ـ فمثلا بالرغم من وجود (طعام أو سندوتشات) معى وبالرغم من احساسى بالجوع فقد امتنع عـــن الاكل لتواجدى داخل محاضرة أو تحت شروط اجتماعية معينة ٠

كما ان سلوك الانسان ـ ليس سلوكا ميكانيكيا يصدر نتيجة لدافع واحد أو حتى لعدد محدود من الدوافع بل يتشكل هذا السلوك بموقف دافعى متفاعل ومتصارع والكائـــن الحى ـ خاصة الانسان ـ يخاطر دائما ببعض حاجاته ودافعيته لاشباع حاجات اخـــرى تكون أكثر أهمية ومن هنا كان مايسمى بصراع الدوافع وترى المدرسة الفرويدية ـ أنه المسئول أساسا عن الامراض النفسية وكذلك كانت عمليات ابدال الدوافع نتيجـــة اختيار لاشعورى لدافع يمكن اشباعه بديلا عن دافع من الصعب اشباعه ٠

د ـ صراع الدوافـــع

١ ـ الأوجة الشعورية واللاشعورية للدوافع :

حينما تتكلم عن صراع الدوافع نجد انفسنا ملزمين بالتعرض للعمليـــــات اللاشعورية والتي توجد عادة وراء الامراض النفسية ـ سواء اسميناها عمليـــات لاارادية أو لاشعورية فلا جدال ان الميكانيزمات أو الشروط الموجودة وراء المرض النفسى أو اعراضة هى دائما لاشعورية أو لا ارادية ٠

بل كما · سبق ان اشرنا نجد ان كثيرا من حاجاتنا الفسيولوجية أقرب الى الدوافع اللاشعورية وهى التى ترتبط بما سبق ان اسميناه ـ التوازن الذاتى الاستاتيكى مثل حاجاتنا الى الاكسجين والذى نحتاجة ثم تحصل علية بشكل يكاد يكون لاشعوريا تماما بينما فى حاله وجود عائق يمنعنا من الحصول علية يرتفع الى أعلى مستويات الوعى والتوتر ـ ويتضح أن الشعور ليس نتيجة بل هو متصل بعنصر من أقصى درجات الوعى والقصد والشعور ـ الى أقصى درجات اللاشعورية واللاواعى ونحن قد تلحق بنادى معين أو نبتعد ونحب عنه كما قد تتزوج ونحب لاسباب لاتكون على وعى بها وبالطبع لابد أن نبحث عن تبريرات لهذا السلوك نسميها خطأ أسبابا له ـ وغالبا لاتكون هى الاسباب الحقيقية ·

ويرى فرويد أن اللاشعور يسيطر على ٧٥٪ من سلوكنا وترتفع هذه النسبة عند المرضى الذين لايستطيعون تفسير أنماط عديده من سلوكهم ـ الا أنهم يبحثون عن تبريرات لها وفى احدى جلسات التنويم يذكر لنا أريكسون كيف أوحى الى شخص منوم بأن التدخين عادة سيئه جدا وأنه يحبه ويكرهه ـ كما أنه يريد أن يتغلب عليه الا ان التدخين ضرورى له بعد أن استيقظ المفحوص أخذ يناقش الباحث الذى قدم له سيجارة فأبعدها المفحوص قائلا : أنه يفضل نوعا أخر من السجاير وأخذ يبحث عن علبة السجاير أخيرا وجدها فى مكانها المعتاد ، وبدأ يبحث عن الكبريت وفشل فى أن يجده ـ وأثناء ذلك أعاد عليه السجاير الى جيبه ثم وجد الكبريت الا أنه وضعة تلقائيا فى جيبه مره أخرى وبدأ يبحث عن السجاير ـ فكرر ذلك عدة مرات وأخيرا وجد السجاير والكبريت ثم بدأ يضع السجاير فى فمه وأشعل الكبريت وهنا

استغرقتة مناقشة مع الباحث والكبريت مشتعل فى يده حتى أحرق أصابعة بدون أن يشعل السيجارة - استمر تكرار هذا السلوك الذى انتهى أخيرا باشعال السيجارة ثم سرعان ماقذف بها بعيدا

هذا المثال يوضح لنا أمريـــن :

١ - أن هناك أنماطا من السلوك تصدر نتيجة لوجود دوافع لاشعورية

٢ - أن سلوك الانسان ليس ميكانيكيا - بمعنى أنه يصدر نتيجة لدافع واحد بل أنه عملية دينامية - يحدث فيها صراع بين الدوافع ينتهى بامدار استجابه معينة يشبع دافعا مسيطرا أو عدد من الدوافع ويؤدى هذا بالتالى الى تأجيل أشباع دوافع أخرى ٠

٢ - القلق والدافعية وشدة الاستجابة

اذا كان تكوين الدافع يبدأ بالحرمان ثم احداث اختلال بالتوازن الداخلى فانــــه أى الدافع - يرتبط بالضرورة بوجود مستوى معين من التوتر - خاصة اذا كان مفهوم التوتر يكاد يكون مرادفا فى احدى معانية لاختلال التوازن والشعور بهذا الاختلال- ويؤخذ القلق كمؤشر لمستوى الدافعية عامة

ويؤكد هذا أن الباحثين داخل المعامل السيكولوجية فيتخذون من كثير من مظاهـر الاختلال الفسيولوجى عند الانسان مثل ذيادة افرازات العرق واضطرابات حركـــات جدرات المعده ونبضات القلق والتوتر العضلى وكل منها مقايسة السيكولوجيـــة- تقول يتخذون من هذه الاعراض مؤشرا لتحديد التوتر والقلق ٠ هذا علاوه علـــــى

مؤشرات سيكولوجية أخرى عديده تنعكس سواء فى البناء البيولوجى أو السيكولوجى وكلما زاد الحرمان من الحاجة زاد الشعور باختلال التوازن وارتفاع مستوى أو شدة الدافع ، وزادت بالتالى قوة السلوك الصادر ٠

ح ـــــــ ت ـــــــ + ـــــ الشعور = قوة السلوك

أى يمكن أن نحورة فى هذه المعادلة

ح = الحرمان من الحاجة، ت = التوتر

ش ت = الشعور بالتوتر

ق س = قوة الاستجابة

فان (ح + ت) × ش ت = ق س

قوة الاستجابة ≐ دالة (الحرمان + التوتر) × (الشعور بمستوى التوتر ×(استبصار الموقف) أى أنه لكى نحصل على استجابة قوية ـ علينا أن نرفع من مستوى الشعور بالتوتر واستجابة كسلوك لقتل او السرقة ٠٠ ألخ ٠٠٠ انما نرتبط الى حد كبير بالشعور بمستوى مرتفع من التوتر والقلق ٠ ويرى فليب ايفانز أن الدافع اذن يمثل قوة دافعة للسلوك فعلا الا أنها قوة غير موجهة Non-directive وبالتالى فهو يقوى الاداء الصحيح وكذلك الاداء غير الصحيح بنفس القدر Evans Ph.216) والواضح من المعادله السابقه أن الشعور بالتوتر واختلال التوازن يمثل أهم حدود المعادله ، وكلما زاد هذا الشعور زادت قوة الاستجابه بالتالى الا أنه عند موقف معين قد يستغرقنا هذا الاحساس ٠ وهنا تتخذ الاستجابة الصادر شكلا آخر تماما وحتى قد تصل قوتها الى الصفر ٠

أو تنحرف عن هدفها لتزيد من مستوى الصراع والتوتر ٠ ثم يتكرر انحرافها

ويزداد الصراع .. أو الشعور بالاحباطات وما قد ينتج من انطرابات سلوكية أو أمراض .

ويحدث ذلك عاده اذا ما استغرق هذا الشعور قدرتنا على استرجاع معلوماتنا ومعارفنا واستخدامها فى تقيم الموقف واستبصار نتائجة ، أى بمعنى عام توقف قدراتنا عن الاستبصار العقلى هنا غالبا ماتنحرف الاستجابه أو تكف من هنا يمكن أن نعدل المعادله التصبح . طبقا لوجهة نظرنا

قوة الاستجابة الصادرة = (داله) (الحرمان + التوتر) × الشعور بالتوتر) (الاستبصار بالموقف / الشعور بالتوتر)

اى ق س = (ح + ت) × ش ت) × (ص / ش ت)

بمعنى أنه كلما زاد استبصارنا بالموقف عقليا وأمكن تنظيم المعلومات والخبرات المخزونة وتجميع معلومات من الموقف المثير ـ وتقيم هذا الموقف فى ضوء هذه المعلومات عن مستوى الشعور بالتوتر زادت قوة الاستجابة فبينما كلما حدث العكس انخفض مستوى الاستجابة حتى اذا ما وصل الاستبصار الى درجة الصفر تكون شدة الاستجابة = صفر

ويرتبط مستوى الاستبصار بمتغيرات عديدة من أهمها تلك العوائق الموجودة أمام الاستجابه للوصول الى الهدف ـ وكلما كانت العوائق شديدة مع شعور مرتفع بالتوتر انخفض مستوى الاستبصار ـ وهنا تنحرف الاستجابة ويظهر السلوك الشاذ حتى اذا زاد العائق الى درجة بالغة الصعوبة ينخفض الاستبصار الى ما يقرب من

الصفر ٠ وهنا تكون الاستجابة صفرا ويحدث مايسمى بكف الاستجابه ٠ وهذا هـو مايحدثه العقاب الشديد فى سلوك شاذ يصدر عن الاطفال أو المدنفين أو غيرهـم ـ هنا تكف الاستجابة الا ان الدافع والتوتر مازال قائما ويتحين الفرصة حيث يصبح العائق ضعيفا والاستبصار أصبح فعلا ضعيفا وتنطلق الاستجابة بشكل أكثر انحرافا بالمفهوم السيكوباتى ويمكن أن تقيس شدة الانحراف السيكوباتى للاستجابة هنـا بهذه المعادلة

شدة انحـراف الاستجابة = (الحرمان والتوتر) × الشعور بالتوتر)

(الشعور بالتوتر / الاستبصار) ف س = (ح + ت) (ش ت) (س ت / ص)

واذا كان العائق سهلا فان الشعور بالتوتر ينخفض والاستبصار يرتفع ومن هنا تزداد قوة الاستجابة بقل انحرافها

ومن أجل هذا يرى تايلور وسبنس أن مرتفعى القلق يؤدون المهام السهله (أى الدوافع التى تواجة عوائق سهلة) أفضل من منخفض القلق لماذا (عن عبد الســلام الشيخ ٠ علم نفـس فى مجال التعليم ١٩٨٥)

فى حالة المهام الصعبة حيث ينخفض الاستبصار ويرتفع التوتر ـ يتصـــارع السلوك الصحيح مع الخطأ وتكون مستويات التوتر أو القلق المرتفع والذى يـزداد ارتفاعا أمام مهام صعبة ويزداد انحراف الاستجابة وتقل قوتها ٠ أو يحـدث أن تقوى فقط الاستجابة الخاطئة عن طريق تعزيز شدة انحرافها

بينما منخفض القلق يتفوق على مرتفعى القلق فى مثل هذه المهام حيث أن مستوى التوتر أو القلق عندهم يكون أقل . وبالرجوع للمعادلتين السابقتين نجد أن انحراف الاستجابه لديهم ربما يكون قويا بينما يزداد شدة الاستجابة .

ومن هنا فارتفاع القلق كما يرى ايفانز - عند الممثل الجيد يساعد على الاداء الجيد

بينما عند التلميذ يساعد أو يؤدى الى فشلة - Evans, 19 P. 96
ويمكن تفسير ذلك فى ضوء المعادلتين السابقتين .

حيث أن مستوى الاستبصار عند الممثل الجيد والنضج أكثر ارتفاعا كما أن مهمة الممثل أسهل من المهمة التى يواجهها التلميذ .

ولقد تبين صدق ذلك تجريبيا من دراسات عديدة . أجرها علماء كثيرون منهم Taylor Spenc ومنهم دودسون وبركسن .. الخ .. (يمكن الرجوع الى الشيخ ١٩٨٥ - ص ١٠٦ - ١٣٥)

وأكد هانز وزملاؤه ماسبق أن أشرنا اليه وكذلك دراسات متعدده منها دراسة Weiner & Winer. 1966 - ثم دراسة شيندر Shneder 1971 حيث درسوا العلاقة بين سهولة المهام (العوائق) والتقييم الذاتى للتحصيل وأخبروا المفحوصين الذين يؤدون مهام لفظية سهلة - بأنهم فشلوا بالنسبة للاخرين (هنا نلاحظ زيادة مستوى الشعور بالتوتر) يؤدونها جيدا (خفض التوتر عن طريق اختزال الدافع)

اتضح أن مرتفعى القلق فعلوا المهارات الصعبة أكثر من منخفض القلق بينما كانوا أبطأ فى تعلم المهارات السهلة ولعل هذا يفسر ذلك التعارض المشهورين قانون بركس ودودسون وتجربة برودهيرست Broadhurst من جهة وتجارب فانتينو سنة ١٩٧٠ ٠

وينص قانون بركس ودودسون على أن العلاقة بين الدافع وشدة الاستجابة علاقة منحنية تعنى أنه كلما زاد الدافع زادت شدة الاستجابة حتى عند مستوى معين تبدأ بعدها شدة الاستجابة فى الانخفاض كلما زاد الدافع حتى يصل الى الكف الكامل *

وأكد برود هيرست Broadhurst ١٩٥٧ هذا القانون فى تجربة استخدم فيها متاهة على شكل حرف وهى مليئة بالماء فيما عدا رصيف مرتفع فى الذراع (أ) بوضع الفأر فى الحجرة س حيث يغرق داخل الماء ويحرم من الاكسجين لفترات زمنية متباينة تزداد كلما أردنا زيادة مستوى الدافع الى الاكسجين ٠ وحينما نفتح باب الحجرة س للفأر بعد حرمانة لفترة زمنية محدده كما قلنا يظل يجرى فى المتاهة وهو غارق فى الماء حتى يصل الى الرصيف فى نهاية الذراع أ ٠ حيث يجد الاكسجين والهواء ٠

عامة اتضح أنه مع زيادة فترة ابقاء الفأر فى الحجرة س مما يحرمه من الاكسجين يزداد شدة استجاباتة وسلوكة وعند حد معين يبدأ سلوكة فى الضعف واقرب الى اليأس مع زيادة فترات ابقاءة فى الحجرة س أى حرمانة من الاكسجين مما دعم قانون بركس ودودسون ٠

وفى سنة ١٩٧٠ أجرى Fantino Kardon Strenger

دراسة على الدافعية عند الحمام . أخذوا عينة متماثلة من الحمـــام - حرموها من الطعام لفترات متباينة المجموعة الاولى حرمت حتى أصبح وزنهـــا ٨٥٪ من وزنها الاصلى - والثانية حتى أصبح ٧٥٪ والثالثة حتى اصبح وزنها ٦٥٪ ثم قدم لكل مجموعة الطعام ويمكن الحصول عليها من خلال التغلب على عائق بسيط سهل وثم عائق متوسط الصعوبة ثم عائق صعب .

اتضح ان شدة السلوك أو قوته تزداد فى جميع الحالات مع زيادة مستـــوى الدافعية (Through Navaric)

ومن هنا يرى نافاريك أن العلاقة المنحنية ليست عامة بل تنطبق على أنمـــاط معينة من السلوك فقط .

صراع الدوافع والاجهاد السيكولوجى

من عرضنا السابق للدافعية اتضح أن أشباع الدوافع عملية معقدة - وأثناء أشباع بعض الدوافع تواجهنا عوائق قد تحول دون أشباع تلك الدوافع مما يرفع من مستوى توترنا وعدم توازننا ويؤثر بالتالى على مستوى توافقنا مع البيئة ومع أنفسنا وكلما زاد الحرمان من حاجة معينة نتيجة لعدم أشباع الدافع المتصل بها كان هذا موقفا ضاغطا علينا يتطلب منا مزيدا من الجهد وتغيرا فى نشاط الكائن الموجة للهدف اذا كان على الكائن أن يتوافق مع هذه المتغيرات ويحقق أو يشبع تلك الحاجة ويبعد

بالتالي التوازن وانخفاض التوتر والقلق ٠ اوقد يحيد بنا لاشباع دوافـــع بديلة وهي ليست بالبساطة التي تجعلها ممكنه في كل موقف مماثل ٠

وقد يحدث كبت لهذا الدافع هروبا من مواقف الصراع بين قوى ضاغطة وقـــوة متعارضة داخلية وخارجية تمثل عوائق تمنع الاشباع ، وحينما تكون تلك الضغـــوط قويه وصارمة فقد تحدث الاحباط والكبت اذ قد تسبب تدهورا في تكاملنا الوظيفي

مستويات الاجهاد والشدة :

تظهر هذه المستويات على أساس بيولوجي كما يحدث عندما تهاجم مجموعة من البكتريا الضارة أو الفيروسات جسم الانسان مما يجعله في حالة اجهاد ويثــير لدية حاجة أساسية الى اعادة التوازن والتكيف والدفاع بيولوجيا عن نفسه لـــدرء الخطر وعلى المستوى النفسي نجد مستوى آخر للاجهاد والشدة كما في حالـــة الشعور بالذنب والضغوط النفسية التي تجتاح الانسان مما يجعل الفرد في حالـة دفاع الانا من هذا الشعور بالذنب ضد هذه الضغوط لاعادة التكيف للنفس ٠ ويمكن تصنيف المواقف الناتجة عن الاجهاد النفسي الى الاحباط ـ الصراع الضغـــــوط المختلفة ٠

١ ـ الاحبـــاط :

ينتج الشعور بالاحباط حينما تعوق عقبات معينه اشباع بعض دوافعنا ووصولها الى الهدف ـ أو نتيجة لعدم وضوح الهدف وغموضة كما في تجربة بافلوف علـــى العصاب التجريبي على الكلب ٠

وأمثلة العوائق التى تسبب الاحباط الناتج على الاجهاد والشدة عديدة منهـا مثلا الوالدان الصارمان بالنسبه لفتاتهما المراهقه حينما يفرضان عليها قيـودا صارمة ومتطرفة كما فى حالة حرمانها من الذهاب الى حفل المدرسة أو من النظر من النافذة فهنا يكونان بالنسبة لها مصدر أحباط ونقص الماء مثلا أو غمـوض السبيل الموصل اليه قد يكون مصدر الاحباط بالنسبة لرحالة فى الصحراء وبالطبع فان مصادر الاحباط تتنوع فى شدتها وقد تكون داخلية أو خارجية ٠

أ ـ الاحباط الخارجيـة :

من مصادر الاحباطات ـ المجاعات ـ العواصف ـ كوارث الطبيعة ـ موت الاحبه ـ كل ذلك يمثل مصادر أحباط فيزيقى ٠

التنظيمات الاجتماعية الصارمة التى يفرضها المجتمع على سلوكنا ـ وصـور العقاب التى يفرضها علينا حينما تخرق هذه التنظيمات أو القواعد تمثل احباط اجتماعية ٠

ومن هنا فلكى تشبع حاجاتنا بدون احباطات جانبية علينا أن نختار أهدافنا مقبولة أجتماعيا وكذلك وسائل تحقيقها ٠ والانحراف عن ذلك بسبب عدم تقبـل اجتماعى وبالتالى صورا عديدة من العقبات التى تمثل ألوانا متباينه من مصادر الاحباطات ٠ وهناك تنظيمات اجتماعية قد تمثل مصادر احباطات فى صوره مختلفة ـ مثل عملية التنافس الاجتماعى الشديد ـ التعصب العنصرى والجنس التغـير ـ

غموض المواقف الاجتماعية ٠

ب ـ الاحباطات الداخلية :

مثل طبيعة بناء الجسم ومستوى ضعفه أو قوته ـ نقص الجاذبية فى الشكل ـ الفشل الناتج عن أنخفاض قدرتنا ـ ومخاوفنا الشخصية ـ وخبراتنا الماضية وقدرتنا على تمثيلها ـ الضوابط الاخلاقية داخلنا ـ ديناميات الضمير ٠٠٠٠٠٠٠٠ الخ ٠

٢ ـ الضغوط الخارجية :

كضغوط الوالدين على أبنهما للحصول على درجات مرتفعة وضغوط الزوجات على أزواجهم لزيادة دخولهم ـ

ـ كذلك قد يمارس الاطفال ضغوطا على الوالدين استغراق وقتهم وطلباتهم ـ التعليم ـ الزواج ـ المهنة ٠٠٠ الخ ٠ كل ذلك يمثل ضغوطا خارجية ٠

وعوامل الاجهاد كالاحباط والصراع والضغوط قد توجد كلها فى مواقف واحده فمثلا فقد رأس المال كلة كاملا لايحدث مجرد انخفاض فى مستوى معيشتهم فقط وبل يجبر الفرد فيها على أن يواجة مشاكل عديدة مثل الصورة الجديدة لذاته ولوضعه ٠ ومن الصعب جدا أن نعثر على موقف صراع بدون احباط وبدون ضغوط بدون صراع أو أحباط بدون صراع أو ضغوط أو ضغوط بدون صراع

وبالطبع يتوقف آثار هذه المواقف على شخصية الانسان ومدى تقييمة لمصادر الاحباط والصراع والضغوط ومدى قدرته على تقبل الشدة والاجهاد ـ فقد يمنع الانسان نفسه من السلوك الجنسى لانه يخشى من الفشل لخبرة سابقة أو القواعد اخلاقية صارمه بينما اذا ماقدم على ذلك يشعر بالذنب وكلنا نعمل أحيانا أشياء نأسف عليها بعد وندين أنفسنا على فعلها ـ وقد نشعر باحتقار للذات مما يشعرنا

بالحزن والضيق واحباط حاجتنا الى تقدير الذات ٠

كذلك الشروط البيولوجية كالتعب والامراض تحتل مصادر داخليه للاحباط ٠

أ ـ الصـــــــراع :

عامة لايحدث الاحباط من مجرد عائق واحد بل من صراع بين حاجات أو أهداف لها قيمتها ـ والتي يعني اشباع احدها احباط للاخر ٠ فالسلوك الجنسي غـــير المشروع قد يشبع حاجه الا أنه يحبط تقديرنا لذاتنا والتقبل الاجتماعي ٠ والزواج المبكر قد يعني الاستغناء عن الحصول على شهادة جامعية واذا لم يستطيع الشخص الاختيار بين أحد قطبي الصراع فربما يؤدي ذلك الى المرض العقلي ٠

ويمكن تصنيف أنواع الصراع الى :

١ ـ صراع الاقتراب التحاشي :

حيث يكون هناك ميولا قويه بالنسبة لتحاشي أو الاقتراب من نفس الهدف فربمـــا يزغب الشخص في الزواج للاشباع الجنسي ـ الاجتماعي ـ الامان ـ بينما في نفـــس الوقت يريد الابعاد عنة خوفا من المسولين وفقدان الحرية الشخصية ٠

٢ ـ صراع الاقتراب ـ المزدوج :

ويتضمن التنافس على هدفين مرغوبين أو أكثر ـ مثل التفضيل بين نوعيين من الطعام أو بين الولاء للأم أو الزوجة ـ بين ـ الاشباعات الحاضرة والمستقبلية ٠

٣ ـ صراع التحاشي المزدوج :

كما في حالة يكون على الفرد فيها أن يختار بين هدفين مرغوبين كما في حالـــة بين البطاله وبين مهنة غير مرغوبه ـ بين أن يتزوج شخصا غير المرغوب فيــــة أو بين لايجد أحدا آخر ٠

وهكذا نجد أن الصراع يمثل مصدرا أساسيا للانعصاب او الاجهاد ويؤدى بالتالـى الى الاحباط والتوتر

٤ ـ الضغـــط :

مثل ضغط الوالدين على أبنهما للحصول على درجات مرتفعة ـ أو الرؤســـاء أو المجتمع ـ مثل هذه الضغوط تجبرنا على أن نزيد من مجهودتنا وأن تسرع مـــن نشاطنا الى درجة غير مريحة والضغوط مثل الاحباطات ربما تنتج من مصدر خارجية وداخلية ٠

١ ـ الضغوط الداخلية

منها الذات المثاليه ومستوى طموحنا وغالبا نجاهد لكى نحيا عند مستويات عليا من الشجاعة والاخلاق والمسئولية الاجتماعية ـ وأن نجعل ـ صورتنا عن أنفسنا تلائم مانتمناه عنها ـ لكى نصل الى القمة ـ وهذا يمثل ضغوطا داخلية تسبب الصراع ٠

أسباب السلوك المــرضـى :

من البديهى أنه لايوجد وراء كل مرض نفسى سبب واحد أو مجموعة ثابته من الاسباب ـ بل أن أعراض الامراض النفسية تتداخل الى حد كبير مع بعضها فالقلق مرض نفسى قائم بذاته ولكنه يتداخل مع جميع الامراض الاخرى والوساوس القهرية أحدها ٠

وهناك شروطا عديدة أخرى تؤثر فى العلاقة بين القلق أو مستوى الدافعية وصعوبـة المادة من جهة وشدة الاستجابة من جهة أخرى ولعل أهمها معلومات الفرد عـــن صعوبة المادة والنتائج المتوقعة لأرائة

وهنا يركز هانز وزملاؤه أن القلق صعوبة المادة المتعلمة يتوقف على معـــارف الشخص حول كفاءة أو عدم كفاءة أرائة

ويمكن تفسير نتائج هذه الدراسة فى ضوء ماسبق أن عرضناه خاصة ماير تبــــط بالاستبصار والعمليات المعروضة وسوف نوضح هذه النقطة مره أخرى حينما نتناول الاسس المعرفية للدافعية ٠

هـ ـ تقســيم الدوافـــــع

مادمنا قد أشرنا الى أن سلوك الفرد عاده هو محصلة التفاعل بين عدد مـــــن الدوافع وليس نتيجة لدافع واحد ٠ فان هذا يؤكد تعدد الدوافع لدى الكائن الحـــى ، ويتضاعف عدد هذه الدوافع عند الكائن البشرى ٠

ونحاول فى الاجزاء التالية أن نحدد أنواع الدوافع عند الانسان

١ ـ الحاجـــة والدوافــــع :

تفرق كتب علم النفس العام عادة بين مفاهيم شائعة فى مجال الدوافع من هـــذه المفاهيم ٠ الحاجة ، والحافز ، والهدف ، واختزال الدوافع ، والاشباع ٠

ولاجدال أنه المهم تناول هذه المصطلحات وتوضح الاطر النظرية التى تحدد مفهوم كل منها ـ الا أننا نرى أن هذا المؤلف ليس ملائما لتفصيل تلك المهام خاصة أنها لاتفيدنا كثيرا فى التناول التجريبى المبدئى لأنواع الدوافع الا أنه لابد من حـــد أدنى نحاول أن نصل اليه لتوضيح مفاهيم عامة لأهم تلك المصطلحات وعلى الاقـــل من وجهة نظرنا التى سوف نتبناها فى هذا الكتاب ٠ ومن أهم تلك المفاهيم الحاجة

وبمراجعة معظم كتب علم النفس العام التى تعرضت لمفهوم الحاجة نجد أنهـــا

تقسمها الى :

أولا حاجات عضوية : مثل

أ ـ الحاجات الحشوية

كالحاجة للطعام ـ والماء ـ والاكسجين ٠٠ وتدور حول الحاجات اللازمة للابقـاء

على حياة الفرد

ب ـ الحاجـــة لسلامـــة :

ويقصد بها **سلامة جسم الكائن الحى من الاخطار**

جـ ـ الحاجـــة للجنس :

أى حاجة الذكر للأنثى والأنثى للذكر ٠ وهى ترتبط ببقاء النوع ويعتبرها فرويـــد

مسئوله عن ٧٥٪ من سلوك البشر وحضارته المختلفة ٠

د ـ حاجات حسية وحركية

أى الحاجة لاستخدام أعضاء الحس وعضلات الحركة ٠

ثانيا : حاجات نفسية (أو اجتماعية متعلمة)

وهذه الحاجات متعلمة سواء عن طريق تعليم مدرسى أو تعليم اجتماعى ومن هنا

يمكن أن نطلق عليها حاجات نفسية اجتماعية ٠

وبالطبع تختلف هذه الحاجات باختلاف الجماعة ومواقف التعلم الاجتماعـــى

التى تمثلها الجماعة التى يتواجد داخلها الفرد أو يشعر بالانتماء اليها من هـــذه

الحاجات القيادة مثلا ٠ الحب ٠ التمثيل ٠ **التجمع ومنها كذلك**

أ - الحاجة الى النظام المعنى

باستقراء تاريخ الانسان نجد أنه لم يقف أمام ظاهرة ما غامضة ثم يعترف أنها غامضة لايستطيع تفسيرها بل يعطيها أى تفسير اسطورى او خرافى أو دينى ميتافيزيقى .. الخ ...

ذلك ان أى تفسير سيجعل لها معنى امام هذا العقل - بغض النظر عما اذا كان هذا التفسير أو المعنى صادقا أو لا . فكما ترى نظرية الجشطالت فان العقل البشرى لايستطيع أن يقف عاجزا أمام ظاهرة غامضة بدون محاولة تفسيرها بل من طبيعة هذا العقل أن يعطى المواقف الغامضة والمثيرات المهوشة معنى ونظاما .

ومن هنا كان ميكانيزم الاغلاق الذى يقوم فية العقل البشرى باكمال الاجزاء الناقصة فى مثير مالكى يعطية معنى - كما فى دراسات جشطالتية متعدده مثل دراسات كوفكا فى كتابة مبادىء علم النفس الجشطالتى ثم فى دراسات معاصرة لرودالف أدنهايم فى كتابة " الفن والادراك البصرى .

ويرتبط ذلك اذن بما لدينا من معلومات نكمل بها الناقص فى المدرك كما يرتبط بمقدار ونوعية معلومتنا . وما اذا كانت متسقة أو مفككة كما فى نظرية فستنجر عن التفكك المعرفى (لمعرفة هذه لنظرية انظر : الشيخ - ١٩٨٥ م)

ب - الكفاءة والفهم

ترتبط بعملية اختبار الواقع ذلك ان الكفاءة تشير الى كفاءة قدرتنا ومعلوماتنا على التكيف مع الواقع مهما تباينت حالاتة .

وعدم قدرة الكائن على توظيف معلوماته وخبراته وقدراته على التكيف مع الواقع ينتهي عادة الى المرض النفسي - كما حدث لكلب بافلوف وحينما لم يستطيع ان يميز بين المربع والدائرة ٠٠ ثم أصيب بعصاب تجريبي ويحاول الانسان ان ينمي قدراتــــه ومعارفة بما يساعده على زيادة كفاءته لتحقيق التوافق ٠

جـ - الأمان والأمــــن

سرعان مايدرك الطفل ان الفشل فى اشباع حاجاته النفسية يؤدي الى زيادة شعورة بعدم الامان - ذلك ان هذا الفشل يعني مزيدا من التوافق وبالتالي مزيدا من الخــوف من البيئة المحيطة غير المتوافقة ٠

ومن أهم العوامل الاجتماعية التي تخفض شعور الفرد بعدم الامان هي النظـــم الدكتاتورية وعدم قدرة الفرد على الحصول على مهنة مناسبة وكذلك عدم قدرة الفرد على المشاركة الايجابية في نمو اسرته ونمو مجتمعة ومن هذه الحاجات أيضا

د - التقبل الاجتماعـــي هـ - الحب والعطف و - تقدير الذات والثقة في الذات

- ولما كانت هذه الحاجات - ومايرتبط - بها من دوافع معينة - متعلمة فانه مـــن الصعب حصرها وتحديدها بل هناك من يفترض أن وراء كل سلوك دافع نوعي متميز ٠

الدوافع الأوليـــة والثانويـــة

الفروق بين الدوافع الاولية والثانوية :

أن الاولى تثير عادة في مظهرها الخام سلوكا غير متعلم خاصة كما يظهر عنـــد الحيوانات غير البشرية مثل سلوك الجنس والاكل والشرب والاخراج كل هذه الانماط السلوكية مدفوعة بدوافع نطلق عليها أولية ومن جهة أخرى فان الدوافع الاولية هـــي

التى تثير تلك الانماط السلوكية غير المتعلمة والتى يطلق عليها البعض فطرية ومن هنا نجدها عامة فى كل أفراد الجنس ولها أسس ومؤشرات فسيولوجية واضحة بل ان المؤشرات الفسيولوجية لا تقتصر على تشكيل تلك الدوافع والسلوك المثار بل تستثير تلك الدوافع والسلوك وتصدرة كذلك خاصة فى استخدام عضلاتنا المختلفة فى تحقيق السلوك المثار .

ومن هنا فالأسس البيولوجية هنا يصل أهميتها لا الى أنها تثير الدوافع بل تصدرها وتصدر السلوك المثار منها علاوة على أنها تستثيرها هذا بعكس المنبهات الاجتماعية بالنسبة للدوافع الاولية حيث تكتفى بالاشتراك فى اثارتها أو تشكيلها لكنها لاتشترك فى تصديرها أى تكوينها ومن أجل هذا سنتكلم هنا عن الدوافع الاولية ومصدرها البيولوجية حينما نتناول الدوافع الثانوية سنربطها فقط بالمتغيرات الاجتماعية .

أولا - الدوافع الأولية ومصدراتها البيولوجية

والدوافع الأولية البيولوجية محددة العدد وعامة فى جميع أفراد الجنس ومن أهمها دوافع الجوع - والعطش - والجنس واستخدام الحواس والدوافع الى الأكسجين والاخراج .... الخ

وأساسها العضوى واضح ومحدد فالعطش مثلا يخضع لمراكز عصبية فى الهيوثلاموس وتؤثر فيه الغدة النخامية - بل والادرينالية خاصة اذا ضمرت أو استؤصلت . (Munn P. 187)

ودافع الجنس يرتبط بالغدة الجنسية - وكذلك بالغدد النخامية . وعند الانثى

يعتمد على الاستروجين (من المبايض) وعند الرجل على الاندروجين (مـــــن الخصية) (Ibid. P. 187)

ومن هنا فان الهرمونات والميكانيزمات النيرونية تسهم بشكل واضح فى الدافعية خاصة مايسمى بجهاز الحث الشبكى

بل ان هناك مناطق بقشرة المخ يثير تنبيهها احساسا بالسرور مما يؤدى بالكائن الى سرعة تعلم الفعل المرتبط بهذا الاحساس - حيث يميل الى تكراره كما لـــو كان يكافأ (Ibid. 186)

ولقد تأكد العلماء من وجود منطقتين مخصصتين فى الهيوتلاموس بالقرب من جانبية يثير تنبيهها الكائن الى سلوك الاكل بينما اثاره اجزاء باطنيـــة بالقرب من مركز الهيوثلاموس تعمل على كف سلوك الأكل Lateral area وحينما يتلف جانبى الهيوتلاموس فان الحيوان يرفض الاكل والشرب الا أنـــة يعود تدريجيا الى الاكل غير أنه لايعود الى حالته الطبيعية اطلاقـــــا (Sarason et al 1982 P. 270) ومن الدراسات التى أوضحت دور الجهاز العصبى فى الدافعية دراسات أولدز وفوبـــز. Olds & Fobes وتثار تلك الدوافع عاده بحرمان الكائن من الهـــدف أو الحاجة أو باثارة المناطق العصبية المتخصصة (Ibid P. 265) وتختزل أو تشبع بالحصول على الحاجة أو الهدف عادة ... ونادرا ماتثير مناطق معينة مثل بطينات الهيوتلاموس لاختزال دافع الجنس عند ذوى الشبق المرتفع مثلا .

ثانيا - الدوافع الثانوية والمتغيرات الاجتماعية

والمقصود بها تلك الدوافع المتعلمة • وتتميز أن أساسها العضوى غير واضح وغير محدد كما أنها ليست بالضرورة عامة فى الكائنات الحية عمومية الدوافع الاولية • واذا كانت دوافعنا الاولية تساعدنا على الحياة فان دوافعنا الاجتماعية عادة تسيطر على وظائفنا الشخصية وعلى تحقيق ذواتنا (Sarason et al 1982 P. 274)

الدوافع الثانوية والتعلم : وتتعدد هذه الدوافع بتعدد انماط السلوك ومواقف التعلم الاجتماعى •

وحينما نربط بين الدوافع والتعلم فان هذا يجبرنا على التوقف للنظر فى رأى أصحاب المنحى السلوكي - خاصة وهم أهم من ركز على تفسير السلوك فى ضوء التعلم - لنرى وجهة نظرهم فى هذا المضمار

ومن أهم هؤلاء سكنر • وهو يرفض التعامل مع مصطلح الدافعية ومن قبله جون وطسون الذى رفض مصطلح الدافعية باعتبارة متغيرا وسيطا مفترضا ومع هذا فكما يرى العالم الكندى بيرلين Berlyn 1968 نجد ان هناك سلوكيين استمروا فى دراسة الدافعية بل ان دراسات التعلم لم تنفصل عن الدافعية - كما ان الدافعية موقعا ممتازا فى أحدث نظريات التعلم السلوكية التى وضعها بيك Beck 1978 كما أنه لايمكن تفسير تذبذب الاداء بعد التعلم تحت مواقف استدعاء سوية بدون فهم دور الدافعية وبذلك - كما يرى سارأسون ساهم السلوكيون فى فهم الدافعية والتعلم بشكل واضح (Ibid P. 266)

وتؤكد معظم المناحى السيكولوجية على دور الخبره أو التعلم الاجتماعى فى تنمية وتكوين أو تعلم دوافع ثانوية - فالدوافع المسيطرة علينا كراشدين اليوم انما بدأت معنا منذ الطفولة وتمت او نضجت من خلال خبرتنا ومواقف التعلم الاجتماعى. والاحباطات والدوافع اللاشعورية عند الفرويديين انما هى نتيجة خبرات مع الجماعة فالعدوانية مثلا وكذلك المسالمة هى دافع متعلمة أو تكونت من خبرات مكتسبه أو مواقف صراع وميكانيزمات كبت وثقافة الجماعة بغض النظر عن الاحباطات أو عدم الاحباطات - هى التى تكسبنا هذه الدوافع .

أهم أنواع الداوفع الثانويـة

أشرنا الى أنه من الصعب حصر مثل هذه الدوافع خاصة ان كل سلوك يصدر لابد من دافع وراءة - كما ان مواقف التعلم الاجتماعى بل وخبرتنا التلقائية تكون لدينا دوافع - ويتفق معظم علماء النفس فى ذلك وان كانوا يوضحون ان هناك دوافع ثانوية حولها اتفاق منها .

١ - الحاجة للانتماء ٢ - الحاجة للانجاز أو التحصيل ٣ - الحاجة للقوة (Sarason 1982) ويشير فريق آخر من العلماء الى وجود دوافع ثانوية متفق عليها أيضا غير السابق ذكرها ومن أهمها تأكيد الذات ويرادف بينة وبين الدافع الانجاز - وكذلك العدوانية Munn 1966 P.177 وسوف نعرض بسرعة بعض من هذه الدوافع .

الدافع للاستكشاف

يلعب الاستكشاف دورا هاما فى عمليات التعلم - ويرتبط بحاجة الانسان الـى

استخدام الحواس وما أسماه فرويد باختبار الواقع ويشير الى ميل الكائن الحي الى التعرف على البيئة المحيطة بصريا أو سمعيا خاصة وتشتهر القردة بسلوكها الاستكشافي . كما استخدم أشباع هذا الدافع كمكافأة لتعلم القردة سلوكا ماكما في دراسات هارلووبتلر فحينما اراد تعليم القردة الضغط على عمود له لون معين وعدم الضغط على عمود له لون مخالف كان يكافأ القرد الذى يضغط على العمود الصحيح بفتح نافذة صغيرة ينظر من خلالها للخارج لمدة ٣٠ ثانية واذا لم يصدر القرد الاستجابة الصحيحة لانفتح له النافذة . Butler & Herlow 1972

ومن أهم العلماء الذين درسوا سلوك الاستكشاف برلين الكندى في دراساته المتعدده خاصة في كتابه . الصراع والحث وحب الاستطلاع . Conflict arousal and curiosity الصادر في الستينات

وركز على خصائص المثير التى ترفع من مستوى هذا الدافع ومن أهم هذه الخصائص الحداثة أى أن يكون المثير حديثا غير مألوف . كذلك مستوى تعقيد المثير وكما أن هذا الدافع يقل كلما زادت فترة التعرض للمثير وتفقد الفيران اهتمامها بعد دقيقة واحدة . النظر الى الموقف المثير .

ولقد أجرى الكاتب دراسه عن الاستكشاف البصرى ووضع مقياسا خاصا لذلك حسبت له المعايير والشروط السيكومترية . ثم طبق على أعداد كبيرة في جلسات فردية من الذكور والاناث وانتهى الى أن الحداثة والتعقيد وعدم الالفة . تزيد اثارة هذا الدافع فعلا ، كما انتهى الى آنه يمثل عاملا عاما في السلوك البصرى — ربما يتدرج تحت - بعد الايقاع الشخصي ويشير هذا العامل الى أن سلوك الاستكشاف يكون مرتفعا أو منخفضا أو متوسطا عند نفس الفرد - مهما تباينت خصائص

المثير . بمعنى آخر أن الشخص المرتفع على استكشاف غير المألوف وغير المدهش .... الخ يكون مرتفعاً في استكشاف الخصائص المقابلة مثل الدهشة وعدم الالفــة والحداثة ... الخ . والمنخفض على احدا استكشافة منخفضا على بقية خصائــص المثير (الشيــخ ١٩٧٧) ((Berlyn 1966

٢ ـ دافع البحث عن الاحساس Sensation Seeking

يقرر بيرلين Berlyne 1978 أن الحيوانات ـ حتى الفيران والقــردة تبحث عن الاثارة الحسية وتفضل استكشاف الجديد والمتغير غير المألــــوف وان الاستكشاف يرتبط بالبحث عن الاثارة الحسية

ويعتبر هذا الدافع من أهم الدوافع التى تساهم فى تحقيق عملية تكيف الفرد مــع البيئة ومع نفسة ويميل معظم علماء النفس الى اعتبارة دافعا أوليا غير أن اشباعاته تسهم لافى خفضة بل فى تنميتهوزيادتة ترتبط بسمات الشخصية وتعديلها كما سنرى ، والحرمان من اشباعة يؤدى الى آثار نفسية سيئة حتى أنه يستخدم كتمهيد لما يسمى بعمليات " غسيل المخ " وهى عملية لا أنسانية وغير أخلاقية ويؤثر عن بعض البحارة أو الذين يحيون فى كهوف أنهم كانوا يشعرون بهلوسات غريبة . وقامت حكومــات وجامعات متعدده مثل جامعة ماكجيل بكندا ومعهد الصحة العقلية بالولايــات المتحدة ببناء عدد حجرات تجريبية خاصة بدراسة أثار الحرمان الحسى وكان يطلب من المفحوص مجرد الجلوس فيها لساعات محدودة وهو يرتدى زيا خاصا يحرم مــن الاثارة الحسية داخل هذا الحجرة بصريا وسمعيا وحسيا وذوقيا وشميا تظل الاثــارة عند مستوى ثابت لاتتغير وكان يطلب منهم أن يرقدوا على أريكة خاصة داخــــل

الحجرة بلا حراك ماعدا فى أوقات الاكل أو الشرب وفى بعض التجارب كان يعطى لكل منهم ٢٠ دولارا فى اليوم الواحد . بعد ساعة أو ساعتين قرر المفحصون الاحساس بالتوتر والقلق والحاجة الى الاثارة وزيادة التوتر العضلى ثم ظهرت بعض اضطرابات سلوكية بسيطة كطرقعة الاصابع وفركها وأخيرا ظهرت هلاوس وأوهام بصرية وسمعية وفى خلال ٤٨ ساعة زادت الهلوسة وترك أكثر من نصف المفحوصين الحجرة رافضين مبلغ ٢٠ دولارا هذه (عن عكاشة ـ ١٩٧٦)

(Munn, 1966 P 174) (Sarason, 1982 P. 271)

ومن دراسات متعددة كلاسيكية قديمة فى اربعينات هذا القرن مثل دراسات أناستازى وجون فولى ـ ودراسات حديثة مثل دراسات كريج ورابنجولد أكدت أن زيادة الحرمان الحسى داخل مؤسسات الايداع الداخلية هو المسئول عن ظهور اضطرابات سلوكية مثل التبلد الانفعالى أو الوجدانى ـ ونمو السلوك السيكوباتى ـ والتأخر العقلى والتحصيلى ـ كذلك عدم قدرتهم الجيدة على التركيز ـ وزيادة أحلام اليقظة (Munn 1966 P. 174 ; (الشيخ ١٩٨٤ ـ علم النفس الاجتماعى ١٩٨٥)

وفى سنة ١٩٧٩ ، سنة ١٩٨٠ قام " تراكرمان " ببناء مقياس لقياس هذا الدافع عند الافراد والفروق بينهم علية ويتكون من ٢٢ فقرة وطبقة على عدد كبير من المفحوصين ووجد أن هناك فروقا فى بناء شخصية الافراد الذين يرتفع لديهم هذا الدافع عن المنخفضين علية .

فالمرتفعين على هذا الدافع (البحث عن الاثارة الحسية) يحتاجون الى

مستويات عليا من التنوع وحداثة المثيرات (أى أن تكون المثيرات جديدة كمـــا أن خبرة الحرمان الحسى تمثل مستوى مرتفع من الانعصابات لديهم ٠

غير أن الدراسات التالية أثبتت صدق الجزء الاول ٠ ولم يصدق الجزء الثانى الخاص بخبرة الحرمان ٠

بل وجد أنهم أكثر قدرة على تحمل الحرمان الحسى من ذوى الدافع الى البحث الحسى المنخفض Zuckerman 1979, Zukerman, Murphy
كما أنهم يتحملون أنشطة سلوكية معينة من نوع شاذ مثـــل التنويم المغناطيسى ويميلون الى الاندماج فى أنشطة سلوكية بها مجازفة مثـــل اطفاء النار ، وسباق الدرجات ، حيث أنهم يعتبرون هذه المهام أقل خطورة مـــن اعتبار ذوى الحث الحسى المنخفض لها

والمرتفعون على هذا الدافع أيضا يغفلون ادمان العقاقير المنبهة مثل ويميلون الى ممارسة الجنس مع أكثر من شريك عن المنخفضين ولقد وجد أن هـــذا الدافع عند المرأة المتزوجة يرتبط باستجاباتها الجنسية وتكرار العادة السريـــة وتفضيل متكرر للجماع الجنسى ، وظهور مايسمى بالاشباع المتعدد
(Sarason, 1982. P. 273)

٣ ـ دوافع ثانوية أخرى

مثل دافع الفرد الى أن يحب ويحب ـ والدافع للتقبل الاجتماعى والدافع الـــى التجمع ـ والدافع الى القوة ـ والدافع لتأكيد الذات

وكلها دوافع متعلمة ـ بل هناك دوافع تبدو غير متعلمة كالخوف الا انه عند الانسان

غالبا مايصبح من الدوافع المتعلمة ٠ بالاستجابة قد تكون غير متعلمة اذا صدرت أو آثارها مثير طبيعي - كصوت فجائي مرتفع لطفل - غير ان نفس استجابة الخوف تصبح متعلمة اذا ماصدرت لمثير كالظلام أو اماكن مرتفعة ٠٠٠٠٠٠ الخ ٠٠

ومن هنا تكلم ونير ، هيكز عن الخوف باعتبارة دافعا متعلما

(- Heinz Heckhausen & Bernard Weiner 1980 P. 138.

هناك كذلك الدافع للانجاز أو التحصيل وقد أشرنا الية سابقالا هميتهفى تنمية الذات وفى الدافع لتأكيد ها ، ولقد تناولناه بشكل أكثر تفصيلا فى كتابنا علم النفس فى مجال التعليم المدرسى ٠ وسوف نعود الية فى الاجزاء التالية حينما نعرض لنظرية ماسلو ٠

نظرية ماسلو والدوافع

من أهم العلماء الذين حاولوا تنظير الدوافع هو ابراهام ماسلو (١٩٧٠) حيث ميز بين حاجات النقص التى ترتبط بالحياه الفيزيقية والاجتماعية للافراد - وحاجات النمو التى تدفع الشخص الى تنمية قدراته باعتبارة كائنا بشريا ٠

ويرى ماسلو أن علم النفس أهمل حاجات النمو وركز على حاجات النقص ٠ فالحاجة الى الاكل والشرب والحب والتقبل ٠ انما تمثل كلها حاجات نقص - بينما حاجات النمو مثل تحقيق الذات وتأكيد الذات ٠٠٠٠٠٠٠٠٠ الخ ٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ لم يهتم بها علماء النفس بينما يعتبرها ماسلو أرقى تعبيرا عن الدافعية البشرية

ويرى ماسلو أنه من الممكن تنظيم حاجات الانسان فى شكل هرمى يبدأ من الاكثر ضرورة للحياه عند القاع ، الى الاعمق تعبيرا عن طاقة الانسان عند القمة وعند قاع الهرم توجد عادة حاجات النقص وعند القمة حاجات النمو

الحاجات العليا

ويرى ماسلو أن الحاجة العليا لاتظهر الا بعد اشباع ماتحتها أي الدنيا وأهتم بالحاجات العليا - مثل الحاجات الجمالية وماتتضمنة من ابداع وتذوق جمالـــى والمجاهدة من أجل التوصل الى السلام والخير والعدل والجمال ٠
كل هذه حاجات عليا - تعلوها جميعا جميعا - الحاجة الى تحقيق الذات "
وتحقيق الذات يختلف عن الحاجات الاخرى ، من حيث أن اشباعها ينميهـــا ولايختزلها ٠ فالانسان الذى يستطيع أن يؤكد ذاته فى موقف معين - يشعر أنه فـــى حاجة الى تأكيد ذاته فى مواقف أخرى
بينما حرمانها ٠ وتكرار هذا الحرمان - يخفض من هذا الدافع

تأكيـــد الـــذات
الحـــاجـــات المعرفيـــة
حـــاجـــات التقـــديـــر
الأنتمـــاء والحـــب
حـــاجـــات ســـلام والامـــن والســـلامة
حـــاجـــات فيزيـــولوجيـــة ٠ طعـــام - شـــراب

تظهر اذا اشبعت الدنيـــا
حاجات عليا (النمو)

(through sarason et al 1982 M P. 268

أى أن سلم الحاجات عند ماسلو يمضى كما يلى

١ - حاجات بيولوجية : الطعام - الماء - الاكسجين

٢ - حاجة السلامة والامن : تحاشى الاخطار

٣ - حاجة الانتماء : الحب - الصداقة

٤ - تقدير الذات : - النجاح فى الحياه

- ومعها الحاجات المعرفية والجمالية

٥ - تأكيد الذات : مثل اثبات امكانيات الذات - كما فى حالة الايمان بمبدأ معين والدفاع عنة وتأكيد امكانية الذات فى ذلك .

ولقد أدت هذه النظرية الى ظهور نظريات أخرى هامة تدور محل " دافعية " العمل حيث تربط الاداء على العمل بعملية التفاعل الاجتماعى وبين متغيرات معينـــة مثل الحاجات غير النقدية - والحافز النقدى (Philip Evans) (Murrell 1976) وتأكيد الذات تمثل قمة الدوافع عند ماسلو - ويـــرى ليفانز أن الحاجة الى الانتماء - الحاجة الى تقدير الذات يؤديان شكل واضح الـــى تحقيق أو تأكيد الذات وتأكيد طاقاتها (Ibid P. 212

<u>المحددات المعرفية للدوافع</u>

١ - المعارف وميكانيكية السلوك

هل السلوك الانسانى سلوك ميكانيكى - أى عباره عن مثير - واستجابة فقـــط - بحيث اذا ظهر المثير لابد من ظهور الاستجابة ؟ أم أن للانسان حرية الاختيار بين البدائل حتى لو كان المثير واحدا ، ويستطيع أن يعطى نفس الاستجابة أو يرفضها تحت نفس الشروط ؟

الاجابة بالنسبة للسئوالين - نعم - ولا • بالنسبة للسؤال الاول نعم لابد من مثير لكي تظهر الاستجابة الا ان العلاقة بين المثير والاستجابة ليست علاقة مكيانيكية - بل اننا والسلوكيون المعاصرون • نرفض حاليا استخدام لفظة • مثير ونفضل عليها موقف مثير حيث الاخير يتكون من مثيرات متعددة يتدخل فيها الادراك لينتقى مثيرات مميزة محدرة •••• الخ •

كما قد يغير فيها - أى أن الكائن نفسه يتدخل فى ادراك المثير - وقد أثبتنا فى دراسة تجريبية لنا ١٩٧٧ اننا لانستجيب للمثير كما هو - بل بعد أن نختاره من الموقف المثير ثم بعد أن تتمثلة ذاتيا - أى نحيله الى رمز ذاتى • ومن هنا تأتى الاجابه على السؤال الثانى بنعم • ولا • كذلك نعم من حيث ان لنا حرية الاختيار بين البدائل ولا من حيث اعطاء نفس الاستجابة أو رفضها تحت نفس الشروط - اذا أخذنا الشروط بمعناها الشامل أى بالداخل والخارج بينما اذا أخذناها بالخارج فنعم نستطيع أن نعطى أو نرفض الاستجابة تحت نفس الشروط •

ولكن ماتفسير هذا التعارض ؟ تفسيرة يتركز فى المحددات المعرفية للدوافع - مثلا الطفل الذى لدية دافع لأن يلعب بسكين والشروط القائمة نسمح له بذلك فسوف يلعب بها • ولكن اذا ظلت الشروط كما هى ثم اضفنا الية معلومة أن السكين ستقطع يده لو لعب بها • لن يعطى نفس الاستجابه بشرط ان يتمثل هذه المعرفة وتؤثر فى ادراكه وتحثلة للسكين - ليدركها كآله حادة وليست وسيله × للعب • هنا ستحدد هذه المعلومة هذا الدافع لتحيله الى وسيلة أخرى للعب • فالاختيار اذن موجود ولكنه ليس عشوائيا وانما فى ضوء معلومات نكتسبها يكون لها نوعية

أو تتصف بخصائص معينة أهمها ألا تظل معلومات مفروضة من الخارج وانما متمثله ذاتيا تحد ادراكنا للمثيرات المحيطة .

ويؤكد ونير ، وهينز ذلك حينما يؤكد ان قوة الدافع لم تعد تحد مقدار الحرمان أو شدة الصدمة كما كان عند هل بل أن شدة الدوافع أصبح يتوقف علـــــى ادراك الشخص لحالته التي تتضمن الحاجة

(Heinz & Weiner, 1980 P. 137)

ولقد سيطرت فكرة التفسير الميكانيكي للسلوك والدافعية منذ ١٩٢٠ ـ ١٩٦٠ بتأثير واطسون والسلوكيون المحدثون مثل سبنس وهل .

الا أن كثيرا من علماء النفس يرون أن نظرية الدافع الميكانيكية عند هل وسبنس تقدم فقط اطارا مقبولا لفهم السلوك البسيط عند الحيوانات ولاتستطيع تفســـير السلوك المركب خاصة عند الانسان .

بعد الستينات بدأت هذه النظرية تفقد سيطرتها ، وحلت محلها النظرة القائلة بأن العمليات العقلية العليا تشترك في تحديد الدافعية وبدلا من قولنا أن (م ـ س) كما هو الحال عند هل وسبنس ، تقول الآن (م ـ معرفة ـ س)

ولم يعد المثير يحمل ذلك المعنى الكلاسيكي عند قدماء السلوكيين بقدر ماهــو يمثل مصدر للمعلومات ، حيث تبرمج وتتحول هذه المعلومات الى عقيدة تحدد اختيار الدافع والهدف .

٢ ـ المعارف والوجدان

المقصود بالوجدان هنا تلك الدوافع الوجدانية أو العواطف باعتبارها دوافـــع، ومن المعروف ان الوجدان يمثل دالة لادراك الفرد للموقف المثير وفى دراســـــة لشاستر وسنجر حقن المفحوصين الانبفرين (من الغدة الادرينالية وهو منشـــط) ثم وضعوا فى موقف اجتماعى قام فيه شخص معين بتمثيل دورا ما الغضب أو النشوة والسرور ، وجد ان المفحوصين يسلكون بشكل أكثر سرورا فى مواقف السرور وبشكـل أكثر غضبا فى مواقف الغضب.أكثر من عينة تناولوا حبوبا وهمية

Schachter & Singer 1962

وفى دراسة لفالنـس قدمت معلومات مزيفة لعينه من المفحوصين عن حالاتهـــــم الداخلية (مثل نبض القلب ، التنفس ٠ الخ) أثناء رؤيتهم لمجموعة من الصـــور الفنية ، وجد ان تقديرات الافراد الجمالية للصور ترتبط بالمعلومات المزيفة عـــن حالة الافراد الداخلية التى تقدم لهم ٠وهذا يؤكد أهمية الحاله الداخلية كمـــا يؤكد أكثر أهمية المعلومات التى تحصل عليها عن هذه الحاله بغض النظر عمـــا اذا كانت معلومات حقيقية أم مزيفة

Heckhausen H & Weinend P. 139

ويرى هيكهاسين ان اى فعل يمكن تقسيمة الى اربع مراحل هى

١ ـ الاستعداد للفعل fore perion ٢ ـ اداء الفعل

٣ ـ فترة تقييم الذات ٤ ـ فترة مابعد الاداء

ويرى ان المعارف تتدخل فى هذه المراحل بشكل واضح خاصة ، التهيـــــؤ أو الاستعداد وفى فترة الاداء يوجد ادراك مستمر للأداء يحذر وينبه ويحدد التوقعات ثم فتر تقييم الذات بعد تجميع معلومات كافية من الفترات السابقة ومن خبرات الاخرين ويؤثر في التقييم هنا معلومات تأتى من الخارج أو من الذات واذا كانت التغذية الرجعية ناقصة يبحث الشخص عن معلومات أخرى والمرحلة الاخـــيرة تتضمن معلومات متنوعة مثل اعادة التقييم والتى قد سير الخصائص الفعليـــة والنوايا - التخطيط الادائى والتوقعات وغالبا مايظهر بها أحلام اليقظـــة

(Heckheusen & Winer P. 153)

٣ - العمليات المعرفية والسلوك المدفوع

اتجهت معظم المدارس المعاصرة الى تعديل بناء الاختبارات التحصيلية بهـــا بحيث تتضمن مايسمى " بالوحدات المعرفية مثل : النوايا : التنبؤ بالاهداف . الخ وحددت هذه الافكار كوحدات عقلية تجمع الى درجة التحصيل الكليـــة .

(Heckhausen, P. 146)

ويوضح ساراسون وزملاؤه على أن التوقعات والقيمة أحد أو بعض عناصـــر العمليات المعرفية ، واحد المداخل المعرفية للدافعية معروف بالتوقع × نظرية القيمة (Heckhausen, 1977,Tung 1978)

وتبعا لوجهة النظر هذه فان اتجاه وشدة السلوك الموجة نحو هدف - فيحدد كله بقوة توقع الشخص بان بعض الافعال سوف تؤدى الى الهدف المرغوب ، وبقيمة هذا عند نفس الشخص Sarason et al 1982, P. 266.

أ ـ التوقعات والدافعية

يمثل التوقع أحد العمليات المعرفية ـ وترتبط التوقعات بالمعلومات المتوافرة لدى الشخص ـ وقد أوضحت ريس Reiss دلائل البيئة المحيطة أو الدلائل والمؤشرات الموقفية فى تحديد التوقع • كما ـ أوضح أرتيل ١٩٦٤ أن التوقعات المعممة عن النجاح تحدد توقع الشخص المباشر ـ والتوقع العام هنا يرتبط بقيمة النجاح هنا فمثلا الشخص المرتفع على الامل فى النجاح يستدعى مهاما غير محلوله أكثر من المهام المحولة ، بينما المرتفع على الخوف من الفشل يستدعى مهام محلوله أكثر من المهام غير المحلوله *

وفى دراسة لريس Reiss عملت على تكوين أحلام يقظة عند عينة من المرضى العاديين تتضمن النجاح والفشل ، بتتبع من دارت أحلام يقظتهم حول النجاح وجد أنهم تذكروا عددا من المهام التى لم تحل أكثر من عدد المهام المحوله ، بينما العكس عند من دارت أحلام يقظة حول الخوف من الفشل بمعنى أخر فان المؤشرات الموقفية أو توقعات الحدث المباشر يعتبر محددا جيدا للاستدعاء (Through. Heins.. Peigun P. 152)

والمؤشرات الموقفية هنا تمثل مصادر أساسية للمعلومات

ب ـ المجازفة بالفعل والمعلومات

المجازفة أو المخاطرة ترتبط أساسا بالتوقع ـ أى توقع النتائج (الفشل أو النجاح) ولقد افترض أتكنسون أن المجازفة فى أداء فعل ما أو اتخاذ قرار = التوقع × قيمة الهدف فكلما كان توقع النجاح مرتفعا وقيمة الهدف مرتفعة ـ

كلما ارتفعت المجازفة أو شدتها .. والعكس صحيح فكلما انخفض توقع النجاح أو كان سلبيا وانخفضت قيمة الهدف كلما انخفض شدة سلوك المجازفة والتوقع هنا يتعدل بشكل مباشر بمعلومات يحصل عليها الفرد كذلك قيمة الهدف ومن هنا يتضح دور المعلومات في المجازفة باتخاذ القرار أو اصدار سلوك

ويرى هيكز ان المكون المعرفي الأساسي في نموذج اتكنسون هو (الاحتمالية الذاتية للنجاح) غير ان اتكنسون أكد فقط على التوقع وأهمل عمليات معرفية أخرى مثل تجميع المعلومات - والحكم العقلي وتقيمات الذات .

ومن أجل ذلك ظهرت تفسيرات أخرى للسلوك المدفوع - خاصة التحصيل فذوى الامل القوي في النجاح أكثر من الخوف من الفشل يرجع النجاح الى الحظ السعيد - والفشل الى نقص القدرة

ويرتبط سلوك المجازفة بسلوك عدم التقين وهو يعني نقص المعلومات - ويرتبط بالتالي بتقبل الغموض أو عدم تقبله . وكلما حصل الفرد على معلومات فان عدم التأكد يقل حتى يحدث انغلاقا كاملا مما قد يجعل الفرد مشبعا تماما - بل وينخفض التوتر المرتبط بالدافعية عند أدنى مستوى - ويضعف السلوك بشكل واضح - ومن أجل ذلك يرتبط عدم التأكد بالمخاطر والسلوك في علاقة منحنية فكلما زاد عدم التيقن وكلما قل كلما ضعف السلوك الصادر

ولقد تناولنا سلوك عدم التيقن هذا بشكل مفصل تجريبا ونظريا ١٩٧٧ (الشيخ ١٩٧٧ م)

وكذلك بيرلين Berlyn 1961) كما وضعنا مقاييس شكلية لقياسه :

ج ـ المعلومات وأمثلة من السلوك المدفوع

من المعروف أن المثيرات الحياديه · قد تصبح مثيره لسلوك معـــين اذا اقترنت بشكل ما مع مثير أو دافع آخر للسلوك

ومن أجل هذا اعتبرنا الخوف ومايرتبط به من قلق دافعا متعلما خاصة وهــو يظهر لمثيرات غير طبيعية · وقد أكد ذلك لا زاروس ، وزملاؤه ١٩٦٦ فــــى سلسلة دراسات ويفترض لازاروس أن الفرد داخل مواقف التهديد يعيد تقديـــر أو تقييم مستوى الضرر ـ المتوقع ـ أن يحدث من المثير المخيف

كذلك السلوك العدواني يتأثر بالعمليات المعرفية ـ وانتهت الى ذلـــــك دراسات عديدة منها Mc Candless & Mdlick 1966

يخضع الافراد فى هذه التجارب لمواقف أحباط يكون مصدرها غامضا ثم تقــــــدم معلومات مزيفة عن مصادر معينه غير حقيقية بكونها مصدرا لهذا الاحباط ـــ نجد أن السلوك العدواني كان يزداد نحوها

معنى هذا أن المعارف والمعلومات التى تدور حول سبب الاحباط ومعتقـــدات الفرد حول حالته الداخلية تؤثر فى حوادث الاحباط وادراكها وكذلك فى التعبـــير عن العدوان · Heinz et al 1980 P. 138

ونذكر هنا دراسة أجريناها ١٩٧٩ أو نشرناها ١٩٨٢ اتضح منها أنه ليس المثـــير الخارجى هو الذى يشكل السلوك بل هى المعلومات التى تجمع ويتمثلها الفرد ثم تتدخل فى ادراكاته للمثير ـ وقد اتضح أن الادراك وليس المثير المدرك هو الذى يحدد شكل الاستجابة نحو هذا المثير ـ بل يسهم فى سواء ولاسواء الاستجابـــــة (الشيخ ١٩٨٢)

ولكن هل تؤثر المعلومات بكيفية واحده فى السلوك ودوافعة بالطبع لا ـ ذلــك

يتوقف على محتوى المعلومات ٠ وأسلوب تقديمها ـ ثم شخصية الملتقى نفسه ٠

نكتفى بهذا القدر من الدافعية تناولنا اشباع الدوافع والاشباعات البديلة

فى كتابنا : ـ علم النفس فى مجال التعليم المدرسى ١٩٨٥ ٠

المراجع

أولاً : المراجع العربية :

١- ابراهيم (ذكريا) (بدون تاريخ) - مشكلة الفن - سلسلة مشكلات فلسفية - القاهرة مكتبة مصر (الفجالة) رقم إيداع / ٣٤٣٦ .

٢- الشونى (محمود) (١٩٩٢) - الايقاع الشخصى وعلاقته ببعدى الانبساط والعصابية - رسالة دكتوراه (غير منشورة) كلية الآداب - جامعة طنطا .

٣- الشيخ (عبد السلام أحمدى) (١٩٧١) - الايقاع الشخصى والايقاع فى الشعر المفضل . رسالة ماجستير (غير منشورة) - كلية الآداب جامعة القاهرة .

٤- --------- (١٩٩٣) مدخل لعلم النفس الاجتماعى - الاسكندرية - دار الفكر الجامعي .

٥- --------- (١٩٩٤) برامج المخ وايقاعات السلوك - مستشفى جمال أبو العزايم (مدينة نصر) : مجلة النفس المطمئنة - ص ٣٩ .

٦- الصبوه (محمد نجيب) ١٩٨٧ - سرعة الادراك البصرى لدى العصابيين والأسوياء - رسالة دكتوراه (غير منشورة) - كلية الآداب - جامعة القاهرة .

٧- الكسندر بوربلى (يوليه ١٩٩٢) - أسرار النوم - ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة - الكويت - عالم المعرفة - عدد ١٦٣ .

٨- أندريه ليند (١٩٩٥) - الكون المتجدد ذاتياً - مجلة العلوم الكويتية - عدد ٨،٩ ص ٢٤ - ٣١ .

٩- تايه (إنصاف نعيم) (١٩٩٤) - الايقاع الشخصى وبناء الشخصية عند العصابيين والأسوياء - رسالة ماجستير (غيرمنشورة) - كلية الآداب جامعة المنيا .

١٠- سويف (مصطفى) (١٩٧٥) مقدمة لعلم النفس الاجتماعى - القاهرة - الأنجلو المصرية .

١١- --------- (١٩٨٣) علم النفس الحديث : معالم ونماذج من دراساته - القاهرة : الأنجلو المصرية .

١٢- زكريا (فؤاد) (١٩٦٨) مع الموسيقى ذكريات ودراسات -القاهرة- مكتبة مصر بالفجالة

ثانيا : المراجع الأجنبية العامة :

1- Aijn. I & Fishbein M , Understanding Attitudes and Predicting Social Behavior . New Jersey : Prentic Hall . 1980 .

2- Allport , G. W , (1937) Personality , A psychological Interpretation New York : Horny Holt and Co .

3- Bonner , H .(1961) Psychology of Personality - New York : Ronald Press .

4- Boston , Hougfton Mofflif Co 1966 .

5- Cattell , Raymond , Warburton , F - Objective Personality and Motivation tests - Chicago : Un Illinois Press - 1967 .

6- Chaplin , j .P . & Krawiec. T . S , Systemw and Theoris of Psychology . New York : Holt - Rinehart . and Winston 1979 .

7- Costigan (Giovanni) , Sigmund Freud . A short Biography New York . Macmillan co . 1968 .

8- Crisp , A , S - Sleep and its distrubances - 1984 - 1990 in E.H. Peynolds et al . The Bridge between Neurology and Psychlatry London - Longman sing Publ .

9- Dement . W. C (1974) Some must watch while some must sleep New York : W . H Freeman .

10- Eysenck , H . (1973) Hand book of clinical Psychology . London Pitman , Medical .

11- Eysenck , H .J . , the structure of Human Personality . London : Methuem & Co . 1953 .

12- ---------- , Rachman , S .(1965) The Causes and Cures of neurosis . London , Routledge and Kegan Paul .

13- Farthing , G . W .(1992) The Psychology of Consciousness New Jersey , Prentice - Hall .

13- Guilford (1959) Personality . New York : McGraw -Hill .

الفهرس

دار المصطفى للطباعة والكمبيوتر